ديوان

نازك الملائكة

المجلّد الأوّل

دار العودة - بيروت

ديوان

نازك الملائكة

ديوان
نازك الملائكة

المجلد الاول

دار العودة - بيروت

١٩٩٧

الشاعر

يطلب من دار العودة - بيروت
كورنيش المزرعة - بناية ريفييرا سنتر
تلفون: ٨١٨٤٠٥ - ٨١٨٤٠٦
ص. ب: ١٤٦٢٨٤ / برقياً: العودة

مأساة الحيـــاة
و
أغنية الانسان

مأساة الحياة وأغنية للانسان

«مطوّلة شعرية»

تقدمة

– بقلم الشاعرة –

يضمّ الأثر الشعريّ الذي أضعه بين يدي القارىء في هذا الكتاب ثلاث صور شعرية لقصيدة واحدة . أولها قد نظم بين سنة ١٩٤٥ و ١٩٤٦ ، وثانيها قد نظم سنة ١٩٥٠ وثالثها متأخر التاريخ حتى ١٩٦٥ . ولقد يمكن أن تعدّ كلّ قصيدة من هذه القصائد المطوّلة مستقلّة عن الأخريين ، لولا أنني قد نسخت بعض الأبيات أحياناً فنقلتها من قصيدة إلى أخرى على اعتبار أنها مــا زالت ترضي ذوقي رغم مرور السنين . ولعلّ من المفيد أن أشرح الظروف الزمنية

والنفسية والفكرية التي أحاطت بي خلال عشرين عاماً من ١٩٤٥ إلى ١٩٦٥ م :

أما القصيدة الأولى فقد نظمتها عام ١٩٤٥ – وكان عمري إذ ذاك اثنين وعشرين عاماً ولم يكن ديواني الأول (عاشقة الليل) قد ظهر إلى الوجود أو طبع . وكنت إذ ذاك أكثر من قراءة الشعر الانكليزي فأعجبتُ بالمطوّلات الشعرية التي نظمها الشعراء وأحببت أن يكون لنا في الوطن العربيّ مطوّلات مثلهم . وسرعان ما بدأت قصيدتي وسمّيتها : « مأساة الحياة » وهو عنوان يدل على تشاؤمي المطلق وشعوري بأن الحياة كلها ألم وإبهام وتعقيد . وقد اتخذت للقصيدة شعاراً يكشف عن فلسفتي فيها هو هذه الكلمات للفيلسوف الألمانيّ المتشائم « شوبنهاور » : [لست أدري لماذا نرفع الستار عن حياة جديدة كلما أسدل على هزيمة وموت . لست أدري لماذا نخدع أنفسنا بهذه الزوبعة التي تثور حول لا شيء ؟ حتّام نصبر على هذا الألم الذي لا ينتهي ؟ متى نتدرّع بالشجاعة الكافية فنعترف بأن

حبّ الحياة أكذوبة وأن أعظم نعيم للناس جميعاً هو الموت ؟] ، والواقع أن تشاؤمي قد فاق تشاؤم شوبنهاور نفسه ، لأنه – كما يبدو – كان يعتقد أن الموت نعيم لأنه يختم عذاب الإنسان . أما أنا فلم تكن عندي كارثة أقسى من الموت . كان الموت يلوح لي مأساة الحياة الكبرى ، وذلك هو الشعور الذي حملته من أقصى أقاصي صباي إلى سنّ متأخرة .

وهكذا بدأت نظم المطولة ، وقد اخترت لها بحراً عروضياً مرناً هو البحر الخفيف الذي يجري بين يدي الشاعر كما يجري نهر عريض في أرض منبسطة . وقد بلغت القصيدة ألفاً ومائتي بيت نظمتها في ستة أشهر تقريباً وانتهيت منها عام ١٩٤٦ وكان موضوعها فلسفياً يدور حول الموت والحياة وما وراءهما من أسرار . وقد تخلل القصيدة جزء منها شكوت فيه من المآسي التي سببتها الحرب العالمية الثانية التي كانت تستعر في الغرب ودعوت إلى السلام وتغنيت به ونددت بتجار الحروب وقاتلي البشر . ثم انتقلت إلى الحديث عن السعادة متسائلة إن كان لها وجود حق

في الدنيا ، ثم رحلت أبحث عنها في مختلف الأوساط فلا أجدها . بحثت أولاً لدى الأغنياء لعل السعادة في قصورهم وحياتهم المترفة الناعمة ، ولكني لم أجدها لأنّ الغنيّ لا يستطيع أن يدفع وحشة القبر والأكفان بأمواله . ثم مررت بالرهبان والزاهدين فوجدت عواطفهم المكبوتة تقلقل حياتهم ومضض الحرمان يظلل مساكنهم ويبدو على وجوههم . ثم قلت لعلّ السعادة في ارتكاب الشرور والآثام فطفت بأوكار اللصوص ، والمجرمين ، فوجدت أن ضمائرهم تعذبهم ولا تأذن لهم أن يرتاحوا . ووصلتُ إلى الريف بأشجاره وامتداداته الجميلة فوجدت سكانه فقراء محرومين يعيشون عيشة البؤس والعذاب . وصورت في هذا القسم من المطوّلة ، راعياً صغيراً يأكله الذئب ثم وصفت الثلوج التي تهبط طوال الشتاء وتحرم الفلاحين من استنبات الأرض فينتشر الجوع والحزن بينهم وتموت مواشيهم . ومن الريف انتقلت إلى دنيا الشعراء لعل السعادة عندهم ، ولكن بارقة الأمل سرعان ما تخبو بسبب حساسية الشاعر وتألمه

للجياع والمحزونين والمحرومين . ثم أنتقل إلى العشاق لعلهم ذاقوا السعادة ، فلا أجد بينهم من يعرفها لأن الشهوة الجنسية تدنس الروح وتحدّ آفاق الفكر . وهكذا تنتهي الرحلة بالخيبة فلا تجد الشاعرة السعادة مطلقاً .

ولقد كانت « مأساة الحياة » صورة واضحة من اتجاهات الرومانسية التي غلبتني في سن العشرين وما تلته من سنوات . وكان من مشاعري إذ ذاكَ التشاؤم والخوف من الموت وهما مفتاح هذه الصورة الأولى من المطولة : صورة ١٩٤٥ .

وكنت في عام ١٩٤٦ أنوي أن أقـــدّم المطوّلة للقرّاء بعد مجموعتي الشعرية الأولى « عاشقة الليل » . وعندما طبع هذا الديوان كان في آخره إعلان صغير عن « مأساة الحياة » ولكن الظروف حالت دون ذلك . فأصدرت مجموعتي الشعرية الثانية « شظايا ورماد » عام ١٩٤٩ وهي المجموعة التي دعوت فيها إلى الشعر الحرّ .

وفي عام ١٩٥٠ كان أسلوبي الشعري قـــد تطور

تطوراً كبيراً عما كان أيام نظمي للمطوّلة ، فأصبحت مواردي الأدبية أغزر ، وأسلوبي أكثر صوراً وثقافتي أغنى . فلم أعد راضية عن (مأساة الحياة) ولذلك قرّرت أن أعيد نظمها بأسلوبي الجديد فكانت صورتها الثانية . وعندما مضيت في نظمها لاحظت انها — رغم وحدة الموضوع — قد أصبحت قصيدة ثانية تختلف في كل لفظة منها عن (مأساة الحياة) فرأيت أن أهبها عنواناً جديداً خاصة واني بدأت أنظر إلى الحيـاة بمنظار جديد فيه مسحة من تفاؤل ووضوح بحيث لا أحتمل أن أستبقي العنوان القديم ولذلك سمّيتها « أغنية للإنسان » . وقد مضيت في نظمها حتى بلغت أبياتها ٥٨٦ بيتاً من الوزن الخفيف نفسه وعند هذا بدأت أشعر بالضيق ، فقد لاحظت انني مقيّـدة بالنسخة الأولى ما دمت أعيد نظمها فليس في وسعي أن أخرج عن الإطار العام للقصيدة الأولى . وكان عليّ في « أغنية للإنسان » أن أبحث عن السعادة فلا أعثر عليها . بينما كنت قد بدأت أدرك ان السعادة ممكنة ولو الى مدىً محدود ، فكيف أوفق بين الموضوع القديم وآرائي الجديدة ؟

واستعصى عليَّ الحلّ وقلت لنفسي انني لا أستطيع مواصلة القصيدة ولا بد لي من تركها . وكان ذلك ، اذ توقفت عن النظم وتركت القصيدتين خمسة عشر عاماً من ١٩٥٠ الى **١٩٦٥** وقد كنت خلال هذه السنوات أشعر بالضيق كلما تذكرتها لأن « مأساة الحياة كانت أجمل شعري في مرحلتي الأولى ، مرحلة « عاشقة الليل » وكانت نسخة **١٩٥٠** أجمل شعري في مرحلتي الثانية . ولذلك عزّ عليَّ أن تبقى محجوبة عن القراء.وراح الدكتور عبدالهادي محبوبه (زوجي) يحثني على إتمامها،وفكرت في ذلك فعلاً.ولكني لاحظت أن أسلوبي الشعري قد تطوَّر وتغيَّر ما بين **١٩٥٠و١٩٦٥** فلو أتممت (أغنية للإنسان) لظهر عليها فارق الأسلوب . وبقيت حائرة ماذا أصنع ، ثم قررت أن أنشر (مأساة الحياة) كما هي دون تعديل .وجلست ذات صباح أنسخها معدّلة كلمة هنا وشطراً هناك دون أن أعيد نظمها كما صنعت سنة ١٩٥٠ .

ولكني ما كدت أمضي صفحات حتى بدأت التغييرات تتسع وتشمل كثيراً من الأبيات ، وبعد

يومين وجدتني أغير القصيدة القديمة تغييراً كاملاً دون أن أستبقي من المطوّلة الأولى لفظة واحدة . وهكذا ولدت الصورة الثالثة من القصيدة عام ١٩٦٥.ولسوف يلوح للقارىء انني أقرب الى التفاؤل في هذه القصيدة. والواقع ان آرائي المتشائمة كانت قد زالت جميعاً وحل محلها الايمان بالله والاطمئنان الى الحياة ، ولذلك راح جو مأساة الحياة يتبدد تدريجياً ، وقررت أن تجد الشاعرة السعادة في هذه القصيدة . وعندما بلغت ستمائة بيت أو يزيد شغلتني الحياة بأعمال وظروف معقدة فاضطررت الى ترك المطوّلة والانصراف الى مشاغلي . ومنذ ذلك لم أعد الى المطوّلة .

واليوم إذ أقدّم الصور الثلاث إلى المطبعة، أحسّ انني أقدّم عملاً أدبياً متكاملاً ، لأن الشعر قد يقرأ لمجرد كونه شعراً ، وهذه المطوّلة بصورها الثلاث تدلّ على خط التطوّر في شعري ما بين السنوات العشرين من ١٩٤٥ إلى ١٩٦٥ .

وبعد فلست أول من تعتريه هذه الحالات الشعريّة في سنين مختلفة فإن الشاعر الانكليزي جون كيتس

مثلاً قد نظم قصيدة عنوانها « هايبيريون Hyperion تناول فيها سقوط الآلهة الأوائـــل في الميثولوجي اليونانية ، عندما حلّت مكانها أسرة جوبيتر Jupiter اله الآلهة الثاني . وقد صوّر «كيتس» في هذه المطوّلة ميلاد (أبولو) اله الشمس وكيف حلّ محل الاله السابق هايبيريون إله الشمس الأول الساقط . وتعدّ هذه القصيدة من أروع شعر كيتس ، وقد نشرها في مجموعته الشعرية الصادرة سنة ١٨٢٠ . وعندما انصرم الوقت شعر كيتس أن قصيدته لم تعد تمثل أسلوبه ، فعاد ونظم منها نسخة ثانية سماها «سقوط هايبيريون» The Fall of Hyperion ونجد النسختين منشورتين في ديوان كيتس تدلان على تطوره الشعريّ من مرحلة إلى مرحلة .

وأنا إذ أقدم اليوم مطوّلتي باشكالها الثلاثة إنما أرجو أن يعذرني القارىء بعد أن قصصت عليه التاريخ النفسيّ لها وصلتها بالتيارات الخفية من عواطفي وآرائي وحياتي . ومهما يكن من أمر فإن نسخة ١٩٤٥ كاملة لا نقص فيها . وأما القصيدتان التاليتان

فحسبي انهما تقدّمان الحقيقة الشعريّة التي تختلف عن الحقيقة القصصية . فالشعر أعمق وأجمل من مجرّد الموضوع الذي يعالجه ولذلك يمكن أن ترتوي مشاعرنا بجزء من قصيدة . واما القصة فإن تمام الحكاية فيها جزء من كمالها لا ينفصل عنه .

وأود هنا أن أقتبس نماذج من موضوع واحد من القصائد الثلاث ليرى القارىء اتجاه التطور في شعري عبر عشرين عاماً : ورد في «مأساة الحياة » عام ١٩٤٥ في موضوع البحث عن السعادة عند سكان الأديرة الأبيات التالية :

أيها الراهب الذي يقطع العمـــ
ـــر وحيداً في كوخه المكفهر
هات حدّثنيَ العشيّة عما
عند دنياك من نعيم وبشر
حدثوني عنكم فقالوا حيـــاة
من نعيم وأنفس من نقـــاء
عجباً أين ما يقولون ؟ مـــالي
لا أرى غير حيرة الأشقياء ؟

ما الذي عندكم من البشر والافـ
راح ماذا يا أيّها الزاهدونا !
ليس إلا عمـــر يمرّ حزيناً
يتهـــاوى كـآبةً وسكونا

أما في نسخة ١٩٥٠ فهذه هي الصورة التي صورت بها مشاعر الرهبان ومملكتهم التي تقوم على الكبت والحرمان :

شيّدوها من كل لفتة شوق
في العيون الحبيسة المحرومه
وسقوا أرضها الجديبة من بر
كان تلك العواطف المكتومه

وحموها من أن تغازلها الشمـ
ـس بألوانهـا ولـــين شذاها
وأبوا أن يلامس القمر المنـ
ـفعل الضوء في المساء دجاها

وتمنّوا ألاّ تمــرَّ بهــا ريـ
ـحٌ عبيرية الصدى والنشيد

فشفاه الرياح تكمن فيهـــا

ُقبَلٌ عذبة وذكرى خـدود

وتمنّوا أن يقفل الليل عينيـ

ـه وتخبو نجومه السحريّه

فعيون النجـوم تغوي بأهـدا

بٍ حريريّة الرؤى قمريّه

أما في نسخة عام ١٩٦٥ فقد تحوّلت هذه المعاني إلى الصيغة التالية :

أيها الراهب الذي يقطع العمـ

ـر وحيداً في غرفـــة منسيّه

ليس يدري دفء المودة في عيـ

ـنين في قـرّ ليـلة شتويّه

حدّثوني عنكم فقـالوا ضياء

وكؤوس من الشذى روحيّه

وسموٌ إلى الذرى الطاهراتِ الـ

ـبيض فوق الرغائب البشريه

عجباً أين مـا سمعتُ هنا شو

قٌ ونارٌ وأعـينٌ مفتونـه

وهوىً قيّدوه عطشان محرو

ماً فأين السلام أين السكينه ؟

ولكن الذي يلاحظ أن نسخة عام ٩٦٥ قد لمّحت تلميحاً واضحاً إلى أن هذه الشاعرة لا تنظر بعيداً ولا عميقاً وهي تبحث عن السعادة وإنما هي متشائمة لأن نظراتها تقع فوق السطوح ولا تغوص عميقاً وراء المظاهر الخادعة . وقد جاء هذا المعنى في « انشودة الرياح » التي خاطبت الشاعرة قائلة :

أنصتي تسمعي   في السكون حفيف
وانظري تبصري   أن جدبي وريف
لكِ قلبٌ غفا   عن معاني الذرى
لكِ روح ثوى   في ضباب الكرى

وهذا التطوّر في النظرة هو التمهيد لفكرة عثور الشاعرة على السعادة في ختام القصيدة .

وقد يتساءل متسائل : لماذا بقيت متمسكة بالبحر الخفيف في القصائد الثلاث دون أن أخرج عنه إلى بحور أخرى . وجواب هذا انني رأيت هذا البحر

أكثر ملاءمة للمطوّلات فهو يسمح بالعبارة الطويلة على صورة تريح الشاعر الحديث . ولا يخفى أننا انما دعونا إلى الشعر الحرّ لنمكن الشاعر العربي من ايراد جمل طويلة دون تقطع .

نازك الملائكة

بحمدون في ١١ / ٨ / ١٩٧٠

مأساة الحياة

« أكثر هذه المطوّلة قد نُظم سنة ١٩٤٥
والقليل منها امتد الى سنة ١٩٤٦ ، وكان عمري
ثلاثة وعشرين عاماً . »

عبثاً تَحْلُمـــينَ شاعرتي مـا
من صباحٍ لليلِ هذا الوجود
عبثاً تسألين لن يُكْشف السرُّ
ولن تَنْعمي بفـــكِّ القيودِ

في ظلال الصَفْصاف قَضَّيتِ ساعا
تِكِ حَـــيْرى تُمضُّك الإِسرارُ
تسألين الظلالَ والظلُّ لا يعـ
لَمُ شيئــــاً وتعلمُ الأقدارُ

أبـــداً تنظرين للأُفق المجـ
هول حيرى فهل تجلّى الخفيُّ ؟
أبداً تسألين والقَـــدَرُ السا
خرُ صمتٌ مُسْتغلِقٌ أبـديُّ

فيمَ لا تيأسينَ ؟ ما أدركَ الأسـ
رارَ قلبٌ من قبلُ كي تدركيها
أسفاً يا فتـاة لن تفهمي الأيـ
امَ فلتقنعي بأن تجهليهـا

أتركي الزورق الكليل تسيِّرْ
هُ أكفُّ الأقدارِ كيف تشاء
ما الذي نلتِ من مصارعة المو
جِ ؟ وهل نامَ عن مناك الشقاء ؟

آهِ يا من ضاعتْ حياتك في الأحـ

ـلامِ ماذا جَنَيْتِ غير المَلالِ ؟

لم يَزَلْ سرُّها دفينا فيا ضيـ

ـعةَ عُمْرٍ قضيّتِهِ في السؤالِ

هوَ سرُّ الحياة دقَّ على الأفـ

ـهامِ حتى ضاقت به الحكماءُ

فايأسي يا فتاةُ ما فُهمتْ من

قبلُ أسرارُها ففيم الرجاءُ ؟

جاء من قبلِ أن تجيئي الى الدُّنـ

ـيا ملايينُ ثم زالوا وبادوا

ليتَ شعري ماذا جَنَوْا من لياليـ

ـهمْ ؟ وأينَ الأفراحُ والأعيادُ ؟

ليس منهم إلا قبورٌ حزينا
تٌ أقيمت على ضفاف الحياةِ
رحلوا عن حِمَى الوجودِ ولاذوا
في سكونٍ بعالمِ الأمواتِ

كم أطافَ الليلُ الكئيب على الجو
وكم أذعنت له الأكوانُ
شهد الليلُ أنّه مثلما كا
نَ فأينَ الذينَ بالأمس كانوا ؟

كيف يا دهرُ تنطفي بين كفَّيـ
ـكَ الأماني وتخمد الأحلامُ ؟
كيف تذْوي القلوبُ وهي ضياءٌ
ويعيشُ الظلامُ وهْو ظلامُ

كيفَ تحيا الأشواكُ والزَّهرُ الفا
تنُ يذوي في قبضة الاعصارِ
كيف تمضي الى الفَناء الأَناشيـ
ـدُ وتبقى سُخْرِيّةُ الأقدارِ

حدِّثي القلبَ أنتِ أيتها المأ
ساة يا من قد سُمّيتْ بالحياةِ
ما الذي تصنعين بي في الغد المجـ
ـهول ماذا ترى مصيرُ رفاتي ؟

أيُّ قبر أعددتِ لي ؟ أهْو كهفٌ
ملء انحائه الظلامُ الداجي ؟
أم ترى زورقي سيغرق بي يو
ماً فأثوي في ظلمة الأثباج

لهفتي يا حياةُ كم تلعب الأَو

هامُ بي ؟ كم يؤودني التفكيرُ

أبداً أسال الليـــالي عن المو

ت وماذا ترى يكون المصيرُ ؟

طالما قد سالت ليليَ لكن

عزّ في هـــذه الحياة الجوابُ

ليس غير الأوهـام تسخر منّي

ليس إلا تمزّقٌ واضطرابُ

هل فهمت الحياةَ كي أفهم المو

ت وأدنو من سرّه المكنونِ

لم يزل عالمُ المنيّة لغزاً

عزّ حلاًّ على فؤادي الحزينِ

فليكن يا حياةُ لن أسألَ الليـ
لَ عن السرِّ فاحكمي كيف شئتِ
امنحيني عمر الزهور فلن أبـ
كي ومُدّي الأيامَ لي ان رغبتِ

ما الذي ينفع البكاءُ وما يُصْـ
غي الى الصارخينَ قلبُ القضاءِ
لن يزيدَ البكاءُ يوماً على عمـ
ـري ولن يرحمَ المماتُ شقائي

ولتجرّعنَي الحياةُ كؤوسَ الـ
حزن واليأس ما يشاءُ شقاها
هل ستُصْغي الى رجائي المنايا
ان تمنّيتُ صمتَها ودُجاها

هكذا جئت للحياة وما أد
ري إلى أينَ سوف تمضي الحياةُ
وسأحيا كما يشاء لي المج
هولُ حَيْرى تلهو بيَ الظُلُماتُ

ان تمنيتُ أن أعيش فما يَسْ
تمع الموتُ أو يمدُّ السنينا
أو تمنّيتُ أن أموت فما يُرْ
حم حلمي ولست ألْقَىْ المنونا

هكذا، ما يريده القَدَرُ المح
تومُ لا ما تُريدُهُ آمالي
سيّرتني الحياةُ أين ترى مَرْ
سَىْ سفيني؟ وعند أيّ رمالِ؟

ها أنا الآنَ حيْرةٌ وذهولُ
بين ماضٍ ذَوَى وعُمْرٍ يمرُّ
لست أدري ما غايتي في مسيري
آهِ لو ينجلي لعينيَّ سرُّ

يا ضفافَ الأفراح يا ليتني أعـ
رفُ شيئاً عن أُفْقكِ المجهولِ
لم أعدْ أستطيعُ أن أكتمْ الشو
قَ فأيّان يا ضفافُ وصولي ؟

كلُّ شيءٍ حولي يحدّثني عنـ
ـكِ ولكن متى يحينُ اللقاءُ ؟
فارحميني من قبل أن يَحْطُمَ المو
جُ شراعي وتصخَبَ الأنواءُ

آهِ يا ضفّةَ السعادة ما أنـ
تِ ؟ خيالٌ أم واقعٌ مشهودُ ؟
أترى قلبيَ الطعينُ سيلقا
كِ أخيراً أم أنتِ حلمٌ بعيدُ ؟

طالما حدّثوا فؤاديَ عن لقـ
ـياكِ لكن ما زلتِ حُلْمَ صبي
لم أزل أصرفُ الليالِيَ أبكي
وأغنّي حزنَ الوجودِ الشقيّ

– على تل الرمال –

لم يَزَلْ مجلسي على تلّيَ الرمـ
ـليِّ يُصْغي إلى أناشيدِ أمسي
لم أزلْ طفلة سوى أَنني قد
زدتُ جهلاً بكُنْهِ عُمْري ونفسي

ليتني لم أزَلْ كما كنتُ قلباً

ليس فيـــه إلا السَّنا والنقاءُ

كلَّ يومٍ أبني حيـاتيَ أحلا

ماً وأنسَىٰ اذا أتاني المساءُ

أبداً اصرف النهار على التل

وأبني من الرِّمالِ قصورا

ليت شعري أينَ القصورُ الجميلا

تُ وهل عُدْنَ ظلمةً وقبورا ؟

ايه تلَّ الرمالِ ...

قيت ... نينة الأحلامِ ؟

أنظرِ الآنَ هل ترى

لجةً ... الأوهامِ ؟

ذهبَ الأمسُ لم أعدْ طفلة ...

قُبُ عشرٌ ... شفور كلَّ صباحِ

لم أعد أبصر الحياة كما كنْ

تُ رحيقا ... في أقداحي

لم أعد في الشتاء أرنو الى الأم...

...طار ... الجميلِ الصغيرِ

لم أُعدْ أعشقُ الـ...

...ت ... فاق الغدير

كَم زهورٍ [illegible] تزرْ منـ
شيئاً سوى الأشواكِ
كَم تعاليلَ [illegible] إلا
[illegible] قلبي الباكي

آهِ يا تلُّ [illegible] مثلما كنتَ
[illegible] فارجع فردوسيَ المفقودا
أيُّ كفٍّ أثيمةٍ سلبتْ رَوْ
[illegible] هذا جمالَهُ المعبودا

كنتَ عرشي بالأمسِ يا تلّيَ الرمـ
ـليَّ والآنَ لم تَعُدْ غيرَ تلٍّ
كان شدوُ الطيورِ رجعَ أناشيـ
ـدي وكانَ النعيمُ يَتْبَعُ ظلّي

كان هذا الوجود مملكتي الكبـ
ـرَى فيا ليتني أعودُ إليها
ليت هذي الرمالَ تسترجع السحـ
ـرَ وليت الربيـع يحنو عليها

لم أعدْ أستطيعُ أن احكم الزَهْـ
ـرَ وأرعى النجوم في كل ليلِ
هل أنا الآنَ غيرَ شاعرةٍ حَيْـ
ـرى وهل غير هيكلي المضمحلِّ ؟

ذهب الأمسُ والطفولةُ واعْتَضْـ
ـتُ بحسّي الرهيفِ عن لهو أمسي
كل ما في الوجود يؤلمني الآ
نَ وهذي الحياةُ تجرحُ نفسي

أينَ لونُ الأزهار لم أُعدِ الآ
نَ أرى في الازهار غير البوارِ
كلما شمتُ زهرةً صوّر الوهْـ
ـمُ لعينيَّ قاطفَ الازهارِ

أين شدوُ الطيور ما عدتُ ألقَىْ
في صَفَاهُ من يأس قلبي خلاصا
كلّ لحنٍ لصادحٍ يتلاشى
في ادّكاري الصيّاد والأقفاصا

أينَ همس النسيمِ لم تَعُدِ الأذ
سامُ تغري قلبي بحبِّ الجمالِ؟
فغداً يهمس النسيمُ بموتي
في عميقِ الهُوَى وفوق الجبالِ

أين منّي مفاتنُ القَمَرِ السا
حرِ والصيف والظلام المثيرِ ؟
لم أعدْ أعشقُ الظلامَ غداً أر
قدُ تحت الظلام بين القبورِ

ها أنا الآن تحت ظلّ من الصَفْ
صاف والتين مستطابٍ ظليلِ
أقطف الزهر ان رغبتُ وأجني الثَ
مرَ الحُلْوَ في صباحي الجميلِ

وغداً ترسم الظلالُ على قبـ
ـري خطوطاً من الجمال الكئيبِ
وغداً من دمي غذاؤكَ يا صفـ
ـصافُ يا تينُ أيُّ ثأرٍ رهيبِ

ذاك دأبُ الحياةِ تسلبُ ما تعـ
طيهِ بخلاً لا كانَ ما تعطيه
تتقاضى الأحياءَ قيمةَ عيشٍ
ضمّهم من شقاهُ أعمقُ تيهِ

هي هذي الحياةُ ساقية السمّ
كؤوساً يطفو عليها الرحيقُ
أومأتْ للعطاش فاغترفوا منـ
ـها ومن ذاقها فليس يُفيقُ

هي هذي الحياةُ زارعةُ الأشـ
ـواكِ لا الزهرِ، والدُّجى لا الضياءِ
هي نبعُ الآثامِ تستلهمُ الشرّ
وتحيا في الأرض لا في السماءِ

حَسْبُها أَننـا دفعنا إليها
ثمنَ العيشِ حَيْرةً ودموعا
أيُّ ذنبٍ جناه آدمُ حتى
نتلقى العقابَ نحنُ جميعا ؟

وليكن آدمٌ جَنَى حسبُهُ فُقْـ
ـدانُ فردوسِهِ الجميلِ عقابا
حسبُهُ يا حياةُ أن هبط الأر
ضَ ليحيـا ويجرعَ الأوصابا

حسبُهُ أنه أتى الأرضَ مطرو
دأً من الخُلْدِ مستطاراً حزينا
حسبُهُ ما رأى من الشرِّ والإثـ
ـم وما ذاق من عذاب السنينا

ليت شعري ماذا يروق لعينَيْـ
ـهِ على الأرضِ بعد سحر السماءِ
كيفَ ينسَى جمالَ فردوسِهِ المفـ
ـقود في عالمٍ دجيّ الفضاءِ

كيف ينسَى الأمس الجميل ليهنا
بحياةٍ موسومةٍ بالشقاءِ ؟
ليس يحيا فيها سوى الآثمِ الجبّـ
ـارِ يا رحمتاهُ للضعفاءِ

ولماذا يتنَسّى وهل ثمّ في الأر
ضِ عزاءٌ عن حلمه المعسولِ
كلما لاذ بالخيالِ تجلّى
لأساهُ ما كانَ من قابيلِ

أوَلم تسمعِ الحقولُ صدى صر
خةِ هابيلَ حين خرّ قتيلا ؟
أوَلم يشهدِ القطيع على الجا
ني ؟ ألم يبصرِ الدمَ المطلولا ؟

أين هابيلُ؟ أين وقعُ خُطَى أغـ
ـنامِهِ في الحقول والوديانِ؟
ليس منه إلا ضريحٌ كئيبٌ
شادَهُ في العَراءِ أوّلُ جانِ

وأتت ظلمة المساء على الحقـ
ـلِ وعاد القطيعُ من دونِ راعي
ليس إلا قابيـل يمشي كئيباً
وهو نَهْبُ الأفكارِ والاوجاعِ

ما الذي تنفـعُ المدامـعُ يا آ
دم فيما قَضَتْ بـه السنواتُ
إن يكن من فقدتَ أول مقتو
لٍ فلاُيا سيُقتَلُ العشراتُ

يا لأحزانِ آدمٍ حينما أبـ
ـصَر بابنيـهِ قاتلاً وقتيـلا
أيها المستطار لن تردع الأقـ
ـدارَ حتى إذا بكيتَ طويلا

استرح انت ، نَمْ ، دع العالَم المحـ
ـزون يحيا في ظُلْمة الأرجاسِ
دْعهُ في غيِّـه فما كان هابيـ
ـلُ القتيلَ الوحيد بين الناسِ

انها لعنةُ السماءِ على العا
لَمِ مسدولةَ الرؤى مكفهرّه
كلما ذاق قطرة من نعيمٍ
أعقبتها من الأسىْ ألفُ قطره

– الحرب العالمية الثانية –

لم يكد يستفيق من حربه الأَو
لىٰ ويهنـــا حتى رمتْهُ الرزايا
رحمةً يا حياةُ حسبُكِ ما سا
ل على الأَرض من دماءِ الضحايا

انظري الآنَ هل ترينَ سوى آ
ثار دنياً بالأمسِ كانتْ جِنانا
ليس من سحرِها سوى سودِ أحجا
رٍ تُثير الدموع والأشجانا

أينَ نُعماكِ يا بقايا القصور الـ
ـبيضِ أين الأزهار والأطيارُ ؟
هجرتْكِ الطيورُ غيرَ غرابٍ
وجفاكِ الأريجُ والإخضرارُ

أين أهلوكِ ؟ حدّثيني ماذا
يا ركامَ الأنقاضِ كانَ المصيرُ ؟
أينَ يحيون ؟ أيُّ كهف من الأر
ضِ زواهُمْ أساهُ والديجورُ ؟

أين أهلوك يا قصورُ أتحتَ الثـ
ـلجِ أم مزقتْهُمُ القاذفاتُ
أسفاً ضاقت الميادينُ بالقتْـ
ـلى وما عاد يُدْفَن الأمواتُ

في سفوحِ الجبالِ تحت ذُرَى الأشـ
ـجارِ خلفَ القصورِ والأكواخ
ليس غيرُ الموتى عظاماً وأشلا
ءً وغيرُ الكآبةِ والصُراخ

يا ملاكَ السلامِ أقبلْ من الأجـ
واءِ واهبطْ على الوجودِ التعيس
إبكِ للراقدين في وَحْشةِ المو
تِ وأشْرِقْ على الظلامِ العبوس

طُفْ بهذي القُرَى لتلمسَ أنّا
تِ الحزانى والباكينَ التعساء
وارحمِ الصارخينَ في سُمُرِ الأهـ
ـواء راضينَ بين الأحزانِ والأدواء

طُفْ بأنقاضِ عالمٍ ليس يدري
هل سيَحْظَى بمُبْهِجاتِ الحياةِ ؟
هو إن نامَ لحظةً هبَّ مذعو
راً ليبكي ويرسلَ الآهاتِ

ما دَرَى حينَ أضرمَ الحربَ إلا
حُلُمَ النَصْرِ والفَخَارِ العظيمِ
يا لقلب المسكين ! ما ينفع المجـ
ـدُ لقلبٍ مُلَوَّعٍ مصدومِ

فليُفِقْ حسبُهُ خيالاً وأوها
ماً ليَلْقَى ما قد جَنَتْ كفَّاهُ
عالم مظلم يضجُّ به المَرْ
ضَى ويشكو من الطَوَى أبْناهُ

جفَّ زهْرُ الرياضِ والورَقُ النَضْـ
ـرُ وآوتْ الى الجفافِ الحقولُ
أسفاً لم تَدَعْ لنا الحربُ شيئاً
وتلاشى الحُلْمُ الطَرُوبُ الجميلُ

من ترى يحرُثُ الحقولَ ويشدو
أغنياتِ المراحِ وقتَ الحصَادِ
أين لهوُ الأطفالِ عند البحيرا
تِ وفوقَ الثلوج في الأعيادِ

أينَ ؟ ضاع الخيالُ والحُلم الفا
تنُ ضاع الجمالُ ضاع الرخاءُ
ليس إلاّ دنيا من الجوعِ والفقـ
ـرِ عليها يعــذَّبُ الأبرياءُ

يا قلوب الأطفال لا تخفقي الا

ن [illegible] تحبا ان يرجع الآباء

عندما [illegible] ! [illegible] الذين فرقونا

بجسور قد عفى فيها البقاء

يا رُفاتَ الأموات في الأرض ماذا
رَسَم الموتُ فوق هذي العيون ؟
أيّ رعبٍ وحَسْرَةٍ وشكاةٍ
أيُّ معنىً من الرجاء الحزين

كلّ عينين فيهما صورٌ
تحكي وترثي للعالم المغرور
كلّ عينين تسخَران من العيـ
ـش وتستهزآن بالمقدور

كلّ عينينِ تنظران الى الافـ
قِ بعيداً عن كل ما في الحياةِ
آهِ يا ربِّ آه لو فهم الاحـ
ياءُ ماذا في أعـين الامواتِ

يا فتاةَ الخيالِ حسبُكِ شدواً
برثاءِ الموتى وحسبُكِ حزنا
سوف يبقى الخصام والشرّ ما عا
شَ الاناسيُّ والاناشيدُ تَفْنَى

هكذا شاءت المقاديرُ للعا
لمِ إثم وشقوةٌ وحُروبُ
وهيَ النفسُ تحملُ الشرّ والبغ
ضَ فماذا يُفيدُها التهذيبُ

كم تغنّى بالسلم والحبّ والرَحْـ
ـمةِ من شاعرٍ ومن فيلسوف
أسفاً ضاعتِ الاغاني ولم تَبْـ
ـقَ سوى ضَجّةِ القتالِ العنيفِ

يا لهذا الكون المعذب في قيـ
ـدٍ من الشرّ والاذى والآثام
كيف ينجو من الاَسى ومتى يَشْـ
ـفى من الموجعاتِ والآلام ؟

كيف ينجو والطبعُ والقَدَرُ القا
سي يَسُوقانِهِ الى الاحزانِ ؟
يَا لَقَلْبِ المسكينِ ليسَ له في
حومةِ الشرّ والشَقَاءِ يدانِ

كَمْ أراد السموَّ عن وَهْدَةِ الشر
فحالت طبائعُ الآثامْ
أرادَ النجاةَ من مخلبِ القدْ
ر فمرّت على مُناهُ النجاةْ

ما الذي رامَهُ المسيحُ لكي يُجْـ
ـزى بما كانَ ما الذي كانَ منه ؟
أيها العالمُ الذي اقترفَ الذنـ
ـبَ أما آنَ أنْ تكفّرَ عنه ؟

أوَ لم يكفكَ الشقاءُ أما زلـ
ـتَ مشوقاً الى حياة الدماءِ ؟
جئتَ تبع الدموع والدم يا كو
نُ فهلّا رثيتَ للأشقياءِ ؟

لنْ يبرحَ السماءَ من نشوةِ القتـ

ـلِ، ألا ولْيُختَمْ سِجلُّ الرزايا

وليكن من فقدتَ في هذه الحر

بِ ختامَ الذين ماتوا ضحايا

– انشودة السلام –

أيها السادرونَ في ظلمةِ الار
ض كفاكم شقاوةً وذهولا
احملوا نادمينَ أشلاء موتا
كم ونوحوا على القبور طويلا

ضمّخوها بالعطر لفّوا بقايا
ها بزَهْر الكنارِ والياسمينِ
واهتفوا حولها بأنشودة السلـ
ـمِ ليهنا في القبر كلُّ حزينِ

اجمعوا ألصبية الصغار ليشدوا
بلحون الصفـاء والإبتسامِ
أنقذوا الميّتين من ضجّة الحر
بِ ليستشعروا جمال السلامِ

فيم هذا الصراع يا أيها الاحـ
ياءُ ؟ فيم القتالُ ؟ فيم الدماءُ ؟
فيمَ راح الشُبّانُ في زَهْرة العُمْـ
ـرِ ضحايا وفيمَ هذا العداءُ ؟

أهْو حبُّ الثراءِ ؟ يا عَجَبَ القلـ
ـبِ ! وما قيمة الثراء الفاني ؟
في غدٍ رحلةٌ فهل يدفع الامـ
ـواتُ بالمالِ وحشةَ الاكفانِ

كلّ حيّ غداً الى القبر مَغْدَا
هُ فهـــل ثَمّ في الممات ثراءُ
افتحوا هذه القبورَ وهاتوا
حدّثونا أينَ الغِنَى والرخاءُ ؟

انظروا ها هنا على الشوكِ والرَمْـ
لِ ثوى الاغنيـــاءُ والمُعْدمونا
أيُّ فرْقٍ ترى وهل غيرُ صمتِ الـ
موتِ فوق القبور والراقدينا ؟

عجباً ما الذي إذن ساق هذا الـ
كون للموتِ والأذى والدَمارِ
فيم تحدو الشعوبَ أطماعُ غرٍّ
يتصبّى عينيهِ وهْجُ النارِ

نشوةُ النَصْرِ ؟ يا لسُخْرِيةِ الال
ـفاظِ ! يا لَلْأَوهامِ يا لَلضلالِ
أيها الواهمونَ حسبكمو وهـ
ـماً وهبّوا من الكرَى والخيالِ

نحن أَسْرَى يقودنا القَدَرُ الاعـ
ـمى الى ليل عالمٍ مجهولِ
ليس منا من يستطيع فكاكاً
ليس منا غير الاسيرِ الذليلِ

أبداً تأمرُ الليالي ونمشي
ليس يُجْدِي تضرُّعٌ أو بكاءُ
ليس يخشى المهاتُ صولةَ جبّا
رٍ وما يستثيرهُ الضعفاءُ

هكذا الموتُ غالبٌ أَبدَ الدهْـ
ـر ونحن الصرْعى الضعافُ الحيارَى
وله النصْرُ والفخارُ علينا
فاندبوا ما دعوتموهُ انتصارا

أيّها العالمُ المخرَّبُ قد أسـ
ـفَرَتِ الحربُ عن غلابِ المنايا
شهدتْ هذهِ القبورُ لها بالنـ
ـصْرِ يا رحمتا لتلك الضحايا

ثم ماذا يا ساكني العالم المحـ
ـزونِ ؟ ماذا من القتال جنيتُمْ ؟
هل وصلتم الى النجوم البعيدا
تِ وهل من كفّ العذابِ نجوتم؟

هل تغلَّبتُمُ على الفقر والاحـ
ـزانِ والسُقْمِ أيّها الواهمونا
أنجوتم من المـآثمِ أم لم
يَزَلِ العيشُ فتنةً ومُجُونا

أسفاً لم تزل كما كانت الانـ
ـفُسُ تحيا في إثمها الابديِّ
لم تزل خمرةُ الضلال رجاء الـ
آدميينَ في الوجود الشقيِّ

لم تزل في الوجود أغنيةُ الحز
نِ يغنّي بها الضعاف الجياعُ
لم يزل في الوجود مرضى حَيَارَى
أبداً تعتريهمُ الاوجاعُ

لا شيء باقٍ كما كان قبل الـ

حربِ غير الايتام والاموات

ظللٌ من الكآبة والحيْـ

ـرة تمشي على ضفاف الحياة

هؤلاء الأيتامُ بالأمس كانوا

صورةَ البِشْر والمراح الجميل

مثلَ الآخرين يقضون عيشاً

ما دَرَوا غير صفوه المعسول

وأفاقوا من حلمهم فإذا الأقـ

دارُ حربٌ والكونُ قتلٌ ونارُ

يا عيونَ الأطفال لا تسألي الدهـ

ـرَ علامَ اللظى؟ وفيمَ الدمارُ؟

في سبيل المجدِ المزّيفِ هذا الـ
ـهولُ لا كان مجدُهم لا كانا
في سبيل النَصْرِ المموّهِ عاد الـ
عالم الحلو في اللهيبِ دخانا

هؤلاء الصَرْعَى على الصخْرِ والشو
كِ شباباً وفتيةً وكهولا
كيف كانوا بالامسِ أيةُ رؤيا
رَسَموها فلم تَهِشّ طويلا ؟

أيّها الاشقياءُ في الارض يا من
لم تُمْتهم قذائفُ النيرانِ
عبثاً تأملون أن يرجع الآ
نَ أعزاؤكم الى الاوطانِ

انظروا ها هم الجنودُ يعودو
نَ فُرَادَىٰ مهشّمي الاعضاءِ
اهِ لولا بقيةٌ من حياةٍ
لم يُعدّوا في جملةِ الاحياءِ

عبثاً يبحثون في هذه الانـ
ـقاضِ عن أهلهم وعن مأواهم
عبثاً يسألون ما يعلم العـــا
برُ شيئاً فيـــا لنارِ أساهم

كيف ذاقوا مرارة الخيبة السَوْ
داءِ بعد الآلامِ والأدواءِ
هل نَجَوْا من براثن الموت والأسـ
ـر لكي يسقطوا أَسارَىٰ الشقاءِ؟

أيّها الأشقيـــاءُ يا زُمَر الأحـ
ياءِ في كلّ قريةٍ وصعيـــدِ
آنَ أن نستعيدَ ماضيَ حُبٍّ
هو مفتاحُ حُلْمنـــا المفقودِ

ما الذي بيننا من البغض ماذا
كان سرُّ القتـــالِ والأحقادِ
أيّها الناقمون نحن جميعاً
شَرَعٌ في أيدي الخطوب الشدادِ

نحن نحيا في عالم ليس يُدْرَى
سرُّه فهو غيهبٌ مجهولُ
تطلعُ الشمسُ كل يومٍ فما كُنْـ
ـهُ سناها ؟ وفيم كان الأفولُ ؟

ما الذي يُطْلِعُ النجومَ على الكو
نِ مساءً ؟ ما كُنْهُ هذا الوجودِ ؟
أيُّ شيءٍ هذا الفضاءُ وما سر
دُجاهُ ؟ هل خلفَهُ من حُدودِ ؟

نحن هل نحن في الوجود سوى الجه
لِ مَصُوغاً في صورة الانسانِ ؟
كلُّ ما في الأكوانِ يحكمنا ما
ذا إذنْ سرُّ ذلك الطُغيانِ ؟

فيم نطغى؟وكيف ننسى قوى الكو
نِ وما في الوجود أضعف منّا
ينخرُ الدودُ ما نَشِيدُ ولا تُبْ
قي السراكينُ والرياحُ علينا

فيم نقضي حياتنا في العداوا
تِ ونُمْضي السنينَ يأساً وحزنا؟
كيف ننسَىٰ أَنّا نعيشُ حياة الـ
وردِ سرعان ما يموتُ ويَفْنى

لن تدومَ الأَيّامُ لن يحفَظَ الدهـ
رُ كياناً لكائنٍ بَشَريِّ
فلنَدَعْ هذه الضغائنَ والأحـ
قادَ ولنحيِ في الودادِ النقيِّ

البحث عن السعادة

قد بحثنا عن السعـــادة لكنْ
ما عثرنا بكوخهـــا المسحور
أبداً نسأل الليـالِيَ عنهـــا
وهي سرُّ الدنيا ولغزُ الدهورِ

طالما حدّثوا فؤاديَ عنهـــا
في ليـــالي طفولتي وصبايا
طالما صوّروا لعينيَّ لُقْيــا
هـا وألقـوا أنباءها في رؤايا

فهي آناً ليستْ سوى العطرِ والألـ
ـوانِ والأغنياتِ والأضواءِ
ليس تحيا إلاّ على باب قَصْر
شيّدتْـهُ أَيدي الغِنَى والرخاءِ

وهي آناً في الصوم عن مُتَع الدنـ
ـيا وعند الزّهادِ والرهبان
ليس تحيـا إلا على صَخَر المعـ
ـبدِ بـين الدُّعاءِ والإيمـــانِ

وهي حيناً في الإثم والمُتَع الدُّنْـ
ـيا وفي الشرّ والأذَى والخصامِ
ليس تصفو إلا لقلب دنيءٍ
لائـذ بالشرور والآثامِ

وهي في شَرْعِ بعضهم عندَ راعٍ
يصرفُ العُمْرَ في سفوحِ الجبالِ
يتغنى مــع القطيــع إذا شا
ءَ ويغفو تحت الشَذَى والظلالِ

وهي في شرع آخرينَ ابنةُ العُزْ
لةِ والفنّ والجمال الرفيــعِ
ليس تحيا إلا على فمِ غرّيـ
ـدٍ يغنّي أو شاعرٍ مَطْبوعِ

وهي حيناً في الحبِّ يُلْهِمها سَهْ
ـمُ كيوبيدَ قلبَ كلّ محبّ
ليس تحيا إلا على شفة العــا
شقِ يشدو حياتَهُ لحنَ حبٍّ

حدَّثوني عنها كثيراً ولكن
لم أجدْها وقد بحثتُ طويلا
لم أزَلْ أصرفُ الليالِيَ بحثاً
وأغنّي بها الوجودَ الجميلا

مرَّ عُمْري سُدىً وما زلتُ أمشي
فوقَ هذي الشواطىءِ المحزونه
لم أجدْ في الرمالِ إلا بقايا الـ
شوكِ ! يا للأمنيةِ المغبونه

أين اصدافُكَ اللوامع يا شطُّ
إذَنْ أين كنزُكَ الموعودُ ؟
هاتِهِ رحمةً بنا ، هاتِ كنزاً
هو ما يَرْتجيهِ هذا الوجودُ

هاته حسبُ رملكَ الباردِ القا
سي خداعاً لنا وحسبُكَ هُزْءَا
يا لَحُلْمٍ نزيدُ منه اقترابـــاً
وهو ما زال أيّها الشطُّ ينأى

لم تَعُدْ قصّةُ السعادةِ تغريـ
ـني فدعني يا شاطىء الآهاتِ
عبثاً أرتجي العثور على الكنـ
ـز فلا شيءَ غيرُ صمتِ الحياةِ

أينَ من هذه الحياةِ ابتساما
تُ الأماني ونشوةُ الأفراحِ ؟
كيف يحيا فيها السعيدُ وليستْ
غير بحرٍ تحتَ الدُّجى والرياحِ

طال بحثي يا ربِّ أين ترى ذا
ك السعيدُ الجذلانُ أين تراهُ ؟
ليس حولي إلا دياجيرُ كونٍ
ليس يَفْنَى بكاؤه وأَساهُ

كل يوم مَيْتٌ يسيرُ بهِ الأحـ
ـياءُ باكينَ نحوَ دُنْيا الظلامِ
يا لأسطورةِ الخــلود فما الخا
لدُ غير القبور والآلامِ

يا دويَّ النُواحِ في الأَرض أيّا
ن يكفُّ الباكونَ والصارخونا ؟
ومتى ينتهي الشقاءُ متى يَرْ
تاحُ كونٌ ذاق العذاب قرونا

عالمٌ كلُّ من على وجهــــه يَشْ
قَىٰ ويقضي الأيامَ حزناً ويأسا
جرّعتْهُ السنينُ حنظلَها المرَّ
فعافَ الحيـاةَ عينـاً ونفسا

إيهِ أُسْطورةَ السعادة هـاتي
حدّثيني عن سرِّك المنشودِ
أينَ ألقاكِ ؟ أين مسكنُك المر
موقُ؟ في الأُفْق أم وراءَ الوجودِ؟

سرتُ وحدي تحت النجوم طويلاً
أسألُ الليلَ والدياجيرَ عنكِ
أسفاً لم أجدْكِ في الشاطىء الصخـ
ـريِّ حيثُ المياهُ تفتأُ تبكي

حيثُ تبقَى الاشواكُ والورد يَذْوي

تحتَ عينِ الأيّامِ والأقـــدارِ

حيثُ يفنى الصفاءُ والليلُ يأتي

بجنونِ الأنواءِ والأعصـــارِ

حيثُ تقضي الأغنامُ أيّامها غَرْ

ثى ولا عُشبَ في جديبِ المراعي

أبداً تتبعُ السرابَ وتشكو

بُخْلَ دهرٍ مزيّفٍ خَدّاعِ

حيث يحيا الغرابُ، والبلبلُ المو

هوبُ يَهْوي في عشّهِ المضفورِ

ويغنّي البومُ البغيضُ على الدَوْ

حِ ويَثْوي القمريُّ بين الصخور

حيث تبقى الغيومُ في الجوّ رمزاً
لحيـــاةٍ سوادُها ليسَ يَفْنَى
حيث تبقى الرياحُ تصفر لحناً
هو سخريّةُ المقـــادرِ منّا

حيثُ صوتُ الحياةِ يهتفُ بالأحـ
ـيـاءِ: ماذا تحتَ الدُجى تبتغونا؟
انظروا كلُّ ما على الأرض يبكي
فافيقوا يا معشر الحالمينـــا

بين قصور الاغنياء

سرتُ بين القصور وحدي طويلاً
أسألُ العابرينَ أين الطروبُ ؟
فإذا فتنـــة القصور ستارٌ
خادعٌ خلفَهُ الأَسىٰ والشحوبُ

لم أجدْ في القصور إلا قلوباً
حـــائراتٍ وعالمـــاً محزونا
ليس إلا قوم يضيقون بالأيّـ
ـام ضيق الجيـــاع والبائسينا

ليس ينجيهم الغنى من يد الأشـ
جانِ ليستْ تُنْجيهمُ الكبرياءُ
ليس يعفو المماتُ عنهم فهم حز
نٌ وصمتٌ وحـــيرةٌ وبكاءُ

كم وراء القصور من مُقَل تبـ
كي وتشكو قساوةَ المقدورِ
كم قلوبٍ تَوَدُّ ان تُبْدلَ القصـ
ـرَ بكـوخٍ على حفاف الغديرِ

إن يكونوا نجَوْا من الجوع والفقـ
ـر ولم يفترسْهمُ الحرمـــانُ
فلقد طالما أحسُّوا بجوعِ الـ
ـروح واستعبدتهمُ الأحزانُ

ان يكونوا يقضونَ أيّامهم بيـ
ـن الحريرِ الملوّنِ الجــذّابِ
فغداً تعبرُ الدهورُ وهم موْ
تى على الشّوْكِ والحَصى والترابِ

ان يكن في قصورهم من سَنا الأضـ
ـواءِ ما يُرْجع الظلامَ ضياءَ
فغداً يخمَدُ الضيــاءُ وتبقى
ظلمــةُ الليلِ بُكْرةً ومساءَ

ليس تُنْجي القصورُ من رَبْقةِ الحُزْ
نِ اذا طافَ بالقلوب دجاهُ
كم غنيٍّ يَقْضي الحياةَ شقيّاً
مُغْرقــاً في أنينهِ وبُكاهُ

كل ما في هذا الوجود من الأمـ
ـوالِ لا يستطيـعُ دَفعَ الشقاءِ
كلُّ تلكَ الكنوزِ ما غَمَرَتْ قطُّ
غنياً بساعةٍ من هنـــاءِ

يا طريقي ملْ بي العشيّة ما عا
د جمالُ القصور يَحلو لعيني
لم أجدْ وَمْضَة السعادة فيهـــا
لم أجدْ غيرَ ظلّ يأسٍ وحزن

عند الرهبان

سِرْ بنا نحو ذلك المعبد القا
ئم فوق الصخور بين الجبالِ
سِرْ بنا سر بنا لعلّ لدى الرُهـ
بانِ سرَّ النعيمِ والآمـالِ

هؤلاءِ الزُهَّادُ في القنّـةِ البيـ
ضاء حيث الصفاءُ ملء الوجود
علّهم يعرفونَ ما قد جَهِلْنا
عن شِهابِ السعـادةِ المفقودِ

قد سألتُ الرهبان عن كنزنا السِّحْ
ريِّ لكن لم ألقَ منهمْ جوابا
لم يُجِبْني منهم سوى صوتِ محزو
نٍ يغنّي ويجرَعُ الأوصابا

لم أجدْ في تلك الصوامعِ غير الـ
أوجُهِ الشاحباتِ والديجورِ
لم أجد غيرَ وحشةٍ تبعثُ اليأ
سَ وصمت كمثل صمتِ القبورِ

هؤلاء الأشباحُ مـــاذا تراهم ؟
آدميّونَ أم بقايا طُيوفِ
فيم جاءوا هنا وأيةُ سلوىً
وجدوها ما بينَ هذي الكهوفِ

في بعيدِ الآفاقِ تحتَ دياجيـ
رِ وجودٍ تمشي الكآبةُ فيهِ
حيثُ ما زالتِ الحياةُ كما كا
نتْ على عهدِ آدمٍ وبنيـــهِ

حيث لا زهر لا عرائش لا أشـ
جار لا شيءَ غير هذا السكونِ
لا جديدٌ فيه سوى موتِ حيٍّ
من بنيهِ ما بينَ حينٍ وحينِ

أيّها الراهبُ الذي يقطعُ العُمْـ
رَ وحيداً في كوخِـهِ المكفهرّ
هاتِ حدِّثْنيَ العشيَّةَ عمـــا
عند دنياكَ من نعيمٍ وبشْرِ

حدّثوني عنكم فقالوا حياةٌ
من نعيمٍ وأنفُسٌ من نقاءِ
عجباً أين ما يقولونَ ؟ ما لي
لا أرىٰ غير حَيْرةِ الأشقياءِ

ما الذي عندكم من البشر والأفـ
راحِ ؟ ماذا يا أيّها الزاهدونا ؟
ليس الا عُمْرٌ يمرّ حزيناً
يتهاوىٰ كآبــــةً وسُكونا

حدّثوني عنكم فقالوا قلوب
نُسجتْ من نقـاوةٍ وثَرّاءِ
ونفوسٌ صيغَتْ من الزهْرِ والعطـ
رِ وهامتْ مع السَّنَا والنَّقَـاءِ

أين هـذا الذي يقولونَ عنكم
أيّها الراهبونَ ؟ أين تراهُ ؟
إسمُ (تاييسَ) لم يَزَلْ يملأُ الكو
نَ فأينَ الذي أضلّت خُطَاهُ ؟

ما نَسِينا غَوَاية الراهبِ المِسْ
كينِ في حبِّها ، وكيف هداها !
يا له بائساً سَمَا بابنــــةِ الإثـ
ـمِ الى قمّة السَّماءِ وتاهـــا

أيّهـــا الراهبون لن تنبت الأز
هارُ والعطرُ والسَّنَا في النفوسِ
عبثاً تَهْربونَ من مُغْريات الـ
عَيْشِ كم في الوجودِ من تاييسِ

لن تذوقوا شهدَ السعادةِ ما دمـ

تم أناسيَّ من ترابٍ ومـــاءِ

كتبت هذهِ الطبيعــــةُ للأحـ

ياءِ أن يَكرْعوا كؤوسَ الشقاءِ

أوَ تَنْسَوْن أنـــكم لم تزالوا

مثلما كنتمو حَيارَى حزَانَى

لم تَزَلْ فتنةُ الوجود تناديـــ

كم وتُهْفيكمُ الى ما كانـــا

لم تَزَلْ ذكرياتُ أمْسِكُمُ المهـ

جور تحيا في الأنفسِ المحزونه

وخيالٌ من عـــالمٍ فاتنِ الألـ

وانِ ملءَ المشاعر المغبونــــه

أيها الراهبونَ ماذا إذَنْ نفـ
ـعُ اعتزالٍ تشوبُهُ الصبواتُ
آهِ عودوا الى مصارعـةِ الدهـ
ـر وعيشوا كما تشاءُ الحيـــاةُ

أيها المعبدُ الحزين وداعـــاً
أنت يا من لاذتْ به آمـــالي
لم أجدْ في حِمَاكَ زهرةَ أحلا
مي فيا ضَيْعةَ السُّرَى والكلالِ

لم أجد زهرةَ السعادةِ والأفـ
ـراحِ عند الزّهادِ والراهبينا
آهِ ضاعتْ أيّامُ عُمري وما زا
لَ شِراعي يطوي فراغاً حزيناً

عند شط الحياة ألقيتُ مَرْسَى
زورقي في الضبابِ تحت الظلامِ
أرقُبُ السائرينَ في الشاطىءِ الصخ
ريِّ بين الوهـــاد والآكامِ

أين ألقاكِ يا سعادةُ ؟ هــاتي
حدّثيني فقد بحثتُ طويـلا
طـال تيهي فنبئيني متى يبـ
ـلغُ قلـــبي مقرَّكِ المجهولا

أولَم أقطعِ البحـارَ الى الرُّهْ
ـبانِ والزاهدينَ في الصحراءِ
أوَلم تُنْكر الفضيـــلةُ ألوا
نَكِ يا لهفتـاهُ ضاع رجائي

- مع الاشرار -

قد رقبتُ الأشرارَ حيناً فلم أعـ
ـثر لديهم على سنـاك الحبيب
فهمُ البـــائسونَ تَطْحنُهم أيـ
ـدي الليالي بما جَنَوا من ذنوبِ

ورأيتُ الطغاةَ يحيون محزو
نين بين الأوهـــامِ والأشباحِ
ليس يشفيهمُ من الحزن واليـأ
س دواءٌ فالداءُ في الأرواحِ

فاذا أخمدوا هُتافاتِ مظلو
مٍ فما يُخْمدون صوتَ الضمير
ذلك الراقبُ الإلهيُّ في النفـ
س لسانُ الهدَى وصوتُ الشعور

أبداً ساهرٌ يراقبُ أقـــدا
رَ الليـــالي وسَطْوة الأيّامِ
أبداً يرمقُ الحياةَ من الأعـ
ماقِ ، مُستهزئـــاً من الأعوامِ

فاذا حادتِ القلوبُ عن الخيـ
رِ علا صوتُ ذلكَ الجبّارِ
فَهُو الناقمُ النبيلُ على الشرِّ
وقاضي الطُغَاةِ والأشرارِ

كيف ينجو الأشرارُ من شقوة الرو
حِ وصوتُ الضمير بالمرصادِ
لا ملاذٌ من حاكمٍ يملكُ الرو
حَ بما في كفَّيْــــهِ من أصفادِ

عجباً أينَ تلتقيكِ حيَاتي ؟
يا ضفافَ السعادةِ المنشوده ؟
جبتُ هذا الوجود أبحث لكن
لم تزالي الحقيقــــةَ المفقوده

جهلتْكِ الدنيا فلا أحدٌ يعـ
ـلم ما أنتِ واقعٌ أم خيالُ ؟
كلُّهـــم يسألون عنكِ ولكن
لم تحدِّثْ بسرِّكِ الآزالُ

ها أنا ذي حملتُ قلبي على كفّـ
ي وسرتُ الحياةَ أبحثُ عنكِ
أسألُ العابرينَ هل فيهمُ من
قد رَوَى قلبَهُ المشوّقَ منكِ

* * *

في الريف

عند هذي الأكواخ شاعرتي أ لْ
قي المراسي تحتَ الفضاءِ الصاحي
أنظري أيُّ عالم فاتنِ المجـ
لَـىٰ بعيدٍ عن ضَجَّـة الأتراحِ

أنظري علّنا بلغنا أخـــيراً
ذلكَ الشـاطئَ الذي نتمنَّىٰ
بعدَ ليلٍ من المسـير طويلٍ
ضاعَ فيه عمري كَلالاً وحُزْنا

أنظري أنظري هنا العُشُبُ الأخـ
ـضرُ نشوانَ في سُفوحِ الجبالِ
عندَ نبـعٍ من قُنّةِ الجبلِ الأبـ
ـيضِ يَجْري تحتَ السَّنا و الظلالِ

الصباحُ الجميلُ قد توَّجَ الود
يان بالضوء والجمـــال البهيجِ
ما أحبَّ الحياةَ في هذهِ الجنّـ
ـةِ تحتَ الضياءِ بين المروجِ

ما أحبَّ الصفاءَ يحتضن الأشجـ
جارَ والواديَ النضيرَ الخصيبا
ما أرقَّ الأزهارَ في مَهْدها الور
ديِّ ما أعطر الرُبَى والسهوبا

كلُّ شيءٍ في هذه الجنّة الحلْ
وةِ يوحي بأننا قد وصلنا
ها هنا شاطئُ السعادةِ هذا
حُلْمُ قلبي فما ألذَّ وأهنا

فلنُطِفْ بالعرائشِ الخُضْرِ فلنَغْ
نَمْ صفاءَ الحياةِ بَعْدَ أَساها
فلتجفَّ الدموعُ فليمضِ أمسٌ
مرَّ بالقلبِ باكياً أوّاها

ولنعش للصفاءِ يفتنُ دنيا
نا غناءُ الرُعاةِ عند الجبالِ
ونشيدٌ تُديرُهُ شَفَتا طفـ
ـلٍ يُغنّي على تلولِ الرمالِ

وقطيعُ الأغنامِ في المرْج تحتَ الظـ
لِّ والفجـرُ والنَدَى والنسيمُ
وليالي الحصادِ والقَمَرُ السِحْـ
ـرِيّ والطيفُ والصَدى والغيومُ

فلنُقَضِّ الحياةَ في هذه الجنـ
ـةِ ناسينَ حادثاتِ الحياةِ
ها هنا فتنةُ الطبيعة تُنْجي الـ
ـكائنَ الحيَّ من خيالِ المماتِ

ها هنا أستطيـعُ أن أفهم السرَّ
فَفيم الأسى وفيم البـكاءُ ؟
هل خَلَتْ هذه المجالي من الأغـ
ـنامِ يوماً ؟ وهل تعرّى الفضاءُ ؟

ها هنا يستطيعُ أن يفهَمَ القلـ
ـبُ جمالَ الدنيا وسرَّ الخلودِ
كل حيٍّ باقٍ فإن ماتَ غرِّيـ
ـدٌ فكم في الأعشاشِ من غرِّيدِ

ها هنا كلُّ زهرةٍ تبعثُ العطـ
ـرَ فإن تَفْنَ فالشَذَى غيرُ فانِ
كم زهورٍ ستنشرُ العِطْرَ والألـ
ـوانَ من بعدُ في فضاءِ المغاني

ها هنا إن يَسِرْ أبولو بضوء الشـ
ـمسِ نحوَ المغيبِ كلَّ مساءِ
فالنجومُ الملألئاتُ جمالٌ
شاعريٌّ الألوان والأضواءِ

ها هنا تنطقُ العرائشُ بالشِعْـ
ـرِ وتحنو على مجاري الجداول
ها هنا تستحمُّ آلهـــة الأنـ
ـهار في الماء تحت ظلِّ الخمائل

كلُّ شيءٍ حُلْوٌ فأينَ ترى السكـ
ـانُ ؟ أين الفلاّحُ والقُطْعانُ ؟
فيمَ لا يملأون عـــالَمَهم لهـ
ـواً ؟ وأين الآمال والألحانـــ ؟

سرتُ فيه وحدي أسائلُهُ عن
ساكنيهِ وأيُّ وادٍ حوَاهم ؟
أيُّ لحنٍ يرنّمونَ اذا الشمـ
ـسُ أطلّتْ ؟ وما ترى نجواهم ؟

كيف يحيَوْنَ في صفاءٍ من العيـ
شِ بعيدٍ عن قَسْوة الضرّاءِ
أأظلّتهمُ السعـــادةُ بالأحـ
ـلامِ أم هُم كسائرِ الأشقياءِ

أتراهم يرنّمونَ الأغـــاريـ
ـدَ ويَلْهُونَ في ليالي الحصادِ
تحت ضَوْءِ النجومِ والقَمَرِ البا
سمِ بين العطورِ والأورادِ

أتراهم أولئك البَشَر اللا
هونَ بيـن الجمال والأحلامِ ؟
أتراهم كما تخيّـــل قلبي ؟
أم تراني أمعنتُ في أوهامي

يا رُعاةَ الأغنامِ في السفح عند النـ
ـبـعِ بين العرائشِ السّنْدسيّة
حدّثوني عن أغنياتكم الجذْ
لَى وعن بسمة القُرَى الشاعريّه

حدّثوني عن الربيع إذا مرَّ
على هذه القُرَى والشطوط
حدّثوني عن الحصَادِ ومجنى الـ
زهرِ والبرتقالِ والبلّوط

حدّثوني ما لي أراكم حزانى ؟
كلُّ راعٍ في وحشةٍ واكتآب
كلُّ راعٍ جهمُ الملامح لا يشـ
ـدو ولا يَزْدهيه سحرُ الغابِ

أنت يا أيّها الحزينُ أجبني
أيُّ حزنٍ في مقلتيكَ أراه ؟
أي قيدٍ من المرارة واليـأ
س أظلَّتْكَ يا كئيبُ يداه ؟

كيف يَشقَى من في حِمى هذه الجنّـ
ـةِ يحيا وتحت هذي السماءِ
كيف يَشقى الراعي وبين يدَيْهِ
جنّة من مفاتنٍ وضياءِ

أسفاً قد خُدِعْتُ لم تَصْدُقِ الأحـ
ـلامُ فيما رسمن من أفراحِ
لم أجدْ عند ذلكَ الشاحبِ
الصامتِ إلا مرارة الاقداحِ

فهو عندَ الينبوعِ ينظرُ في الظلِّ

إلى الأفْقِ شاحباً مصدوما

ممعناً في الجُمُودِ والصمتِ كالمو

تَى يُنَاجي الفضاءَ يرْعَى الغيوما

لم تزلْ قربَهُ على العُشُبِ النا

دي عظامٌ لكائن مقتولِ

هو ذاكَ الراعي الصغيرُ الذي را

حَ طعاما للذئبِ بين الحقولِ

إيه راعي الأغنامِ يا أيّها المق

تولُ فوق العُشْبِ الندِيِّ النضيرِ

كيف ماتَ الراعي ولم تَمُتِ الأغ

نامُ يا المقدّرِ المسْطورِ

يا لَحكمِ الأقدارِ يا راعيَ الاغ
نامِ يا ظُلْمَ ما تُريدُ الصروفُ
كيف تَفْنَى الاشواكُ حارسةُ الزه
رِ ويَبْقى الوردُ الرقيقُ الضعيفُ ؟

انهــا قصَّة الطبيعةِ يا را
عي قتال وأدمعٌ وشكاةُ
ان تكنْ قد قُتلتَ فالثارُ باقٍ
وغداً تَقْتلُ الذئابَ الرُعاةُ

نازعتنا البقاءَ في هــذه الأر
ض وحوشُ الاحراشِ والاطيارُ
فلنــا النصرُ مرّةً ولهم أُخْ
رى كما تبتغي لنا الاقدارُ

فعزاءً يا أيّهـــا الجَسَدُ المصـ
ـروعُ في غمرة الكرى الابديّ
قد بكاكَ الراعي الصديقُ وما زا
لَ غريقاً في حُزْنِهِ الاخويّ

لم يَزَلْ جامداً على حافةِ النبـ
ـعِ وفي مقلتيه دَمْع الشجونِ
يرقب الماءَ شاكياً قسوة الاقـ
ـدار مستنكراً ضلال المنونِ

صامتاً ساهماً بعيداً عن الاغـ
ـنامِ حيرانَ في ضَبَاب الوجودِ
رازحاً تحت وَطْاة الأَلَمِ الطا
غي مُشيحاً عن الشذى والورودِ

كلما جفَّ دمعُهُ ذكر المقـ
ـتولَ والذئبَ فاستردَّ أساهُ
يا لَأَحزانِهِ المُلحّاتِ يا للـ
ـهولِ ماذا ترى يعيدُ صفاهُ ؟

السَّنا والجمال ؟ يا حَيْرةَ الرا
عي ويا ضَيْعةَ السنا والجمالِ
بعد حينٍ ستَعْصفُ الريحُ بالصَفْـ
ـصافِ والوردِ في سُفوحِ الجبالِ

بعد حينٍ يأتي المساءُ كئيباً
ويلفُّ الجبالَ بالأحزانِ
ويسودُ السكونُ غير هُتافٍ
ردّدتْهُ ضفادعُ الغدرانِ

غيرَ صوت النشيج في قرية الرا
عي تعالَى تحتَ الدُجى المنشورِ
غيرِ صوتِ القَدُومِ يُعْمِلُهُ الحفّـ
ـارُ في الارض بين صَمْتِ القبورِ

ثم يمضي الليلُ العميقُ الى غيـ
ـرِ رُجوعٍ وتبسِمُ الاضواءُ
ويعودُ القُمْريُّ يَصْدحُ جذلا
نَ كأنْ ليس في الحياة شقاءُ

غيرَ دارٍ ماذا يعذِّبُ أهل الـ
قرية البائسين من آلامِ
غيرَ دارٍ ما خلفَ اكواخهم من
رَعَشاتٍ ولوعةٍ وسَقامِ

لَيسَ يدري القُمْريُّ لا ليس يدري
ما وراء الاكواخ من حِرْمانِ
ليس يدري أَنَّ الطبيعةَ تَقْسو
ليس يدري مرارةَ الاحزانِ

ليس يدري ماذا وراء بيوت الط
ين هذي من وحشةٍ وظلامِ
ليس يدري ماذا يهزُّ الخيامَ الـ
سودَ من لهفةٍ ومن آلامِ

ليس يدري القمريُّ ما يُحْزنُ الفـ
لاحَ في كوخهِ وليس يراهُ
ليس يدري أَنَّ الأَماسيَّ قد تمـ
ضي عليهِ وما يغيبُ أساهُ

ليس يدري ما يفعلُ الجوعُ والحز
نُ بأهلِ الاكواخِ كلَّ شتاءِ
حينما تَغمُرُ الثلوجُ ثرَى المر
جِ وتطغَى عواصفُ الاجواءِ

حينما في حَضائرِ القريةِ الحي
رَى يموتُ القطيعُ موتَ غبينِ
حينما تُذبلُ العواصفُ زهرَ الـ
لوزِ والبرتقالِ والياسمينِ

حينما تدفن الثلوجُ حقولَ الـ
قمحِ يا رحمتاه بالفلاّحِ
حينما يصرخُ الجياعُ الحيارَى
في ظلامِ الأكواخِ كلَّ صباحِ

أيّها الصادحُ المغرِّدُ فوق الـ
ـدوحِ طِرْ عنْ هذا الوجودِ الأليمِ
دَعْ أساهُ يا طيرُ لي أنا وحدي
واحيَ أنتَ الجذلانَ بين الغيومِ

دعْهُ لي دَعْ آمالَ قلبيَ تذبل
بعد بحثي الطويل في الكون عنها
دع فؤادي يَعُدْ الى ظُلْمة الاحـ
زانِ واخلص يا بلبلي أنت منها

خيّبتْ هذه القُرَى حُلْوَ أحلا
مي فلا رَسْمَ للسعادة فيها
ليس يدري الراعي المعذَّبُ مأوا
ها ولا كان مرّةً من بنيها

خدعتني الأوهامُ ليس لدى الرا
عي رخاءُ الحياةِ ليس لديهِ
فهو ذاك المكدودُ تصهرُهُ الشم
سُ ويقسو الحصى على قدميهِ

يتمنّى أن لو تبدّلَ بيتُ الط
ين قصراً على حفافِ المدينه
ويُريدُ الحياةَ لهواً فلا أغـ
نامَ تثغو ولا نفُوسَ حزينه

يا لوهم المسكين ، كم من شقيٍّ
في ظلال القصور كم مصدومِ
ليس للمال أن يُذيقَ فؤاداً
بشريّاً معنى الرضى والنعيمِ

يا سفيني ما عاد في القرية الحلـ
ـوةِ مرسىً لنا ففيمَ البقاءُ
ليسَ تحتَ الصَفْصاف إلا بيوتُ الطّـ
ـين والسُقْم والطَوَى والبكاءُ

أقلعي أقلعي بنا قد سئمنا
صرَخاتِ الجياع في كلّ شِعْبِ
قد رأينا الدموعَ في كلِّ عينٍ
وشَهِدْنا الشقاءَ في كلِّ قلبِ

ما الذي يا سفينُ يُغْري بأن نَبْـ
ـقى إذن ؟ ما الذي ترى يُبْقِينا ؟
هل وجدنا طيفَ السعادة هل في
هذه الارضِ فرحةٌ تُغْرِينا ؟

— بين الفنانين —

انشري يا سفينُ أشرعةَ السيـ
ـر وشُقّي عُبابَ هذي الحياةِ
ثم أرسي بنا على شاطىء الفنِّ
وبين الاشعار والاغنياتِ

علَّنا واجدونَ في ذلك الشا
طيء ظلَّ السعادةِ المتمنَّى
علهم قد ترشّفوا شهدَها السا
حرَ حتى صاغوه شعراً وفنّا

طالما صوّروا لألحانهم ما
قد دَعوْهُ بنشوةِ الفنّانِ
طالما حدّثوا عن الاملِ الحلـ
ـوِ وغنّوا بالنور والالوان

فلنقف عندهم إذن ولنراقبْ
ركبَ أيّامهم وكيفَ تمُرُّ
أتراها ليلٌ ودمعٌ وحزنٌ ؟
أم تراها فجر وضِحْكٌ وبِشْر ؟

– مأساة الشاعر –

قد هبطنا في شاطىء الشعر والفن
فماذا فيه من الافراحِ ؟
ها هو الشاعرُ الكئيبُ وحيداً
تحت سمع الآصال والأصباحِ

أبداً ساهمٌ يراقبُ أيّا
مَ حياةٍ لا تنقضي بَلْواها
لا يرى الواهمون غير ضُحَاها
ويعيشُ الفنّانُ تحت دُجاها

يرقبُ الاشقياءَ في ظُلْمة العَيْ
ش ويبكي لهم بكاءَ غبينِ
ويصوغ الالحانَ يرثي لبلوا
هم ويبكي على الوجودِ الحزينِ

طالما باتَ ساهدَ الطرف حيرا
نَ يُسرُّ الظلامَ أحزانَ شاعر
لا يَرَى في الحياة إلا وجوداً
ظلّلتْهُ يدُ الشقاء العاصرْ

أبداً لا يَرَى سوى مسرح المأ
ساةِ بين الدموع والتنهيد
وستاراً من الدُجى يتجلَّى
كلَّ يومٍ عن ميِّتٍ ووليدِ

واكتئاباً يمشي على صور الكو
ن جميعاً ولوعةً وشقاءَ
ودموعاً تلوحُ في كل عَيْنيـ
نِ ودهراً يخادعُ الاحياء

ليس يَلْقَى الحياةَ إلاّ حزينَ الـ
قلب حيرانَ في هموم الحياةِ
كلما أنَّ بائسٌ ذرف الشا
عرُ دمع الأَسى على المأساةِ

واذا أذبلَ الجليدُ زهو الـ
لوز رانَ الاَسىٰ العميقُ عليهِ
واذا ماتت البلابلُ ظمأى
جال دمعُ الرثاءِ في مُقْلَتَيْهِ

فهو قلبٌ قد صيغَ من رقّة الزهـ
ـر وعينٌ قد طُهّرتْ بالدموعِ
وحياة حسّاسة ليس يدري
سرَّها غيرُ شاعرٍ مطبوعِ

هي عمر ظمآنُ تعصُرُهُ العُزْ
لةُ عَصْراً ، يمرُّ كالآزالِ
في سكونٍ لا صوتَ يُسْمَعُ فيه
غيرُ صوتِ الصَرَّارِ تحت الليالي

غير همس الحمام في الجَبل المو
حشِ أو لحن بلبلٍ مهجورِ
وحفيف الأشجار في قبضةِ الرّ
يحِ وصوت الرعود في الديجورِ

غير همس الأشباح ملء دُجى الشا
عرِ في ليله الطويل الجديبِ
يتلقّى الأشعارَ عنها ويحيا
أبداً في حمى الأَسى والشحوبِ

أيها الشاعرُ الذي يسهرُ اللي
لَ وحيداً مستغرقاً في الجمود
مُحْرِقاً روحَهُ بَخُوراً على حبِّ
(أبولو) ووحيهِ المنشودِ

ساهداً حانياً على القلم الشا
عر يرثي الدجى ويبكي السنينا
راسماً للحياة صورتَها المرّ
ةَ بين الجياعِ والبائسينا

أطفىء الضوءَ أيّها الشاعر المتـ
عبُ وارحم فؤادَكَ الموجوعا
كاد يخبو ضوء السراج وتأتي
ظُلُمات الدُجى عليه جميعـــا

رقد العالَمُ المعـذَّبُ تحت الـ
ليلِ فارقد واترُكْ بقايا النشيدِ
حسبُكَ الآن ما سهرتَ مع الحا
رسِ تَرْثي لليـــله المكدودِ

قد أوى الحارسُ الكئيبُ الى الكو
خِ الى غمضة الكَرَى والطيوفِ
فكَفَى يا حزينُ عطفاً على الكو
نِ ورفقـــاً بقلبك الملهوفِ

عجباً كيف تُسهِرُ الشاعرَ الُملْ

ـهَمَ أحزانُ من عن الحزنِ ناموا

كيف ترقا مدامعُ الورد في الحقـ

ـل ويبكي على أساها الحَمَامُ

آه يا شاعري المعذّبَ ماذا ؟

أكذا تصرف الحيـــاةَ غبينا ؟

في سبيل الوحي السماويِّ تحيا

شاحب الوجه متعباً محزونـــا

بعتَ بالشعر لهوَ أيّامك الظمأ

ى وعُفتَ الحياةَ عيناً وقلبا

ونذرت الشبابَ والحبَّ للفنـ

ـنِّ لتحيـــا على الجراح مُحبّا

ليس يعنيكَ أن ترافقَك الأحـ
ـزانُ ما دمت مُلْهَماً صدّاحا
ليس يُرْضيك غيرُ لحنٍ تغنّيـ
ـه وان صغتَهُ أسىً ونواحا

ليس تُعْطي الحياةُ للشاعر المجـ
ـدَ اذا لم يَذُقْ هموم الحياةِ
ليس تسمو الأرواحُ ان لم تطهّرْ
ها معـــاني الدموع والآهاتِ

فاذا أشحبَ الأسى وجنةَ الشا
عرِ أو بات ليلَهُ أوّاها
واذا عضّ قلبَـــهُ مخلبُ الحز
نِ وضاقت حياتُهُ بأساهـــا

خاطبتْهُ الحياةُ : يا شاعري المل

ـهمَ يا ابن الشحوب والآلامِ

النجومُ الوضاءُ لا تبعثُ السحـ

ـرَ اذا لم يَسدَلْ ستارُ الظلامِ

والذي يجمعُ الزهورَ يدوس الـ

الشوكَ يا شاعري ويمشي عليهِ

والذي يعشقُ الطبيعةَ لا يَثْـ

ـقُلُ صمتُ الدُّجى على مِسْمعيه

فاحتمل ما استطعتَ أحزان عمر

هو لولا الأحزانُ ما كان شيّا

وادفنِ النورَ في جفونك مَيْتاً

وابعثِ الشعرَ من فؤادك حيّا

غنِّ هذا العذابَ صف للحياة النـ
اسِ ماذا يُبْكي فؤادَ الشاعر
صِفْ لهم كيف يصرفُ العمرَ حيرا
نَ ويحيا على أساهُ العاصر

صفْ لهم ذلك الصراعَ صراعَ الـ
فكر والقلبِ في ظلامِ الحياةِ
كلَّما أخفتَ النعيمُ صراخَ الـ
قلب ضجَّ الفكرُ الأبيّ العاتي

فهما في حياتِهِ نبعُ أحزا
نٍ يَردّ الحياة أفْقاً كئيبا
وهما الثائرانِ لا بدَّ من صو
تهما وليكنْ دماً ولهيبا

شرعة الفكر أن يغرِّدَ بالشعـ
ـر ويشدو وان يكـن محزونا
ومُنَاه السموُّ للعـــالم الأعـ
لىٰ وان يَلْق في الطريق المنونا

فهو أُفْقٌ حرٌّ يريد حياة الـ
عقل في معزلٍ عن الإحساس
وسواءٌ لديه أن يشحبَ الشا
عرُ أو أن تقسو عليه المآسي

أفليس الشحوبُ والألمُ العـــا
صرُ نبعاً للشعر والألحانِ
أو لا تقنعُ الحياةُ من الشا
عر باللحنِ في حِمَى الحرمانِ ؟

فيمَ كان الصراعُ يبعثــه القلـ
ـب إذنْ فيم ؟ فيم لا يطمئنُّ
فيمَ يأبَى الحياةَ في وحشة العُزْ
لةِ والفكر فيم يمضي يئنُّ ؟

هكذا تصرُخُ الخواطرُ بالشا
عر في ليله ، فان جاءَ فجرُ
ورأى الراعيَ الصبيَّ يسوقُ الـ
غنمَ الظامئاتِ لم يبقَ شِعرُ

ومضى القلبُ صارخاً أين حبِّي ؟
أين لهوي ؟ وفيمَ أبقَى أسيرا
أبداً لا أني أضحّي بأفرا
حي،وأحيا ذاكَ الحزينَ الكسيرا

من بكائي تصوغُ شعرَك للكو
نِ ومنّي المُنَى ومنّي الحنينُ
من دمي هذه الملاحمُ فارحم
ني أنا العاشق الشجِي المغبونُ

انطلقْ بي دعني أذقْ فرحة الحبِّ
لعلّي من الشقـــاءِ أفرُّ
ما غَنَاءُ الأشعارِ يا شاعري المت
عَبَ ان كانتِ الحيـاة تمرُّ ؟

ليس يُغْني عنكَ النشيدُ اذا متَّ
حزيناً وليس يرويك لحنُ
لا تَقُـلْ في غدٍ غدٌ نَدَمٌ قا
سٍ على ما مضى ويأسٌ وحُزْنُ

تحت ثقْلِ الثَرَىٰ وفي وحشة المو
تِ سيخبو هذا النشيدُ ويَفْنى
فاذا لحنُكَ الذي صغتَهُ يأ
ساً وحزناً للناعمينَ يُغَنّى

وستُنْسَى أنت الذي ملأ الدنـ
ـيا جمالاً وماتَ ظمآنَ جَهْما
وسيُبْلِي الترابُ ما يتبقّى
منك يا مستطارُ لحماً وعظما

ثم ماذا ؟ غداً يقولونَ قد كا
نَ فتىً بيننا طواهُ الهزالُ ؟
ما رأينا منه سوى طيفِ إنسا
نٍ فقدناهُ واصطفاهُ الخيالُ

سيقولون شاعرٌ رَكبتْهُ
لُوثَةٌ فانزوَى وعاشَ غريبا
أبداً يرقب الفضاء يصيد النـ
ـجم أو يحصدُ الظلام الكئيبا

يرمق الزهر من بعيدٍ وفي عيـ
ـنَيْهِ أحلامُ عاشقٍ ولهانِ
جامداً قانعاً بعُذْريِّ حبٍّ
يكتفي بالعطورِ والألوانِ

أيها الشاعرُ السجينُ كفانا
غربةً في حياتنا ووجوما
حسبُكَ الآنَ ما خضعتَ لصوت
العقل وارحم شبابَكَ المحروما

وبمرّ النهار والشاعر المغـ
بونُ حيرانُ بين فكّي أساهُ
بين همس الصوتين يحيا كئيباً
ويناجي طيوفَـــهُ ومُنَـاهُ

فاذا جاش قلبُهُ بمعـــاني الـ
يأس ألقى أحزانَهُ في النشيدِ
لائذاً باليَرَاع يسكبُ فيـــه
ما يُعَاني من العذابِ الشديدِ

ساكباً روحَهُ على كل بيتٍ
ناحتاً من فؤادِهِ الألحـــانا
راضياً بالشُحوب والسُقْم حبّاً
لأبولو مُسْتَسهـــلاً مـــا كانا

كلُّ بيتٍ من شعرهِ يتقــاضا

هُ شحوباً ورعشةً وسَقامـــا

فهو في لحنه يُذيبُ صبــاهُ

ويضيـعُ الشبابَ والأحلامـا

ثم ماذا ؟ سرعانَ ما يزأر الإعـ

صارُ، والزهرةُ الجميلةُ تَذْوي

وإذا الضوءُ في الأعاليّ يخبــو

وإذا النجمةُ الوضيئةُ تهوي

ويغيبُ الضياءُ في ليلِ قبرٍ

ليس تبكي له سوى الأمطارِ

ليس يرثيه غير ذاوي صِبـاهُ

وبقايا القيثـــارِ والأشعـارِ

ذلك الشاعرُ الذي كان يحيا
عمرَهُ باكيـــاً على كلِّ باكِ
ذلك العاطفُ النبيلُ على الأَحـ
زان ذاكَ الُملْقَى على الأشواكِ

نبذْتهُ الأيام في قبره المـــو
حش تحت الرياح والظلمـاتِ
حيثُ لا آهةٌ يُصَعِّدُها قلـ
ـبٌ ولا دمعةٌ على المأســـاةِ

هكذا في العذاب تمضي حياة الشـ
ـاعرِ الملهمِ الرقيقِ وتُنْسَى
هكذا يمـلأ الوجود جمـــالاً
ويـذوق الآلام كاساً فكـأسا

هكذا كلُّ شاعرٍ فارحلي بي

يا سفيني عن عــــالَمِ الشعراءِ

ولندْعهم في ذلك الشَجَنِ العا

صفِ بين الآهـات والأدواءِ

ولنسر في بحر الحياة كما كنّـ

ـا ونُلْقي المرَسى على كل ساحلْ

ربما يا سفينُ نَلْقَى ضيـــاءً

يتجلّى بعــــد الظلامِ القاتلْ

عند العشاق

ربمـــا كان في حياة المحبيـ
ـنَ رجاءٌ أو دفقةٌ من ضياءِ
ربما كانـ عندهم ذلكَ الإكـ
ـسيرُ بين الخيـــالِ والأهواءِ

شاطىءَ الحبِّ أيّها اللامعُ الخا
دعُ هاتِ الحديثَ عن أبنائكْ
صفْ مُنَاهم وبِشْرهم وأساهم
صفْ لنا ما اختفىْ وراء صفائكْ

صِفْ لنا كيف يعصرُ العاشقَ الشو
قُ الى من ينامُ عن بلواهُ
كيف يلهو به الخيالُ فيُمْضي الـ
ليلَ سهرانَ غارقاً في مناه

صِفْ حياةَ الذي استبدَّ به الحبُّ
فخال الحياةَ جنّةَ سِحْرْ
ومضى فاتحاً ذراعيه للنـو
رِ يصوغُ الحياةَ ديوانَ شِعْرْ

يلثم الزهْرَ في الحقول ويشدو
لليالي الحصادِ لحنَ هواهُ
راقصاً كالفراش للقَمَر الحلـ
ـو خلياً من يأسِهِ وأساهُ

راسماً للغدِ الجميلِ من الأحـ
ـلام ما لا تطيقُـــهُ الاقدارُ
سادراً في أوهامِهِ غيرَ دارٍ
أن هذي الحياةَ هولٌ ونارُ

في يديه كأسُ الرحيق يغنيـ
ـه على مِسْمعِ النهار ويَشْربْ
وعلى ثغره ابتسامةُ مخـــدو
عٍ يُغنّي له الشقاءُ فيطرَبْ

ثم يخبو الضيـــاءُ ذات مساءٍ
ويُفيقُ النشوانُ بالاوهامِ
فاذا الحقل ذابـــلٌ لا زهورٌ
لا فراشٌ لا شيءَ غير الظلام

أين تلك الأحلامُ؟ كيف ذوى الحبُّ؟
وأين الوجهُ الحبيبُ النضيرُ
يا لَغَدْرِ الايامِ لم تحفظِ العهـ
ـدَ لقلبٍ جَنَى عليه الشعورُ

وتمرّ الحياةُ والعـــاشق المهـ
ـجورُ قلبٌ دامٍ ووجهٌ شاحبْ
أبداً يُرجعُ الخيال الى الما
ضي ويبكي على الغرام الذاهب

أبداً يَرْمقُ الحياة كئيبـــاً
من وراء الدموع والاحزان
ويراها الذئبَ الذي ينهشُ القلـ
ـبَ ويقسو على الاسى الإنساني

أبداً يسأل الظـلام حزينـــاً
شاردَ الفكر أين ألحانُ قلبي
أين زَهري وأين بلبليَ المنـ
شودُ ؟ ماذا أضاع أحلامَ حبّي؟

أين تلكَ التي سكبتُ عليها
من حياتي ومن فؤادي ولحني
أين تلكَ العيونُ تُلْهِمُ أحلا
مي وتمحو غشاوة الحزن عنّي ؟

يا لَقلبِ المسكينِ تلذعه الذكـ
ـرى وتُحْيي غرامَـــهُ وأساهُ
هكذا قد قضى عليه كيوبيـ
ـدُ فماذا تُفيـــدُهُ شكواهُ ؟

فليجدْ في الخيالِ والشعرِ والذكـ

رَى دواءً لحبّه المصدومِ

وليقضِّ الحياةَ بين حقول الـ

قمح والقطن تحت ضوء النجومِ

وليحبّ الغيومَ والفجرَ والنهـ

رَ ويُمْضي الايّامَ بين التلالِ

يتغنّى فيعشقُ الزهْـــرُ موسيـ

قاهُ عند الهُوَى وفوق الجبالِ

فحياةُ الخيالِ أجملُ من وا

قعِ حبّ **ملفّـعٍ بالرمادِ**

وهنا يا مصدومُ حرّيّةُ الرو

ح فماذا يُغْريـــكَ بالأصفادِ

سل كيوبيد عن شقاوة صرعا
هُ وماذا يَلْقَوْن من تعذيبِ
كيف يَحْيَوْن في جحيمٍ من الشكّ
وليل من الضَنَى والشُحُوب

ان قضتْ بالحرمانِ أيَّامُهم عا
شوا حزانى معذَّبين حيارى
يشتكون الاقدار والزمن العا
تي ويحيون أشقياء أسارى

واذا ما تحقق الحُلُمُ العَذْ
بُ أشاحوا عن سحره كارهينا
ويعودُ الضياءُ ليلاً دجيّاً
وتعود الازهارُ شوكاً وطينا

هكذا يخمـــد الغرامُ وتخبو
شعلةُ الحبّ والمنى والحنـــينِ
فالسعيدُ السعيدُ من دَفَنَ الحبَّ
وعاشَ الحياةَ غيرَ سجينِ

يا دموع العشّاق قد شبع العا
لم بؤساً فلا تَزيدي أساهُ
قد ملأنا الكون الجميل دموعاً
وشبعنا من صمتِهِ ودجاهُ

فانضبي أنتِ حسبُنا شجَنُ العيـ
ـش وبلوى الحياةِ والايامِ
حسبُ هذي الارضِ الكئيبةِ دمعُ الـ
ـبائسين الجياعِ والايتامِ

انضي وآطردي خيالَ كيوبيـ
ـدَ وحسبُ الغرامِ هذي الضحايا
لن ينالَ العشّاقُ يوماً سوى أد
مـعِ حبٍّ حقّتْ سناهُ المنايا

- قيس وليلى -

كيف مات المجنون؟ هل سَعِدتْ ليـ
لى؟ سلوا هذه الصحاري الحزينه
اسألوها ما حدَّثَ الريحَ قيسُ الـ
أمسِ ليلاً وكيف عاش سنينَهْ

ذلك الشاعرُ الشريدُ الخياليُّ
صديقُ الظباءِ في الصحراءِ
ونجيُّ الرمالِ والوحشِ والبيـ
دِ وطيف الشحوب والادواءِ

سحقَ الحبُّ قلبَهُ المرهَفَ الغضَّ

فعاش الحياةَ دونَ مقرٍّ

فوق تلك الرمالِ يُنْشِدُ أشعا

رَ هواهُ لكل هوجاءَ تسري

راسماً فوق صفحةِ الرملِ ما كا

ن من الشوقِ والأَسى والحنينِ

لاثماً كلَّ موضعٍ خطرت ليـ

لَى عليه في ماضياتِ السنينِ

يومَ كانت ترعى الشياهَ ويرعى

قيسُ أغنامَهُ فتشدو ويشدو

وتدوّي باللحن تلك الرمالُ الـ

سُمْرُ حيث الظباءُ تلهو وتعدو

يومَ كانتْ يا لهفةَ الشاعرِ العا
شقِ مــاذا قد أبقتِ الأقدارُ ؟
نضبتْ فرحةُ الصِبا وذَوَى الوا
دي وجفَّت في رَحْبِـهِ الأزهارُ

وتبقَّى قــبر على قَدَمِ التلِّ
ذَوَتْ تحتَهُ معـــالم ليلى
وَحَنَتْ فوقَهُ شجيرةُ ورد
تخِذَتها الأشلاءُ في القبرِ ظِلاَّ

وتبقَّى قيسُ المعذَّبُ يبـكي
مـا تبقَّى من عُمْره المصدومِ
راقداً عند حافة القبر لا يفـ
ـتأ يشكو إلى الصَبَا والغيومِ

يتمنى ليلَ المنايا ويدعو
هُ إليهِ باعذبِ الأسماءِ
ويغنّي للموت أجملَ ألحا
نِ هواهُ تحت الدُجى والضياءِ

ثم جاء الصباحُ يوماً وقيسٌ
في يد الموتِ ذاهلٌ مصروعُ
ليس تَبكيه غيرُ تنهيدةِ الريـ
ـحِ وصوتِ البومِ الكئيبِ دموعُ

يا قلوبَ العشّاقِ حسبُكَ حبّاً
واقبسي من مأساةِ قيسٍ مثالا
هي هذي الحياةُ لا تمنحُ الأحيـ
ـاءَ إلا العذابَ والأهوالا

خدعتْنا بالحبّ والشوق والذكـ
ري وما خلفها سوى الأوهام
عالمٌ سافلٌ يضجُّ من الإثـ
ـم ويحيا بين الهوَى والظلام

– في أحضان الطبيعة –

ايها الشاعرون يا عاشقي النبـ
لِ وروحِ الخيالِ والأنغامِ
ابعدوا ابعدوا عن الحبِّ وأنجوا
باغـــانيكمُ من الآثام

إهربوا لا تدنّسوا عالمَ الفنِّ
بهذي العواطفِ الآدمِيّه
احفظوا للفنون معبدها السا
مي وغنّوا أنغامَها القُدُسيّه

قد نعمتم من الحياة بأحلى
ما عليها وفزتُمُ بجَنَاها
يعمَهُ الآخرون في ليلها الدا
جي وأنتم تحيَوْنَ تحت سناها

اقنعوا باكتآبكم واعشقوا الفنَّ
وعيشوا في عُزْلة الانبياءِ
وغداً تهتفُ العصورُ بذكرا
كم وتحيَوْنَ في رِحابِ السماءِ

اقنعوا من حياتكم بهوى الفنِّ
وسحر الطبيعـــة المعبودِ
واحلموا بالطيور في ظُلَلِ الأغـ
ـصان بين التحليقِ والتغريدِ

اعشقوا الثلجَ في سفوح جبال الـ
أرضِ والوردَ في سفوحِ التلالِ
وأصيخوا لصوتِ قمّريةِ الحقـ
ـلِ تغني في داجيات الليالي

اجلسوا في ظلال صَفْصافة الوا
دي وأَصْغُوا الى خرير الماءِ
واستمدّوا من نغمة المَطَر السا
قط أحلى الإلهـام والإيحاءِ

وتغنّوا مع الرعاة إذا مرّ
وا على الكوخ بالقطيـعِ الجميلِ
وأحبّوا النخيلَ والقمحَ والزَهْـ
ـرَ وهيموا في فاتناتِ الحقولِ

شجرات الصَّفْصاف أجملُ ظلاًّ
من ظِلال القصورِ والشُرُفاتِ
وغناءُ الرعاةِ أطهَرُ لحناً
من ضجيجِ الأبواقِ والعَجَلاتِ

وعبيرُ النارنج أحلى وأندى
من غُبارِ المدينةِ المتراكِمْ
وصفاء الحقول أوقَعُ في النفـ
سِ من القَتْل والأذى والمآثِمْ

وغرامُ الفراشِ بالزهر أسمى
من صباباتِ عاشقٍ بَشَريِّ
ونسيمُ القُرَى المغازلُ أوفى
لعهودِ الهَوَى من الآدميِّ

وحياةُ الراعي الخياليِّ أهنا

من حياةِ الغنيّ بين القُصُور

في سفوحِ التلالِ حيثُ القطيعُ الـ

ـحلوُ يرعى على ضفافِ الغديرِ

حيثُ تثغو الأغنامُ في عطفةِ المَرْ

جِ وتلهو في شاسعاتِ المجالي

وينامُ الراعي المغرِّدُ تحت السّـ

ـرورِ مستسلماً لأيدي الخيالِ

في يديه النايُ الطَروبُ يناجيـ

ـهِ ويشدو على خُطَى الأغنامِ

مستمدّاً من همسِ ساقيةِ السفـ

ـحِ لحونَ الشبابِ والأحلامِ

آهِ لو عشتُ في الجبال البعيدا
تِ أسوقُ الاغنامَ كل صباحِ
واغنّي الصفصافَ والسّروَ أنغا
مي وأُصْغي إلى صفيرِ الرياحِ

أعشقُ الكَرْمَ والعرائشَ والنبـ
ـع وأحيا عُمْري حياةَ إلهِ
كلَّ يومٍ أمضي إلى ضفّة الوا
دي وأرنو الى صفاء الميـــاهِ

اصدقائي الثلوجُ والزَهْرُ والأغـ
ـنامُ ، والعود مؤنسي ونجيّي
ومعي في الجبال ديوانُ شعرٍ
عبقريٍّ لشـــاعرٍ عبقريٍّ

أتغنّى حيناً فتُصْغي إلى لحـ
ـني مياهُ الوادي ومرتفعاتُهْ
وأناجي الكتابَ حيناً وقربي
هدهدٌ شاعرٌ صَفَتْ نغماتُهْ

وخريرٌ من جدولٍ مُعْشِبِ الضِفّـ
ـةِ يجري الى حفاف الوادي
وثغاءٌ عذْبٌ من الغنم النشـ
ـوَى وهمسٌ من النسيم الشادي

آه لو كان لي هنالك كوخٌ
شاعريٌّ بين المروج الحزينه
في سكون القُرى ووحشتها أقـ
ـضي حياتي لا في ضجيج المدينه

ليتني من بناتِ تلك الجبالِ الـ
غُنِّ حيثُ الجمالُ في كل رُكْنِ
ليتني ليتني وهل تبعث الأحـ
ـلامُ إلا الدموعَ في كلّ عينِ

قدّرتْ لي السنينُ أنّي هنا أقـ
ـضي حياتي قلباً رقيقاً شجيّا
في ضبابِ الخيالِ أمشي وحولي
عـــالم للغِنى يموت ويحيا

قـد أَحبُّوا أَيّامَهمْ وتمرّدْ
تُ عليها فعشتُ في أحلامي
إن أكنْ قد وُلدتُ في هذه الضجّـ
ـةِ فلألتجيءْ إلى أوهامي

ولأعشْ في الخيال حيث تهيمُ الـ
ـروحُ بين المروجِ والقطعانِ
هكذا تَهْدأُ الأماني إلى حيـ
ـنٍ وتخبو مرارةُ الأحزانِ

هكذا أدفِنُ الطموحَ كما يَدْ
فِنُهُ كلُّ طامحٍ بَشريٍّ
وعيون الأقدارِ يضحكن مني
هازئاتٍ بضعفيَ الادميِّ

يا عيونَ الأقدار لا ترمقي دمـ
ـعي ولا تهزأي بقلبي الحزينِ
إن يكن في دمي طموحُ نبيٍّ
فأسى اليائسينَ ملء عيوني

كان هذا الطموح لعنةَ أيّا
مي فيا ليتني عصيتُ هواهُ
كلما حقّق الزمــــانُ لقلبي
حُلُماً صوّرتْ حياتي سواهُ

لست أدري ماذا سيجنيهِ قلبي
من شُرُودي في كل أُفْقٍ ونجمِ
أبـداً أرتقي النجومَ وأرنو
لمجاهيلِ عـــالمٍ مــدلهمِّ

لست أدري شيئاً أنا اليأس يا أر
ضُ وأنتِ ابتسامتي ودموعي
أنتِ وحيي ومنكِ تنبُـعُ أحلا
مي،وإن كنتُ في حماكِ الوضيعِ

إرفعيني إلى السماء إذا شئـ
ـتِ بوحيٍ من سحرك الشاعريِّ
وأعيدي مني إذا شئتِ للطيـ
ـنِ فتاةً تبكي على كل حيِّ

أضحكيــني وأطلقيني ورقاء
تغني بحسنكِ الفنّـانِ
أو دعيني أبكي على أشقياءِ الـ
ـأرضِ بين الحنينِ والحرمانِ

ضاع يا أرضُ فيكِ معنى الأماني
وتبقّى الشقاءُ والأكدارُ
وخبَتْ في كآبةِ الموتِ أصوا
تُ الأغـــاني واستسلم القيثار

فعلام العــــزاءُ والأمل المو

هومُ في حومة الدجى المدلهمِّ

ولمِ الأشقياءُ يُخفون بَـــلوا

هُمْ ويَحْيَوْن في خداعٍ ووهمِ

قد وصفتُ الشقاء في شعري البا

كي وصوّرتُ أنفسَ الأشقياءِ

وشدوتُ الحياةَ لحناً كئيباً

ليس في ليلِهِ شعاعُ ضياء

فأثارت كآبتي عَجَبَ النــــا

سِ وحاروا في سرِّها المجهولِ

مــا دروا أنني أنوح على ما

ساتهم في ظلامهــا المسدولِ

أنا أبكي لكل قلبٍ حزينٍ

بعثرتْ أُغنياتِهِ الأقدارُ

وأروّي بادمعي كلَّ غصنٍ

ظامىءٍ جفَّ زهرُهُ المعطارُ

كلَّ فجرٍ أرى الرعـاةَ يمـرّو
نَ فأبكي على حياة الرُّعاةِ
في ثلوجِ الجبالِ أو لهب الشم
سِ يريقون مبهجـات الحياةِ

ويمرّ القطيـعُ بي فارى الأغ
ـنامَ بـين الذبّـاحِ والسكّـينِ
يا حياةَ الإنسانِ لا فرحـــةٌ فيـ
ـكِ إذا لم تُصحبْ بدمع غبينِ

وكنوز الغنيِّ يجمعها الفـــلاّ
حُ في عُمْره الشقيِّ الكسير
ذلكَ الكادحُ المعـذّبُ في القَرْ
يةِ بـــين المحراثِ والناعورِ

كلّ صيفٍ يسقي البساتين تحت الشـ
مسِ والقصرُ هاجعٌ وَسْنانُ
فهو يُلْقي البذورَ والمترفُ الها
نيءُ يجني وتشهدُ الأحزانُ

يا ليالي الحصادِ ماذا وراء الـ
حقلِ والحاصدينَ من مأساةِ
شهد الكوخُ أنّه يحمل الحزْ
نَ لتحظى القصورُ بالخيراتِ

كيف يجني الازهارَ والقمحَ والأث
ـمارَ من لم يجرحْ يدَيْهِ القَدُومُ ؟
ويموتُ الفلاّحُ جوعاً ليفترَّ
لعينَيْ ربِّ القصورِ النعيمُ ؟

كيف هذا يا ربّ ؟ رفقاً بنا رف
ـقاً فقد غَصَّتِ الكؤوسُ دموعا
وطغت في الفضاء آهاتُنا الحيـ
ـرَى تغني رجــاءنا المصروعا

كآبة الفصول الاربعة –

نحن نحيا في عـــالمٍ كلُّه دم
عٌ وعُمْرٍ يفيض يأساً وحزنا
تتشفّىٰ عناصر الزمن القـــا
سي بآهاتنا وتسخَـرُ منّا

في غموضِ الحياةِ نسربُ كالأش
باحِ بين البـــكاءِ والآهاتِ
كلَّ يومٍ طفلٌ جديدٌ ومَيْتٌ
ودموعٌ تبكي على المآساةِ

ثم ماذا ؟ في أيّ عالمنا المُحْ
زنِ نلقَى العزاءَ عمّا نقاسي؟
عند وجهِ الطبيعة الجهم أم عنـ
ـدَ فؤادِ الزمانِ وهو القاسي

قد عبرنا نَهْرَ الحياةِ حَيارَى
في ظلامِ الفصولِ والسَنَواتِ
وثبتنـــا على أسانا خريفـــاً
وربيعاً فما جمـــالُ الحياةِ ؟

طـالما مرّ بي الخريفُ فاصغيـ
ـتُ لصوتِ القُمْرّيةِ المحزونِ
وأنا في سكون غرفـــتي الدجـ
ـياءِ أرنو إلى وجوم الغصون

طالما في الخريفِ سرت الى الحق
ل وأمعنتُ في وجومي وحزني
كيف لا والكآبةُ المرَّةُ الخر
ساءُ قد رفرفتْ على كلِّ غصنِ

والحمامُ الجميلُ قد هَجَر الأعـ
شاش سَامانَ من وجوم السهوب
وطيورُ الكنـــار آثرت الهجـ
ـرةَ والعيشَ في حقول الجنوبِ

وغصونُ الاشجار مصفرَّةُ الأو
راقِ والزهرُ ذابلٌ مكفهرٌّ
ورياحُ الخريـف تعبث بالأو
راق والسُحْبُ في الفضـاءِ تمرُّ

طالما سرتُ في المساء وفي سمـ
ـعيَ صوتُ الأوراقِ تحت خطايا
كلّما سرت خطوة أنّت الأو
راقُ فاستجمعتْ بعيد أسايا

أرمقُ الحقل والجداولُ قد جفـ
ـت ولون الفضاء أسودُ غائم
وأحسُّ البومَ الكئيبَ يغنّي
من بعيدٍ بين النخيلِ الواجمْ

وأرى النهر من بعيدٍ كسيرٌ
غلّفته أيدي الخريفِ الكئيبِ
لا رعاةٌ على شواطئـــه يزْ
جونَ أغنامهم قبيلَ الغروبِ

لا اخضرارٌ يغري الحزانى بأن يَسْ
ـعَوْا اليـه ولا صفاءٌ جميلُ
ليس الا رطوبةُ الأَرض والوحـ
ـشةُ والصمتُ والرُبى والنخيلُ

فاذا رعشةٌ تضمُّ فــؤادي
واذا الروحُ ضـــائق بأساهُ
ما أمرَّ الخريفَ يا ربِّ ما أو
حشَ أصباحَه وأقسى مَساهُ

ثم ياتي الشتاء بالثلـــج والأمـ
ـطارِ والريح في سكون الليالي
وتمـــرّ الأيامُ موحشةَ الخط
ـو بطاءَ الأصباحِ والآصالِ

وتموتُ الأزهارُ في قبضةِ الثلـ
ـجِ ويعرو الأشجارَ لونُ الزوالِ
وتغيب الأطيارُ في الموقد المهـ
ـجور أو في كهفٍ وراء الجبالِ

ويجيءُ المساءُ بالمطـــر المنـ
ـهلِّ يبكي على شَجا الإنسانِ
وتظَلُّ الرياحُ تعصفُ بالنخـ
ـلِ وترثي لكل قلبٍ عانـــِ

آهِ ما أكأبَ الشتاءَ لياليـ
ـهِ وأيامَـــهُ وما أقساهُ
حينَ أخلو لنارِ موقديَ الخامـ
ـدِ والقلبُ مُغْرَقٌ في أساه

لستُ أصغي إلا إلى ضجة الاعـ
ـصار بين النخيل والصفصافِ
واصطفاق الأمواج في شاطىء النهـ
ـر ووقع الأمطار فوق الضفافِ

كل شيء في الكون حولي كئيب
في ليالي الشتاء ذات الرعودِ
كل شيء حولي سوى ساعتي الصمّـ
ـاء في صمتِ غرفتي المعهودِ

ايه يا ساعتي الكئيبةَ يا من
صحبتني في فرحتي وشقائي
ما الذي تبعثين في نفسي الحيـ
رَى من الحزن في ليالي الشتاءِ

أبداً تخفقين في معصمي البا
ردِ والليلُ مُظلمٌ ممدودُ
لحظاتٌ تمرُّ في ثِقَلِ السا
عِ وليلٌ معذَّبٌ منكودُ

كم سهرت المساءَ أصغي الى دقـ
اتك الحائراتِ في مسمعيّا
أنت يا من أحصيتِ ساعاتِ أيّا
مي وكنتِ الرسولَ منها إليّا

رحمةً في الشتاء بي لا تعدّي
ما تبقّى يا ساعتي من حياتي
واتركيني أُصغي الى نَغَم الأم
طارِ فوقَ الحقولِ والربواتِ

اتركيني فنغمةُ المَطَرِ الها
مرِ أحلى من صوتكِ الجبّارِ
يا رسولَ القضاءِ والزَمن المُفْ
ني وصوتَ الأحداث والأقدارِ

اتركيني وحدي وإن كان ليلي
مكفهرّاً تحت البروقِ طويلا
اتركيني أُصغي الى الرعدِ والأمـ
طارِ يا ساعتي وكُفّي العويلا

وغداً يُقبِلُ الربيعُ فيحلو
عقرباكِ المحبّبان لعيني
وتعود الدّقاتُ منك نشيداً
اتغنّى به ويصدَحُ فنّي

الربيعُ الجميلُ فصلُ الطيور الـ
بيضِ والزَّهْرِ والسَّنا والعطورِ
عندما تكتسي العرائشُ بالكر
مِ وتشدو طيورُها في البكورِ

عندما يخرجُ الرعاةُ الى الوا
دي بأغنامهم وتزهو الضفافُ
عندما يُزْهِر البنفسجُ والخبّـ
ازُ والبرتقالُ والصفصافُ

وتذوبُ الثلوجُ في القمم العُلْـ
ـيا فتجري السيولُ في كل وادِ
ويعودُ البطُّ الجميلُ إلى الشا
طئ بين الاعشابِ والاورادِ

ويعود الفلّاحُ يخرُجُ للحقـ
ـلِ طروبَ الفؤادِ كلَّ صباحِ
تحت شمسِ الربيعِ يسقي جذورَ الـ
ـتينِ والبرتقالِ والتفّاحِ

وتعود الطيورُ للوطن المهـ
ـجور جَذْلَى مفتونةً بالربيعِ
في ثنايا الأغصانِ تتخذُ الأعـ
ـشاشَ تحتَ النورِ النقيِّ البديعِ

والقماريُّ تستحمُّ وتلهو
بين زهر الخبّاز فوق الضفافِ
وتغنّي للنهر أعذبَ ألحا
نِ الأماني في مِسْمع الصَفْصافِ

وزهورُ السفوحِ تضحكُ للنحـ
ـلِ وتُحني رؤوسها للنسيمِ
وقطيعُ الأغنامِ يمرَحُ والرا
عي يُقَضّي النهارَ تحت الكروم

وصبايا القُرَى يرحنَ ويغدو
نَ نشَاوى على ضفافِ السواقي
منشداتٍ أحلامَهنّ على سمـ
ـع الينابيعِ والورودِ الرقاقِ

وسماء الحياة تزخر بالوجـ
ـي ويصحو الشعورُ والأحلامُ
أي أدونيس آهِ لو عشتَ في الأر
ضِ فعاشَ السَّنا ومات الظلامُ

آه لو لم يكن مقامُكَ في عا
لمنا المكفهرِّ حُلْماً قصيرا
آهِ لو دمتَ يا أدونيسُ للأر
ض وأبقيتَ عطرَكَ المسحورا

يا ضياع الأحلام في مِسْمع المو
تِ وماذا تُفيدنا الأحلامُ
ليس يبقى الربيعُ إلا قليلاً
ثم يخبو الجمالُ والأوهامُ

مثل زهْر الصحراءِ سُرْعان ما تق

تلُـهُ الشمسُ والرياحُ الهوجُ

وتعودُ الواحاتُ قَفْراً كما كا

نت ويَذْوي العشبُ النضيرُ البهيج

هكذا يرحل الربيـعُ سريعاً

وتعود الحياةُ للأحزانِ

وتموتُ الآمـالُ في كل قلبٍ

وتعيشُ النفوسُ للحـرمانِ

فكأنّ الحياةَ لم تبتسم إلاّ

لتُلقي سوادَها في رؤانا

وكأنّ الزهـورَ لم تنشرِ الأش

ذاءَ إلا لكيْ تثيرَ أسانا

وكأنّ النضارةَ الحلوة الَجذْ
لى حُداءٌ بنا لصمتِ القبورِ
وكأنّ الطيورَ ترسل لحن الـ
موتِ في سمع كلِّ حيّ غريرِ

يا شبابَ الحياةِ ما أنتَ بالخا
لد إلا خلودَ زهرِ الربيعِ
ليس تُبْقي على نَضارتك الأقـ
دارُ في حومةِ الأسى والدموعِ

أسفاً يا ربيعُ يا وردُ يا عطـ
رُ اهذا ختامُ كلِّ جمالِ
اكذا يخفتُ الضياءُ ويَبْقى الصـ
متُ والحزنُ في سكون الليالي

قصّةُ الحبِّ والجمالِ أهذا
ما اليهِ تكونُ بعد صِباها ؟
تتصدّى لها يدُ الزَمن المـــا
حي فتُبْلي ضياءَها وصداها

هكـــذا يا ربيعُ يَخْتتم النِسْ
ـيانُ والصمتُ كلَّ شيءٍ جميلِ
ويعيشُ الانسانُ تعصرُهُ الذكـ
ـرىٰ ويبكي على أساهُ الطويلِ

فاذا عضّتِ الكآبـــةُ قلبي
في أضاحي الربيعِ واشتدَّ حزني
فعلى مصرَعِ الفراشاتِ أبكي
وذبولِ الوادي الشجيرِ الأغنّ

يا معاني الزَوَالِ والعَدَم الرا
ئع رحماكِ وارفقي بصِبايا
لا تُطلّي عليَّ من كلّ شيء
في وجودي فقد سئمتُ أسايا

أتركيني أرَ الربيع طيوراً
ليس يَنْوي لها الأَذَى مُغْتَالُ
ولتكن زهرةُ البنفسج في عيـ
ـني خلوداً لا يَعْترِيهِ زوالُ

ودعيني أعشْ مع الذكريات الـ
ـبيضِ في أمسيَ الجميلِ الراحلْ
علَّ هذا يجلو أَسىْ الصيفِ عن قلـ
ـبي ويُحْيي مَوَاتَ حُلمي الذابلْ

فلقد جفّتِ الرياضُ الجميلا
تُ فلا زهرةٌ ولا أشذاءُ
وانطوتْ فرحةُ الربيع وماتَ الـ
ـعُشْبُ في أرضها وجفَّ الماءُ

لم تَعُدْ في العشاشِ قمريّةٌ تشـ
ـدو وتسقي أفراخها في النهارِ
كيف تحيا الطيورُ في لَهَبِ الشمـ
ـسِ وتلهو تحتَ اللظى والنارِ

لم يعد للنسيم قلبٌ يحبُّ النـ
ـهرَ والمرجَ في ظلام الأماسي
لم يعد للأزهار لونٌ جميلٌ
يتجلّى لمرهفي الإحساسِ

كلُّ شيءٍ في الصيف ينطق بالقَسْـ
ـوةِ والشمسُ شعلةٌ ولهيبُ
تتشكّى عريشةُ الكَرْمِ لكن
ليس يُجْدي توسُّلٌ ونحيبُ

آهِ ما أكأبَ الظهيرةَ في الصيـ
ـفِ إذا لاذَ جوُّها بالسكونِ
وتلاشى في الجوِّ كلُّ هتافٍ
غيرَ صوتِ الطاحونةِ المحزونِ

وبكاءُ الحمامةِ الخافتِ النـا
ئي وصوتُ الغرابِ بين الكرومِ
وأزيزٌ من نَخْلةٍ تمـلأُ القلـ
ـبَ مَلالاً بصوتهـا المسؤومِ

ثم ماذا ؟ ماذا ترى العينُ في الصيـ
ـفِ اذا أقبل المساءُ الداجي ؟
هل سوى مَنْظرِ النخيلِ البعيدا
تِ وحزنِ الاشجار خلفَ السياجِ

هل سوى منظر الرعاةِ يعودو
نَ بأغنامِهم حيارَىٰ بطاءَ
بعدَ يومٍ أمضَوهُ تحت لَظَى الشمـ
ـس مَلالاً وشقوةً وعناءَ

هل سوى الصائدين في النَهَر الضَحْـ
ـلِ يعودون في المساءِ الكئيبِ
لم يصيدوا وصادَ أرواحَهم حرُّ
نهـــارٍ مؤذٍ وعيشٍ جديبِ

كلَّ يوم يمضي النهارُ ولا صيـ
ـدَ يعزِّي صيّـــادَهُ الطوّافا
يا لَقَلْبِ المسكينِ قد سئمَ النهـ
ـرَ وعـــافَ المياهَ والمجذافا

فهو عند الغروبِ يرجِعُ بالزَوْ
رقِ سأمانَ واجمَ الألحـــانِ
إن تغنَّى فبالشكاةِ يُزَجّيـ
ـها إلى خـــافق الحياةِ الجاني

كم رأيتُ الصيَّادَ في الشارع المُقْ
فرِ يمشي معذَّباً مَصْدوما
عكستْ مقلتاهُ أحزانَ قلبٍ
سئم العيشَ والوجودَ الأليما

لستَ أنتَ المحزونَ وحدَكَ يا صيّـ
ـادُ في حومةِ الشقاءِ المخيفِ
هو سجنُ الحياةِ قد كبّلت أقـ
ـيادُهُ السودُ كلَّ قلبٍ رهيفِ

ذاك شأنُ الانسانِ يا أيّها الصيّـ
ـادُ يا شاكياً ظلامَ الرزايا
في صراعٍ مع العناصر لا يَهْـ
ـدأُ حتى يأوي لوادي المنايا

في سبيل الحيـاةِ يبذلُ أفرا
حَ صِباهُ ويستطيب أساهُ
فهو يجري وراءَ حُلْم كذُوبٍ
رسمتْهُ أوهامُهُ ورؤاهُ

وعجيبٌ أنّا نذوقُ سوادَ الـ
عيش واليأسِ والملالِ لنحيا
أيُّ عُمْرٍ هـــذا؟ وأيّةُ ماسا
ةٍ بَلَوْنا سوادَهــا الأبديّا؟

أبداً نحنُ في كفاحٍ مع الأقـ
ـدار والحادثاتُ تُبْلِي وتُفْني
يتحدّى أحلامَنا الواقعُ المرّ
ويقسو زمانُنَــا المتجنّي

ونخافُ الغدَ الدجيَّ ولا نعـ
ـلمُ ماذا يكونُ فيــه المصير
يا ظلامَ المجهولِ ما أرهبَ التفـ
ـكيرَ لا كانَ سرُّكَ المَسْتورُ

آهِ لو كان في الحياةِ مفرٌّ
من شقاءِ الأوهامِ والأفـكار
في شعابِ الهُدوء يا ليتنا نُلْـ
ـقي بأعباءِ خوفِنا الجبَّـار

– اسطورة نهر النسيان –

مِخْلبُ الخوفِ والتشاؤم قد جَرَّ
حَ أيَّامنا وأدْمَى صِبانا
ليت نَهْرَ النسيانِ لم يكُ وهماً
صوَّرتْهُ أحلامُنا لأسانا

ليتَهُ كانَ ليتَ أخبارَهُ حقٌّ
لننسَى ما كان أو ما يكونُ
ونعيشُ الأحرارَ من قيدِ بلوا
نا ويعفو عنا الغدُ المجنونُ

يا ضفافَ النسيان قد جاءك الشا
عرُ فلترحمي جراحَ أساه
إنضَحيه بمائك الأسودِ البا
ردِ ولتُشْفقي على بلواهُ

فهو ذاكَ القلبُ الذي طوّقتْهُ
حادثاتُ السنين بالأشواكِ
منحتْهُ الحسَّ الرهيفَ وقالتْ :
لتكن في الحياةِ أوّلَ باكِ

يا ضفافَ النسيانِ يا ليتَ هذا الـ
موجَ يطْغَى على الوجودِ الحزينِ
يغسلُ الإثمَ والدموعَ ويأسو
كلَّ جرحٍ في قلبه المطعونِ

ألمُ العيش يا ضفافُ قـــويٌّ

وشقاءُ المماتِ أقوى وأقسى

في ظلام الحياةِ نضطربُ الآ

نَ ونفنى عما قليلٍ ونُنسى

كلُّ عُمْرٍ قصيدةٌ كتبتهـــا

في كتابِ الحياةِ كفُّ الزمانِ

وغداً يمحّي الكتابُ جميعاً

وتذوبُ الحروفُ في الاكفانِ

– انشودة الاموات –

لحظةُ الموتِ لحظةٌ ليس من رَهْـ
ـبتها في وجودنا المرِّ حامي
وسيأتي اليومُ الذي نحنُ فيه
ذكريات في خاطر الأيّام

كلُّ رسمٍ قد غيّرتهُ الليالي
كلُّ قلبٍ قد عادَ صخراً أصمّا
دفنتْ عمرَنا السنينُ كأنْ لم
نملأِ الأرضَ بالأناشيدِ يوما

ليسَ الاصوتُ العواصفِ فوق الـ
مدفنِ الصامتِ الرهيبِ الستورِ
وحفيفُ النخيلِ في رعشةِ الريـ
ـحِ ونوحُ الامواج بين الصخورِ

قد سمعنا صوتَ الرياحِ المدوّي
حينَ كان الوجودُ مِلْكَ يدينا
وعَشِقنا صوتَ النخيلِ وهِمنا
بخرير الامواجِ قلباً وعَيْنا

وعبــــدنا أشعّةَ القمر الضا
حكِ في الصيف وابتسمنا إليهِ
وشدونا الأنغــــام تحتَ سناهُ
ورسمنا الأحلامَ بين يَدَيْـــهِ

وضحكنا مع الزمانِ وسرنا
في ظلامِ الحياةِ مُبْتَسِمينا
تارةً ساخرين من كلِّ ما نلْـ
قى وأخرى تحت الدُّجى باكينا

وبنينا قصورنا تحت ضوء الشـ
مس يوماً إلى جوارِ القبورِ
وزرعنا زهورَنا وتخذنا
من دماءِ الموتى غذاءَ الزهورِ

وضحكنا إذ الطبيعةُ تبكي
بالدُّجى والرياحِ والأمطارِ
وسَخِرنا والدهرُ غضبانُ جَهْمٌ
ورَقَصْنا على حفافِ النارِ

فاذا غنَّتِ العصافيرُ وافترَّ
تْ ثغورُ الأزهارِ فوقَ ثرانا
وتمشَّى الأحياءُ فوقَ بقايا
نا وداُسوا عظاَمنَا ودمانا

فهو ثارُ الطبيعةِ البارِدِ المرِّ
وسخرِّيةُ الزمانِ العاتي
وحقودُ الحيـاةِ لا بدَّ للميِّ
تـِ منهـا في عالم الأمواتِ

يا جموعَ الأحياء في الأرضِ هيها
تَ يعودُ الماضي الجميلُ إليكم
فاغنَموا ليلَكُم وغنُّوا فمن يَدْ
ري ؟ لعلَّ الصباحَ يقضي عليكم

علّها الليلةُ الاخيرةُ من عُمْـ
ـرِكمُ في الوجود يا أحياءُ
ليس منكم من يضمَنُ الغَدَ فاْشدوا
فقريباً يضيعُ هذا المساءُ

ربما كنتمُ مساءَ غدٍ تحـ
ـتَ ترابِ القبورِ والأحجارِ
يتباكى عليكمُ البومُ والغر
بانُ بعدَ الكؤوسِ والأوتار

وتعودُ القصورُ والزُهْرُ مِلْكاً
لسواكم من ضاحكي الأحياءِ
ويظَلُّ القمريُّ يشدو وانتم
في سكونِ المنيّةِ الخرساءِ

وتعود الحقولُ في الفجر خلواً
من أغانيكمُ ووقعِ خطاكمْ
ويذيبُ النسيانُ ذكر أماني
ـكمْ ويُذْوي المماتُ غصنَ صباكم

ويظلّ الراعي يغرِّدُ للأشـ
ـجارِ والنبع في صفاء المغاني
وتنامونَ أنتمُ لا حَراكٌ
لا نشيدٌ في قبضةِ الأكفانِ

لن تنوحَ الحياةُ إن مُتّمُ أنـ
ـتم فغنّوا ولا تَنوحوا عليها
فهي تلكَ الخَلُوبُ تبسِمُ للأحـ
ـياءِ والسمُّ كامنٌ في يدَيْها

فانعَمُوا في ظلال أفراحِكم فيـ
ـها ورَوُّوا الظَماءَ قبلَ المماتِ
وامرحوا في الحقولِ واستنشقوا العطـ
ـرَ وصوغوا فواتنَ النَغَماتِ

ودِّعوا هذه الشوارعَ عند النـ
ـهرِ يا أشقياءُ قبلَ الرحيلِ
ودّعوها فليس في القَبْرِ غيرُ الصـ
ـمتِ والهمِّ والظلامِ الطويلِ

وابسموا للنجومِ والقمرِ الحُلْـ
ـوِ وغنّوا النسيمَ كلَّ مساءِ
أيُّ غبنٍ أن تفقِدُوا كلَّ شيء
في البِلَىٰ والسكونِ والظلماءِ

— مرثية الانسان —

أيُّ غُبْنٍ أن يذبلَ الكائنُ الحيّْ
ويذوي شبابُهُ الفَيْنانُ
ثمّ يمضي بـــه محبُّوهُ جثما
ناً جَفَتْهُ الآمالُ والألحانُ

ويُنيمونَه على الشوكِ والصخـ
ـرِ وتحتَ الترابِ والأحجارِ
ويعودونَ تاركينَ بقايـــا
هُ لدنيا خفيّةِ الأسرارِ

هو والوَحدةُ المريرةُ والظلْ
مةُ في قبره المخيفِ الرهيبِ
تحت حكم الديدانِ والشوكِ والرَم
لِ وأيدي الفَناءِ والتعذيبِ

وهو من كان أمسِ يضحَكُ جذلا
نَ ويشدو مع النسيمِ البليلِ
يجمعُ الزهْرَ كلَّ يومٍ ويلهو
عند شطِّ الغديرِ بين النخيلِ

ذلكَ الميّتُ الذي حَمَلوهُ
جُثّةً لا تُحِسُّ نحو القبورِ
كان قلباً بالأمسِ تملأه الرغ
بةُ والشوقُ بين عطرِ الزهورِ

كانَ قلباً له طموحٌ فـإذا

تَرَكَ الموتُ من طموحِ الحياةِ

يا لحزنِ المسكينِ لم تبقَ أحلا

مٌ سوى ظُلمةِ البِلى والمماتِ

آهِ يا حامليهِ نحو سكون الـ

ـقبرِ لا تُسرعوا وسيروا الهوَيْنا

اتركوه يودّعِ العالمَ الفا

تنَ قبل الرحيل ظلماً وغُبنا

واكشفوا جسمَهُ الغبينَ لضوء الشـ

ـمسِ والعطرِ فهي آخِرُ مرّه

لن يَرَى بعدُ ذلكَ الضوءَ لن ينـ

ـشقَ في سجنِ قبرهِ عِطْرَ زهرَه

لا تنوحوا عليه وليكنِ الشَدْ
وُ ختاماً لما وَعتهُ أُذْناهُ
حسبُهُ أنَّه يودِّعُ دنيا
هُ الى قبرِهِ وتفنى مُناهُ

فاتركوا نعشَهُ على الأرض حيناً
قبل أن تقبروهُ تحت اللحودِ
ربّما كان خائفاً من دُجَى القبـ
ـرِ حريصاً على جمالِ الوجودِ

ربما كان راغباً في وَداع الـ
أرض من قبلِ أن يسودَ الظلامُ
قبلَ أن تتركوهُ في وحشة المو
تِ وتخبو العطورُ والأنغامُ

اتركوهُ يراكمُ أنتمُ يا

من دفعتُمْ به الى الظلماءِ

وهو من كان أمسِ ملءَ !مانيـ

ـكم فصار الغداةَ ملء الفناءِ

هكذا الآدميُّ يُسْلمُهُ أحـ

بابُهُ للـترابِ والديدانِ

ربِّ لا كانت الحياةُ ولا كنّـ

ـا هبطنا هذا الوجودَ الفاني

فيمَ جئنا هنا ؟ وماذا يعزّيـ

ـنا عن العـالم الذي قد فقدْنا

ليت حوّاءَ لم تذُقْ ثَمَـرَ الدو

حـةِ ليت الشيطـانَ لم يتجنّا

علمتْنَا ثمارُها فكرةَ الشرِّ
فكان الحزنُ العميقُ العاصِرْ
وفهمنا معنى الفناءِ وأدرك
نا صراعَ البقاءِ تحتَ الدياجِرْ

وهبطنا هذا الوجودَ لنشقى
منذ فجرِ الحياةِ حتى المغيبِ
كلّنا نستغيثُ من شَجنِ العيـ
ـش فيا لليلِ الحزينِ الرهيبِ

يا لَظلمِ الأحزانِ ما سَلِم الأط
فالُ من أسرِها ولا الشبَّانُ
كم وليدٍ يبكي وما تعلم الأمّ
لماذا يبكي وما الأحزانُ

– مأساة الأطفال –

ودموعُ الأطفـالِ تجرحُ لكن
ليس منهـــا بدٌّ فيا لَلْشقاءِ
هؤلاء الذينَ قد مُنِحوا الحسَّ
وما يملكونَ غـــيرَ البُـكاءِ

منحتْهم كفُّ الطبيعة قلباً
بشريّاً يستشعرُ الآلاما
ورمتْهم في كفّة القَدَر الغا
شمِ جسماً لا يستطيـع كلاما

فاذا ما بكوا فأدمعُ خُرْسٍ
ربما كان خلفَها ألفُ معنى
ربما كان خلفها الألمُ القا
تلُ أو رغبةٌ مع الريحِ تَفْنَى

ربما ربما وما ينفع الظَنُّ
ونَوحُ الاطفال ملء الحياةِ
وُلِدوا صارخينَ بين يدِ الأقـ
دارِ فليصرُخوا ليوم المماتِ

علهم يدركونَ ما لم نقفْ نحـ
ـنُ عليه من ظُلْمةِ الأسرارِ
ويرونَ الحياة ليلاً من الشرِّ
تدلَّى على حفاف النارِ

فهمُ يصرخونَ من ألم المُقْـ
ـبلِ أو يندبون ما قد أضاعوا
أو لم يُقبلوا على غَيْهَب العا
لم حيثُ المحيا أسىً وصراعُ

لم يَزَلْ في نفوسهم أَثرُ المـا
ضي النقيِّ الجميلِ أو ذكراهُ
حين كانوا في عالم عبقريٍّ
كلُّ حيٍّ على ثراهُ إلهُ

عالمٌ غيرُ عالم البَشَر المرّ
بعيد عن الدُجَى والفَنَاءِ
ليس فيه أسىً عنيف ودمعٌ
وقبورٌ تلفّعتْ بالخَفَاءِ

ليس فيه طبيعة تجهمةُ المر
أن تدوسُ الاحياءَ والايّاما
ليس فيه مشرّدون حيارى
وأطفال تحت الدُجى ويتامى

ليس فيه شرٌّ وظُلْم وتعذيـ
ـبٌ ولا فيـه مولدٌ ومماتُ
ليس فيه هذا النزاعُ على الُخبْـ
ـزِ ولا في صفائه مأساةُ

يا جموع الاطفال يا مُرْهَفي الحسِّ
كَفاكم تفجعاً وبكاءَ
لم تزالوا في أوّلِ العُمُر المرِّ
ولأياً ستعرفونَ الشقاءَ

لا تنوحوا على الذي قد فقدتم
من جمالٍ ومتعةٍ وسموٍّ
وأصيخوا لمأتم القَدَر الظا
لمِ في عاصفِ الحياةِ المُدوّي

لم تزالوا براعماً لم تُفَتّحْ
ـها الليالي على ظلام الحياةِ
فاضحكوا الآنَ قبلما يزأرُ الهو
لُ وتستنسِرُ الهموم العواتي

قبلما تدلهمُّ أعمارُكم تحـ
ـتَ غيوم الشباب والاحلامِ
وترَوْنَ الوجود قفراً فما فيـ
ـهِ سوى الليلِ والاسى والقتامِ

أينما ترسلوا عيونَكُمُ الظمـ
ـأى فثَمَّ الاهوالُ والاضغانُ
وتضيـعُ الآمالُ والُمثُلُ العُلْ
يـا وتبقى الآهاتُ والاحزانُ

امرحوا الآنَ في ظلال أبٍ يَش
قى وأمٍّ جَنَتْ عليها الحياةُ
فغداً تحملون أنـتم همومَ الـ
عيشِ إذ ذاكَ تُسْفرُ المأساةُ

شيّدوا في الرمالِ أبراجَ أحلا
مـكُمْ وابسموا للهو الطفوله
كلُّ طفلٍ غداً فتىً ضائعُ الأحـ
ـلامِ تحتَ المقادرِ المجهـوله

وغـداً تدركونَ ماذا أضعتم
من صفاءٍ ومُتْعةٍ ونقاءِ
وترونَ الحياةَ منبعَ شرٍّ
ليس منه منجىً وليلُ شقاءِ

وإذا مـا بنيتمُ أمسِ زَهْرٌ
ذابلٌ تحت رحمة الإعصار
وإذا كلُّ رغبةٍ كوكبٌ خا
بٍ وأنـتم على شفاهِ النار

تتشفّى بكم يدُ القَدَرِ القا
سي وتُلْقي عليكمو بالرزايا
وتبيـع الشبابَ بالأدمُعِ الحرّ
ى وتَلْهو على رُفاتِ الضحايا

فإذا كلُّ ضُحْكةٍ من صِباكم
بعدها في شبابكم ألفُ عَبره
وإذا عُمْرُكم مساءٌ حزينٌ
ليس تجلو سوى المنيّةِ سِرَّه

أحزان الشباب –

يا همومَ الشبابِ فيمَ تكونيـ
نَ أحرَّ الهمومِ والأحزانِ ؟
أنتِ يا مَنْ يصوغُكِ القَدَرُ الظا
لمُ ليلاً على الوجودِ الفاني
فيمَ كانَ الشبابُ مرماكِ يا أحـ
زانُ ماذا ترى الشبابُ جَناهُ ؟
فيمَ لا تعصرينَ إلا صِبانا
حَسْبُنا يا أحزانُ ما ذقناهُ

سوف يطوي شبابَنا الزمنُ المُسْـ
ـرِعُ والحلمُ ينطفي ويضيعُ
وتُميتُ الشيخوخةُ المرّةُ السَوْ
داءُ أحلامنا ويمضي الربيعُ

فاتركينا رحماكِ نَنْعَمْ به الآ
نَ لننسَىْ ما في غدٍ سيكونُ
قبلَ أن تخمد الاماني ويَفْنَى
في الدياجي شبابُنا المغبونُ

ها أنا في الشباب تقتلني الوحـ
ـدةُ والصمتُ والاسَىْ يا همومُ
أينما أتجهْ فثمّةَ أحزا
نٌ أراها ووحشةٌ ووجوم

كلٌّ شيءٍ أراه يملأني حُزْ
ناً ويأساً من مُبْهجاتِ الحياةِ
يا لعُمْرٍ يمرُّ جَهْماً مخيفاً
تحت عبءِ الاحلامِ والآهاتِ

ومعاني الفناءِ ألمحُها حَوْ
لِيَ في كلِّ مـا تراهُ عيوني
في دويِّ الرياح في نَغَم الطيـ
ـرِ وفي ظُلْمة المساءِ الحزينِ

فاذا أنّتِ الرياحُ الحزينا
تُ تذكّرتُ خُلْدَها وفنائي
ورأيتُ القبورَ تحت يدِ الريـ
ـحِ وصوتِ الامطارِ والانواءِ

واذا غنّتِ الحمـــامةُ في الوكـ
ـرِ تبرّمْتُ بالنشيدِ المثيرِ
وتذكرتُ أنّها سوف تَثْوِيْ
في غدٍ تحتَ عشِّها المهجورِ

وإذا أقبلَ المساءُ ولفَّ الـ
ـكونَ بالصمتِ والدُجَـى والهمومِ
وحملتُ العودَ الكئيبَ الى الوا
دي أُغنّي شعري لضوءِ النجومِ

صرَختْ نفسيَ الكئيبةُ لا يخـ
ـدعْكِ هذا الظلامُ يا أختاهُ
كم شعوبٍ غنّتْ له فمحاها
وهو ما زالَ في ربيـعِ صِبَاهُ

نحن تحت الليلِ العميقِ ضيوفُ
وقريباً تدوسُنَا قَدَماهُ
فاحفظي يا أختاهُ ألحانكِ الظَمْـ
ـأى فما ترحمُ الشَجَا أُذُنَاهُ

أينَ أمضي يا ربِّ أم كيف أنجو
من قيود الفَنَـاءِ والأيَّامِ ؟
ضاقَ بي العالم الفسيحُ فيا لَلْـ
ـهولِ أينَ المفرُّ من آلامي ؟

كلَّ يومٍ أرى شَبابَ حيـاتي
في حمى الوَحْدَةِ المريرةِ يَذوي
وأراني أسيرُ مرغَمةَ الأقـ
ـدامِ في عاصفِ الزمانِ المُدَوِّي

لستُ ألقى حولي سوى عالمٍ يَشْ
قَى ويَلْقَى عزاءَهُ في الشُرُورِ
ويبيـع الحيــاةَ بالمُتَعِ الحمْـ
ـقاءِ والإثْمِ والأَذى والغرورِ

وِيرَىٰ اللهو في الحياةِ أمانيـ
ـهِ ويدعو الخيالَ والشِعْرَ حُمْقا
يا لَجهلِ الإنسانِ فليبقَ حيرا
نَ إذن ولْيَظَلَّ ياسىٰ ويَشْقَىٰ

ولأعِشْ في ظلالِ وَحدتيَ الخر
ساءِ أبكي ولا مُصيخَ إليّـا
لا فـــؤادٌ أبثّهُ ألمي المرَّ
ولا خافقٌ يحنّ عليّـا

ولْيقولوا إنّي فتاةٌ جَنى الشعـ
ـرُ عليهـا فعشتُ للأحزانِ
وعبرتُ الحياةَ كالشَبَحِ الضلّـ
ـيلِ في غَيْهب الوجودِ الفاني

يا ظلالَ الشباب فابقَيْ اذا شئْ
تِ معي أو فأسرعي بالرحيلِ
لستُ أُعنَى بظلِّك الشاحب المُقْ
لِقِ ما دمتُ في خيالي الجميل

سوف أبني اذا رحلتِ شباباً
لفؤادي أعيشُ تحت سمائِهْ
من رحيق الخيالِ والشعرِ والأنْ
غامِ أسقي الزهورَ في أرجائِهْ

وجمالُ الحياة يَذْوِي ويُفْنيـ
ـهِ الأسَى والدموعُ والآهاتُ
فليضعْ عُمْريَ الحزينُ كما شا
ءَ فعندي من الشعورِ حياةُ

فاذا أدبر الشبابُ وآويـ
ـتُ لظلِّ المشيبِ والاسقامِ
ظلَّ قلبي الحسّاسُ ذاك الفتى الفيـ
ـنانُ بين الخيالِ والاحلامِ

ثمّ ماذا ؟ من قالَ إنّي سأبقى
في الوجودِ الحزين يا آمالي
كيف أدري أنّي سألبث فيـه
ربّما متُّ في صبايَ الحالي

ربّما تنقضي حياتي قريباً
وتموتُ الألحانُ في شَفَتيّا
قبلَ أن أسمعَ الحياةَ أناشيـ
ـدي ويُصْغي سمعُ الوجود إليّا

ربّما ... لستُ أعلمُ الآنَ شيئاً
فلأعِشْ في انتظارِ ما سيكونُ
ولأُحبَّ الحياةَ ما شئتُ من أجـ
ـلِ نشيدي وإن رَمَتْني المَنُونُ

ولتجىء بعدها المنايا كما تر
جو فما في الوجودِ ما يُغْريني
لستُ ألقىٰ فيه حياةً أغنّيـ
ـها فيا بؤسَ عُمْريَ المغبونِ

أو لم أتركِ الحياةَ وما فيـ
ـها الى معبدِ الأَسَىٰ والشعورِ
اوَلم أرْضَ عُزْلتي في ظلال الشّـ
ـعرِ والعودِ والخيالِ الطَهُورِ

فاذا مـا أتممتُ لحني كما أهـ
وَىْ فماذا أريدُهُ من حياتي؟
ليس في الكونِ بعد شعري ما يغـ
ـري فؤادي فمرحباً بالمماتِ

سوف ألقى الموتَ المحبَّب روحاً
شاعريّاً يُحبُّ صَمْتَ الترابِ
وفؤاداً يرى المماتَ شباباً
للمُنَى والشعورِ أيَّ شبابِ

سوف ألقاكَ غيرَ محزونةٍ يا
موتُ في ميعة الشباب الغَريدِ
وعزائي أنّي تركتُ ورائي
لحنيَ السرمديَّ ملء الوجود

لستُ وحدي التي تموتُ وما زا
لتْ شباباً لم تَسْقِهِ الأَنداءُ
تَعِسَتْ هذه الحياةُ فكم قد
ماتَ في ميعة الصِبَا شعراءُ

أذبلتْ عُمْرَهم يدُ القَدَر الجا
ني وكانوا نشيدَ هذي الحياةِ
يسكبونَ الشبابَ والحبَّ والاحـ
لامَ لحناً مرقرقَ النغماتِ

ويُضيعون عُمْرَهم وصِبَاهم
ليصوغوا الحياةَ لحنَ صفاءِ
وإذا عاصفُ المنايا المُدَوّيّ
يَتَعَالَىٰ على لحونِ الغناء

يا يدَ الموتِ فيمَ كان نصيبُ الشا

اعرِ الفذِّ منكِ هذا التجنّي ؟

فيم لا تُطفْئين إلاّ مناهُ ؟

وهو في ميعةِ الشبابِ الأغنِّ ؟

ألكي تكتبي الخلودَ لذكرا

هُ على الأرض وهو غضٌّ يافعْ ؟

أم لكي تُنْقذيه من شَجَن العُزْ

لةِ والفكرِ والأَسى والمدامعْ ؟

أم ترى تبخَلين بالنَغَمِ العذْ

بِ على العالمِ الأثيمِ الشقيّ

فتضمّين للدُجى والمنايا

كلَّ شادٍ في الأرض أو عبقريّ

أم ترى سنّة الوجود تَرَى ما
ليس يَدْري الأحياءُ أو يُدْركونا
فهي تَسْري كما تشاءُ المقادي
رُ وتُضْمي شبابنا المطعونا

وسواء على المقادير موتُ الشّ
اعرِ الفذّ في الصِبَا أو حياتُهْ
فهو جسمٌ على الثَرَى بشريٌّ
ضَيّعتْهُ أحلامُهُ وشكاتُهْ

فاذا ماتَ في صِبَاهُ فما اختا
رَتْهُ كفُّ المنونِ للأكفانِ
واذا عاشَ ما يشاءُ فما لِلْ
موتِ في عُمْرِهِ الطويلِ يدان

نبئيني اهكـــذا الأمر يا أقـ
ـدارُ أَم قد ضللتُ في أَفكاري ؟
أترانا كالزهْرِ يقطفُهُ الفلاّ
حُ في الفجرِ شارداً غيرَ دارِ ؟

ليس تعنيه هذه الزهرةُ الحلـ
ـوةُ ما دام في يدَيْهِ سواها
وهو يَجْني منهنَّ ما هو دانٍ
منْهُ ما دمنَ في الشَّذَى أشباها

أكذا يا أقدارُ ؟ ما أخيب المَسْـ
ـعَى إذن في ظلامِ هذا الوجودِ
أكذا تتركينَ حكمَكِ للصُّدْ
فـةِ ؟ يا للشقاءِ والتنكيد

كل حيٍّ منا إذن ليس يدري
ما سيلقى في يومه من شقاءِ
ربما كانت المنيّــــةُ في أوّ
لِ ساعِ النهـارِ أو في المساءِ

فهو يحيـــا على شفا الألم الرا
ئعِ منذ الشروق حتى المغيبِ
كلَّ يوم يقول : حان رحيلي
يا لَهذا العُمْرِ الشقيِّ الكئيبِ

أفليس المماتُ في ميعـــة العُمْ
رِ إذنْ نعمةً على الأحياءِ
حين ينجو الحيُّ الشقيُّ من الخوْ
فِ ويَفْنَى في داجياتِ الفناءِ

تاركاً هذه الحيـــاةَ وما فيـ
ـها من الزيفِ والأسى والظلامِ
بين كفٍّ الرياحِ والقَدَرِ العا
تي ونَوْحِ الشيوخِ والأيتـامِ

— آلام الشيخوخة —

يا دموعَ الشيوخِ في الأرض هيها
تَ تجفّين في العيونِ الشقيّه
أيُّ شيخٍ لا يَذْرف الأدْمعَ الحرَّ
ى على ما مضَىٰ ويشكو البليّه

فهو ذاكَ المحزونُ قَضّى صِبَاهُ
في لهيبِ الهمومِ والأحزانِ
ثم ذاق الشبابَ كأسةَ دمعٍ
ما لحيٍّ على قَذَاها يدانِ

ثم غاب الشبابُ في ظلمةِ العُمْ
ـر ِ ومات الأحبابُ والأنصارُ
كلّ عامٍ يَرَىٰ الأحبّاء يَفْنَوْ
نَ وتمحو ذكراهمُ الاقدارُ

يا لرَكبٍ مشىٰ به القَدَرُ الخا
دعُ تحتَ الرياحِ والظَلْماءِ
رامياً في فم المنيّةِ فرداً
منه في كلّ بُكْرةٍ ومَساءِ

يا شتاءَ الحياة لم يبق في الظُلْ
مة إلا هذا الشقيُّ الغبينُ
ذهبوا كلُّهم إلى الموتِ إلاّ
هُ فدوّىٰ نحيبُهُ المحزونُ

وهو ذاكَ المسكينُ أضعَفَهُ العُمْـ
ـرُ وحلّتْ بجسمِهِ الأدواءُ
ومضتْ ظُلمة الحياة بعينيـ
ـهِ وغابتْ عن وعيه الأشياءُ

وهو يدري أنَّ المماتَ قريبٌ
منه قُرْبَ الأحزانِ والأوجاعِ
كلّ يومٍ يكادُ يُلقي على العا
لمِ والعُمْرِ اغنيـــاتِ الوداعِ

يا غموضَ الحياةِ من أسلمَ الإنـ
ـسانَ للحادثاتِ والأقدارِ
ذلك البائسُ الضعيفُ الذي يأ
تي ويمضي ولم يَزَلْ غيرَ دارِ

فهو ما زالَ هائماً بهوَى العا
لِمِ والعيشِ في ظلال الزهورِ
يتغنَّى بحبِّهِ رغم مــا يَلْـ
قى منَ الحزْنِ واحتدامِ الشعورِ

فإذا ما بَدَتْ له ساعةُ المو
تِ ولم يبقَ في الحياةِ رَجاءُ
رسمَ الحــزنُ في محيَّاهُ رعباً
ما رأَى مثـلَ هولِهِ الأَحياءُ

وأَطلّتْ عيناهُ تُلقي على الكو
نِ تحايا الوَداعِ والحرمانِ
في ذهولٍ وروعةٍ يملآنِ الـ
قلبَ حقداً على الوجود الفاني

يا معاني الذهولِ في جبهة الميّـ
ـتِ ، لا لن أخافَ هذي المعاني
سأرَى فيك بَلْسماً يُنقِذ الأحـ
ـياءَ مما يَلْقَوْنَ من أحزانِ

سأرَى في المماتِ خُلْدَ حياتي
حين تعفو عنّي المُنى والجروحُ
وينامُ الجسمُ الوضيعُ على الأرْ
ضِ وتختالُ في السماءِ الروحُ

عندما تخفتُ الأعاصيرُ في سَمْـ
ـعي وأنسى الاصواتَ والاشياءَ
كلُّ شيء في العالمِ الأحمقِ الجاْ
هلِ يخبو ويستحيلُ هباءَ

فإذا أمعنَ النشاوَى بكأس الـ

إثم في اللهـــو والصُراخِ الأثيمِ

لم يجئْني من صوتهـم أيُّ همسٍ

وتفرّدْتُ بالسكونِ المُقيمِ

وتمـــرُّ السنينُ لا ألمٌ فيـ

ـها ولا إثمَ في ظلال الخلودِ

عالمٌ ليس لي التغلغلُ فيه الـ

آنَ فلأمضِ في غناءِ نشيدي

ولأعِشْ في هذي الحياة مع الأحـ

ـلامِ تحت النهار والظلمـــاتِ

أعشقُ الفتنةَ النبيلةَ في الور

دِ وفي ضجّةِ الرياحِ العواتي

وأسلّي نفسي وقلبي بمرأى ال
عابثينَ الأَشرارِ والواهمينا
هــؤلاء الذينَ يقضون أيّا
مَ صباهُمْ في هَذْرهم سادرينا

ليس تَعنيهمو الفضيلةُ والنبـ
ـلُ وما يحزنون للأشقياءِ
فإذا ما رأوا حزيناً معنّىً
رجموهُ بالشوك والأقــذاءِ

وِضعافُ الطيور في ظُلَلِ الأغ
صانِ تَلْقىٰ منهم صُنوفَ النَكالِ
وزهورُ الخبّازِ في رحبةِ الحق
ـلِ يدوسونها فيا لَلضَّــلالِ

وحياةُ الفنّانِ في عالمِ الوَحْـ
ـدةِ والفكرِ عندهم كالجنونِ
يا لهذي المأساةِ يا ربِّ ماذا
كتبتْ للأحياء كفُّ السنينِ ؟

ولتسرْ هذه الحيـــاةُ كما تر
جو المقاديرُ والأسى والظلامُ
وليَظلّ الأحياءُ في التيهِ يشقو
نَ وتقسو عليهمو الأيّامُ

ولأعِشْ ما يشاؤه القَدَرُ الظا
لمُ أبكي على أسى الأحياءِ
هؤلاء الصرْعى الظِماءُ الحيارى
بين فـــكّ الآثامِ والأدواءِ

— بين يدي الله —

المساكينُ يا سماءُ فمُدِّي
لأساهم كفَّيْـــكِ يَفْنَ الشقاءُ
إن يكونوا جنَوْا فقلبُكِ أسْمَى
أو يكونوا ضَلُّوا فأنتِ السماءُ

ليس يُعْيِي كفَّ الألوهة أن تمـ
ـحوَ حُزْنَ المعذَّبين الجياعِ
فهي نبـعُ الحياةِ والخيرِ والفنِّ
وبُرْءُ الاحزانِ والأوجاعِ

جئتُ يا ربِّ تحتَ ليلي الطويلِ الـ
ـمرّ أبكي حزني وحزنَ الوجودِ
حينَ ضاقتْ بي الحياةُ وأسلمـ
ـتُ قيادي لليـأسِ والتنكيدِ

جئتُك الآنَ يا إلهي ومـــالي
غير قلبي ونغمتي من شفيـعِ
أنا من قد رسمتُ مأساة هذا الـ
ـكونِ شعراً روّيتُهُ بدموعي

ها أنا قد مددتُ كفَّيَّ يا ربِّ
وعودي مُلْقَىً على قَـــدَميّا
وهو لحني الأخيرُ يا ربِّ ذوّبْـ
ـتُ حياتي فيه وحُلْمي النقيّا

فاذا لم تصِلْ سماءَك ألحـــا
ني فعُذْري كيانيَ البَشَريُّ
واذا مـــا تركتَني لشقاء الـ
عيش ِ يَلْهو بيَ الدُّجى الأبديُّ

فهو حظّي من الحياة قضتْـهُ
شرعةُ الدهر ِ والوجودِ الأبيدِ
كلُّ حيٍّ لا بدَّ أن يقطعَ العُمْـ
ـرَ صريعاً على ترابِ الوجودِ

بين فكِّ الرَحَى يغنّي ويبكى
ويذوقُ الحياةَ بِشْراً وحُزْنا
آهِ لا بدَّ من أسانا فمـــاذا
نفعُ هذي الشكوى الحزينة منّا

فلنلذْ بالأنين فهو ختـــامُ الـ
يأسِ والدمعِ والشقاءِ العاتي
يمسحُ الأعينَ الحزينةَ من أد
معها الهامراتِ في الظلمات

فاصرخي يا رياحُ في شُعَبِ العا
لم وأمضي تفجُّعاً وعويلا
واصخبي يا بحارُ ما شئت في سم
عيَ واستصرخي الضُحَى والأصيلا

واطغَ يا ليلُ بالأسى ومعاني الـ
يأسِ في قلبيَ الرقيقِ الكئيبِ
لن تنالَ الآهاتُ منّيَ بعد ال
آنَ حتى إن عشتُ فوقَ اللهيبِ

فوراء الحيـــاة معنىً عميقٌ

ليس تفنيه سورة الأحزانـِ

هو معنىً الألوهةِ الخالدُ المر

جوُّ خلفَ الوجود والازمانِ

– الرحيل –

فوداعاً يا كلّ ما في الوجود ال
عبقريِّ العميقِ من آهـــاتِ
كنتِ في قلبيَ الخياليِّ مأسا
ةً وأنت الغَدَاةَ سرُّ حياتي

سوف أهواكِ يا دموعي وأحزا
ني ما عشتُ في الوجودِ الجميلِ
فاصْحَبيني إذا أنا عشتُ في العا
لم أو حانَ عن ثَرَاهُ رحيلي

يا حياتي في هذه الأرضِ أمّا
أنتِ فامضيْ كما يشاءُ الزمـانُ
انشري ذلك الشراعَ وسِيري
وتَغنّيْ مـا شاءتِ الألحانُ

وإذا ما هبّت رياحُ الرَدَى يَو
ماً وهزّت كفُّ القضاء الشراعا
فابسمي للأمواج مغمَضَةَ العيـ
ـنِ وقولي يا أُغنياتُ وَدَاعا

هكذا تبلغ السفينةُ يا شـــا
عرةَ الحزن شطّهـــا الأبديّا
شاطئَ الموتِ شاطئ الوحي والأسـ
ـرارِ ذاك المحجّب المخفيّـــا

أغنية للانسان

– ١ –

« نظمت هذه القصيدة عام ١٩٥٠ »

في عميق الظلام زمجرتِ الأم
ـطارُ في ثورة وُجنَّ الوجودُ
طاش عَصْفُ الرياح والتهب البر
قُ وثارت على السكون الرعودُ

ثورةٌ ثورة تمـــزّق قلبَ الـ
ـليل والصمت بالصدى بالبريق
ثورةٌ تحت عصفها رقـد الكو
نُ عميقَ الأَسى كجرْحٍ عميقِ

صرخاتُ الاعصار أيقظتِ الرع
ب َ بقلب الطبيعة المـــدلهمِّ
تتلوَّى الأشجار ضَـــارعة وال
مطر البارد الشتائيّ يهمي

تتلوّى في رعشة ، في جنون
وفؤادُ الاعصار في غَلَيانِهْ
تتلوّى كأنهــــا روح إنسا
نٍ يريد الخلاصَ من أحزانهْ

كل شيء في ثورة وانفعالٍ
كلُّ شيءٍ في ليـليَ المحزونِ
وأنا مثلُها تمزقني الثو
رة والحزنُ ، مثلُها في جنونِ

أنا حيثُ الآلامُ تُطبق جُنْحيـ
ـها المخيفين في الدياجير حولي
أدمع في محاجري ، ولهيبٌ
في دمي واكتآبةٌ فـوق ظلّي

لم أزل في كآبـتي وشرودي
أرقبُ الليلَ والأعاصيرَ حَيْرى
في عيوني آثارُ حُلْمٍ جميلٍ
كان يوماً وأصبح الآن ذكرى

في جمود وقفتُ أرقب من نا
فذتي ثورةَ الدُجى وجنونَهْ
ورشاش الامطار يلطم وجهي
وأنا في خواطري المحزونهْ

يا أعاصير من دمائي خذي النا
رَ ومن حزني العميق الشديدِ
يا دياجيرُ من فؤادي خذي الظلـ
ـمةَ إني في غيهبٍ ممـدودِ

عصرتني الحياةُ لم يبقَ معنىً
لوجودي لأَدمعي لحياتي
كل شيء يلوحُ لِي عَدَماً مرّاً
ولغزاً مكفّنـاً بالشكاةِ

كلُّ شيء تلفّـه ظلمة أعـ
ـمقُ من أن يُنيرها قطُّ ضوءُ
ظلمة كالمات تخنقني خنـ
ـقاً هي اللاانتهاءُ واللاشيءُ

ظلمة في امتدادها يخبط الأَحـ

ـياءُ في غفلةٍ عن الاقدارِ

أين نمشي ما عدتُ أحتمل الجهـ

ل متى الفجرُ ؟ طال بي انتظاري

في ضباب الأحلام والشعر مرّغـ

تُ غرامي ونشوتي وِصبـــايا

في بحار الخيـــال تاه شراعي

فيمَ ؟ ماذا جنيتُ غير أسايا ؟

ودفنتُ الشبابَ والحبّ من أجـ

لِ طموحي ولم أزل في هيامى

حرقة الاطّلاعِ تصهر أحـــلاّ

مي واحساس فكري المترامي

وشعوري الرقيقُ ؟ أوّاه من عمـ
ق شعوري وحسّي المشبوبِ
كيف أنجو من الاحاسيس من حـ
بّي وكرهي ؟ من هدأتي ولهيبي؟

كيف أنجو من الأسى إن يكن حو
لي وجود مقيّدٌ موبوءُ
ألفُ جُرْحٍ في صدره ثار في عمـ
ق هدوئي فلم يعد لي هدوءُ

وأكفّ الحياة تجرحني والـ
لغزُ يبقى لُغْزاً عميقاً خفيّا
تتحدّى الاحياءَ قهقهــةُ المو
تِ وتبقى الحيـاةُ ليلاً دجيّا

أين أين الذين غنّوا على الار
ض طويلاً واستبشروا وأحبُّوا ؟
لا صدىً من غنائهم لا لهيبٌ
من أحاسيسهم يثورُ ويخبو

ليس منهم إلا قبور حزينا
تٌ تبقّت على ضفاف الحياة
جفّ نبع الحياة فيهم فلاذوا
في سكون بعالم الاموات

المساء الجميل حدّثني عن
هم أقاصيص كلُّها أحزانُ
شهد الليل أنّه مثلما كا
ن فأين الذين بالأمس كانوا ؟

كيف يا دهر تنطفي بين كفّيـ
ـكَ الاماني وتخمدُ الاحلامُ ؟
كيف تذوي القلوبُ وهي ضياءٌ
ويعيش الظلامُ وهو ظلامُ ؟

كيف تحيا الاشواكُ ،والزَهرُ الفا
تنُ يَذْوي في قبضة الإعصارِ ؟
كيف تمضي الى الفناء الأناشيـ
ـدُ وتبقى مرارةُ الاقدار ؟

وأكفّ الحياة تجرحني فيـ
ـمَ بقائي ؟ حسبي أسىً وعذابا
في ربيع الشباب ما أعمق الجر
حَ اذا كانت الحياةُ شبابا

الشبابُ الذي يسمّونه نعْـ
مىٰ شباب الشعور والرّغبات
والشبابُ الذي اسمّيه إحسا
ساً عميقاً بكلّ ما في الحياة

الشباب الكئيب حين يفيق الـ
حالمُ القلب شارداً مستطارا
ويرى في تفجّعٍ جثّة المـا
ضي الغريقِ الثاوي وكيف تُوارى

ذكرياتُ الطفولة العذبةُ البيـ
ضاءُ راحت تنهار في استسلام
وظلال البساطة الفجّةُ الحُلْـ
وةُ ذابت في مُنحَـ[illegible]

والفـؤاد الرقيـق يصدمه الإحـ
ساس بالواقع الغريب الجـديد
واقـع لم يحسَّهُ قط من قبـ
ل وأفقْ من عـــالمٍ مفقودِ

ليس يدري مـــاذا يُحسُّ لماذا
تتبقّى أعمـــاقُهُ في انتفاض
مُثُل في تمـــزّق واصطراعٍ
وأحاسيس مـا وعاها ماضي

رَغَباتٌ كالليل غامضةُ الأصـ
ـداءِ تُرْغي فيها وراء الشعورِ
وشعورٌ بفورةٍ في الدم الجـــا
رفِ تبقى كناقمٍ موتورِ

وانبثاقٌ يريــد أن يملكَ النجـ
ـمَ ويسطو على ذرى الآفاقِ
واندفاع إلى محـــانٍ وراء الـ
ـحسّ في المستحيل في الأعماقِ

كل هـــذا يُحسّه قلبي الدا
مي بجُرْح الشباب والإحساسِ
ليتني لم أشبَّ بعـدُ عن العشـ
ـر ولم يَستفقْ شعوري الناسي

ليتني لم أزل كما كنتُ قلباً
ليس فيه إلا السَّنَا والنقـــاءُ
كلَّ يوم أبني حياتيَ أحـــلا
مـاً وأنسىٰ إذا أتاني المساءُ

فوق تلّ الرمـال أصرف أيّا
مي وأبني مستقبلاً من رمـالِ
لا أحسّ المأساة حولي ولا أسـ
ـمعُ في الرمل ألفَ ألفِ سؤالِ

كالعصافير لم أحيّر أحاسيـ
ـسي يوماً بمـا تقول الرياحُ
فوق تلّ الرمـال أرسم أشبا
هَ قصورٍ سكّانُها أشبـاحُ

وتمرّ الساعـاتُ بي وأنا أبـ
ـني خفايا مدينة الأحـلامِ
أيّ يوتوبيا فقـدتُ وعزّ الآ
نَ إدراكُها على أيّامي

تلك يوتوبيا الطفولة لو تر
جع لو لم تكن خيالَ مَنامِ
إيه تلّ الرمال ماذا ترى أبـ
قَيْتَ لي من مدينة الاحلام ؟

هوذا أنت ، مثلما كنتَ تلّاً
شاعريّاً مكللاً بالجمال
وأنا لم أزل أمرّغ أحلا
مي وأبني ... لكن قصورَ رمالِ

كنت عرشي بالأمس كنت ليَ الأو
لَ والآن لم تعد غير تلٍّ
كان في هذه الرمال وجودٌ
شاعريٌّ يلفّهُ ألفُ ظلِّ

ذهب الأمسُ لم أعد طفلة تر

قبُ عشّ العصفور كل صباح

لم أعد أبصر الحيـــاة كما كا

نتْ رحيقاً يذوب في أقداحي

لم أعد في الشتاء أرتقب الأم

ـطار من مهديَ الجميلِ الصغيرِ

لم أعد أَتبـعُ الحمـــامة أن غنّ

ـتْ وألهو على ضفاف الغدير

لم أعد أستطيـع أن أحكم الزه

ـر وأرعىٰ النجومَ في كلّ ليلِ

لم أعد أمزِج الوجـود بقلبي

وأعدُّ الحياةَ قصّــــةَ طفلِ

ذَهبَ اُلحلْم والطفولة واعتض
تُ بحسّي الرهيفِ عن لهو أمسِ
كل ما في الوجود يجرحني الآ
نَ ولون الحيـاة يطعن نفسي

أين شعر الوجود ؟ أسفر عن شيء
طَوَى سرَّهُ ذبولُ الرمـاد
كل شيء قـد عاد أشبه بالقبـ
ـر رهيباً ملفّعاً بالسواد

النشيد القديمُ ضاع صداه
حين مرّت به يــد الأعوام
كلّ شيء ينهـــارُ إلا عنادي
وحنين الجمال في أحـــلامي

وحوالي تُطْبق الخيبـــةُ المرّ
ةُ جُنْحَيْ نِسْرٍ مخيف السكون
أيها الواقـــعُ الثقيلُ حنانَيْـ
ـك أهذي عقبى المنى والحنين ؟

رعشات الازهار لم تعـــد الآ
نَ نشيـداً وضحكة استبشار
بعضُ شيءٍ فيها يمرّ على سَمْـ
ـعي بأقدام قاطفِ الأزهـــار

وغناء الطيور لم يعد الآ
نَ شفاءً لادمعي وخـــلاصا
بعضُ شيءٍ فيه يذكّرني الأقـ
ـيادَ والصائدين والأقفاصا

وعبور النسيم لم يعـــد الآ
نَ كما كانَ فرحةً في كياني
بعضُ شيءٍ فيـه يُذكّرني الأ
مواتَ تحت السكون والنسيان

واختلاجُ الأمواجِ في النهر ما عُدْ
تُ أراه إلا دُجَى مـدلهمّا
بعض شيء فيه يذكّرني جسـ
ـم غريقٍ رأيتُهُ فيه يومـــا

ومرور الأيّام مـا عـاد يبدو
لي ربيعاً ملوّناً سحريّا
بعض شيء فيه يذكرني الأقـ
ـدار والموت والأسى الآدميا

وجمال الوجود ما عاد يبدو
لي مثـــيراً لنشوةٍ لا تُحَدُّ
بعض شيء فيه يلخّص لي القصّ
ة في لفظتين : مهد ولحدُ

عُدْتُ أخشى الحياةَ ، أفرق منها
وأراهـــا دعابةً لا تطاقُ
انهـــا الآن قصّةُ حاكها بالدّ
مع والنار مـــاردٌ عملاقُ

حسبُها أنّنا دفعنا إليهـــا
ثمنَ العيش حُرْقةً ودموعا
أي ذنب جناه آدم حــتى
نتلقّى العقاب نحــن جميعا ؟

أيُّ ذنبٍ جنتْه حوّاءُ ؟ ماذا
عرفتْ من ثعبانها المشؤومِ
ليتها لم تمسَّ دوحتها قطُّ
ولم تصبُ للجَنَى المسموم

ليتهــــا لم تحسّ بالشرّ والخيـ
ـر ولم تَدْرِ للتمرّد طعما
ليتها حافظت على جهلها المطـ
ـبق ما دامت الغباوةُ نُعْمى

وليكن آدمٌ وحواءُ قـــد ثا
را وداسا السماءَ في إصرارِ
أو لم يكفِ أن أضاعا جنانَ الـ
خُلْد ؟ لم تكف سورة الاحتقار ؟

وسدىً يبحثان في عـــالم يَسْ
كنُ فيه الغموض والأسرارُ
السماء التي أضاعـــا خلودٌ
وهنا يحـــكم الرّدَى الجبّار

هبطا في تعـثرٍ صامت الآ
هاتِ غرقانَ في جمود الذهولِ
يسحبان الذكرى الكئيبة في صم
تٍ ويستحييان جَدْب الحقولِ

إيه حوّاءُ ! كيف عوقبتِ بالنف
يِ ولولاكِ مـا عرَفنا النورا
أنتِ يا من بعتِ الخلودَ بأحزا
نِ لياليكِ واشتريتِ الشعورا

الخطايا التي اقترفتِ ستبقى
شُعَلاً في وجودنا وضياءَ
كخطايا الربّ الذي سرق النا
رَ لعبّاده ونال الشقاءَ

آهةٌ في الوجود تُسْمع يا حوّ
اءُ روحي حديثكِ المجهولا
كيف ألقيتِ رأسك الحلو في يأ
سٍ على صخرةٍ ونُحتِ طويلا

وعلى بعد خطوتين حنا آ
دم في صمته الرهيبِ الحزينِ
شعرُهُ الأشقرُ الجميلُ تهاوى
خُصُلاتٍ على شحوب الجبينِ

إهدآ أيّها الكئيبان ما زا
ل لقلبيكما بقايا هناءِ
بعضُ ذكرىً من السماء غداةً
حَيّ بذُرّيةٍ من الأشقياءِ

في الجبال التي تموتُ بها الأصـ
ـداءُ رَجعٌ من ماضياتِ القرونِ
وكأني هناك أسمع أصدا
ء خطىً تستثيرُ قلبَ السكونِ

شبهُ أقصوصةٍ يُرَجّعها الوا
دي حديثاً عن سيرةٍ بَشَريّه
مسحتها الأيامُ لم تُبْقِ منها
غيرَ همس في الأنفس الشاعريّه

حدّثتني الوديانُ عن زمنٍ مرّ

ولفتْه بالضباب الليالي

عندما كان في الوجودِ فتىً را

عٍ يُغنّي الرياحَ فوقَ الجبالِ

كان يُدْعىٰ هابيل كان يسوق الـ

غَنَمَ الظامئاتِ كلَّ صباحِ

كان في روحه بقيةُ ذكرىً

من حياة السماء والأرواحِ

مقلتاهُ حُلْمان بالشعر والحب

يذوبان في صفاء المراعي

شفتاه ارتعاشتان لما يُبْـ

صِرُ من فتنةٍ ومن إبداعِ

يسقطُ الليل بالنَدَى فوق جَفْنَيـ

ـهِ ويغفو على ظفائر شعره

ذلك الحلْمُ ، ذلك الأَبدُ النا

ئمُ هابيلُ في صفاهُ وطُهْرِهْ

كان يوماً ينام في ظُلّةِ الجو

زِ على شطِّ جدولٍ نعسانِ

حالماً بالآفاق كفّاه في الما

ءِ الصيفيّ في سكون المكانِ

نشوةٌ ملءَ روحه ، روحه الظمـ

آى إلى كل فاتن مسحورِ

ليس يصغي إلا إلى همسة الما

ء وخطو القطيع قوى الصخورِ

لم يشاهد قابيلَ تقتلُهُ الغَيْـ
رةُ يمشي في نقمة محمومه
في يديه سكّينُهُ الحاقدُ المسْـ
مومُ في مقلتَيْهِ طيفُ جريمه

لم تكن غيرُ صرخةٍ ، غير تأويـ
ـهةِ حزنٍ غير اضطرابٍ قصيرِ
هدأ الجسم بعدهـا وثوى الرا
عي النبيل المقتول عند الغدير

وأتت ظلمةُ المساء على الحقـ
ـل وعاد القطيعُ من دون راعي
ليس إلا قابيل يمشي رهيبَ الـ
خطوِ نهبَ الأفكارِ والأوجاع

ـتول عن ذهنـه الاثيم المسيءِ
كلما قاتل الأسى عاودتْهُ
في الدُجى صرخةُ القتيل البريءِ

أو لم تسمع الحقولُ صدى أنّـ
ـة هابيل حين خرّ قتيـلا
أولم يشهدِ القطيـعُ على الجا
ني ألم يبصرِ الدمَ المطلولا

أين هابيلُ؟ أين وقع خطى أغـ
ـنامه في الجبال والوديانِ؟
ليس منه إلا ضريح كئيب
شادَهُ في العراء أولُ جان

يا لأحزان آدم عندما آبـ
ـصرَ بابنيه قاتلاً وقتيلا
أيها المستطارُ لن تردَعَ الأقـ
ـدارَ حتى إذا بكيتَ طويلا

استرحْ أنت ، ثم دع القاتل الآ
ثم يسكر على نشيش الدماء
لَعَناتُ القتيل لن تعرفَ الصمـ
ـت غـــداً تستبدّ بالأحياء

لعنات تظل تصرخ بالثأ
ر وتبقى تحزُّ في الأعصابِ
وتحيل الايدي مخالبَ والأرْ
ضَ قبوراً والناسَ محض ذئابِ

سوف يأتي جيل من الناس محمو
مُ يصيحُ الجنونُ في رغباته
يتمنى لو كانت الارض لحماً
ليصبَّ المزيدَ من طَعَناته

وانبثاقُ الدماء يُغريه ما لذ
ةُ هذي الـثمالة المسمومهْ ؟
انهـــا اللعنة القديمة أبقت
في عروقِ الابناء نبض الجريمهْ

ذلك النبض لن ينام إلى أن
يترك الكون في الفضاء شظايا
ذلك النبض لو يحدّثُ عمـــا
سال في الارض من دماء الضحايا

حدثينا يا فورة الشرّ في أعـ
ـماق هـــذي السلالة العمياءِ
عن جنون الطموح يقتات من ضوء
المـــآقي ويرتوي بالدماءِ

عن جمود الرجاء في أعين القَتْـ
ـلى ولون الشرود والنسيـان
العيونُ التي تحدّق في الـــلا
شيءِ في غفـلة من الأزمانِ

عن عيون كأنّ فيها فُتوراً
ساخراً من وجودنا المجنونِ
وعيونٍ كأنها تقذف اللعنة
والموت في لظى وجنـونِ

وعيون ترسّب الصمتُ فيها
وانطوى خلف لونها ألف سرِّ
وعيون أخرى يضجُ أساها
ترمق الموت في ابتهال وذُعْرِ

والعيون التي تحدّق لا قعـ
ـر لها لا بداية لا نهايه
والعيون التي استحالتْ رماداً
مطفأً ليس في تلاشيه غايه

والعيون التي تحقّرُ في صمـ
ـتٍ وتلك التي تلوح ذهولا
والعيون التي يغلفها الحز
نُ وتبكي شبابها المقتولا

والعيون التي يعفّرها الرم
لُ وتمحو ضياءها الظلماتُ
والعيون التي تحدّق في الأَر
ضِ كأن ليس في الوجود حياةُ

وعيون العدل الصريـع مع الأم
واتِ بـين الدماء والأشلاءِ
من رآها استحال صخراً أصمّاً
ميّت الحسّ خادر الأعضـاءِ

أين أين المفرُّ من هـاته الأعـ
ينِ من لونها العميق الرهيبِ
انهـا لا تنـام لا تعرف المو
تَ وتبقى في حقدها المشبوبِ

انها لا تغضُّ أحداقهـــا السو

د وتبقي غضبى تفيض جنونا

انها في السماءِ في الأرض في كل

مكانٍ يحسّ بالميتينـــا

في هـدوء العروق تصرخ في اللي

ل وتعـــوي في كلّ قلب أصمِّ

في جمود الضمائر الميتة الشلاَّءِ

في كل قـــادم مدلهمِّ

ليس يقوى على فظاعتها النِسْ

يانُ فهي ارتجـــافة في الشعورِ

وانعصار في الروح يغلي جنونا

وسياط تنصبُّ فـوق الضميرِ

وكوابيسُ كالسَعَالي تجوسُ اللـ
يلَ خلف ٱستنامة اللاشعورِ
كلما أخلد الضميرُ إلى النو
م أفاقت من كهفها المسحورِ

ودعت موكبَ الخطايا فخفّت
من أقاصي الدُجى المخيف الجديبِ
موكب قاد خطوَهُ الندم القا
تل غرقانَ في جمود رهيبِ

أين أين المنجى ؟ وكيف تنامُ الر
وحُ في ضجّةِ الضميرِ المُهانِ ؟
أيّ نوم يذوق راحته الجلاّ
دُ ؟ هل للذنوبِ من نسيانِ ؟

يا حبال الجلاّد لفّي على الأع

ناق أفعى الذنوب والآثامِ

انسجيها من رجع أغنية الأم

واتِ من لعنةِ الجراحِ الدوامي

اجمعيها من كل عمـــر طوتـهُ

كفُّ (آريس) وهو ما زال غضّا

إلقطي لحنها من الموكب الأخ

رسِ ما بين ثاكلين ومَرْضى

من شفاه الأطفال تحـلم بالمأ

وَى وبالدفء في رياح الشتاءِ

من عيون الصبيان ترسم في الظل

ماءِ أحـــلامَ عودة الآباءِ

من جنون الرياح تعصف كالأقـ
ـدار فـــوق الخرائب المنثوره
حيث كانت تقوم أبراج تلك الـ
ـمدن العبقريّة المسحوره

حيث أمست تمتدّ مملكة الغر
بان والليل والمنايا السودِ
عـــالم يحكم التآكّل فيـــه
ليس فيه غير الصدى من جديدِ

وأماسيه لا تمـــرّ كما كا
نت عليها الأوتار والأقداحُ
إنها الآن مسكنُ الرُعْب تأوي
لذراها الرياح والأشباحُ

القصور البيضاء هبّت من أُحلاْ

مِ على منجل الردى القتّالِ

تتهاوى أحجارها السود في صم

تٍ وتنهار في سكون الليـــالي

ذلك الحلم في عيون الصبايا الـ

ناعساتِ الأجفانِ والأعمارِ

حَصَدَتْهُ في الفجر قهقهةُ المـد

فعِ فانهـــار خامدَ الأوتارِ

والشفاه العذراء أطبقها المو

تُ على لحن حبّهـــا المبتورِ

والجباه التي ذوت قبل أن يلـ

مَسَها إصبعُ الهوى المسحورِ

والخدود التي تعير مغيب الشم
مس ألوانها وتسقي الشروقا
غارَ فيها جُرْحُ التراب عميقاً
وذوت قبل أن تذوق الرحيقا

والعيونُ الظمأى التي تشرب الأ
جمُ منها وتستعير سناهـــا
دفن الموتُ خلف أهدابها أغـ
نيةَ اللون وانطوت ذكراهـــا

والأكفُّ التي انطوت وهي ما زا
لتْ تحوكُ الطموحَ والأهواءَ
لم تزل غضّة أصـــابعُها اللد
نة تستعصر الحصى والهـــواءَ

والقلوب التي بَنَتْ من صباها
معبـداً للجمال والألحـانِ
من ضباب الأحلام من ملمس الور
د ومن روعةِ الدجى الوسنان

في جنون ظلت تصفّق شوقاً
لرحيق المستقبل المجهولِ
فأفاقت على مطـــاردة المذ
جل في ميعة الصِبا المعسولِ

وأطلّت إلهـــةُ الفجر أورو
را على المشهد المثير الرهيبِ
لحظة ثم أطبق الأمسُ جَفْنيـ
ـهِ على الحاضر المقيت الجديبِ

لحظة ثم نامت الأعينُ الشهلا
ءُ واستسلمت إلى النسيانِ
وَحشَاها الترابُ صمتاً وبرداً
بعد دِفْءِ الشعورِ والألوانِ

لحظةً ثم مَرَّغت مُدنُ الأحـ
لام أبراجها الضخامَ القباب
في تراب الفوضى وعادت خيالاً
مَسَحَتْ رسمَهُ يدُ الأحقاب

حيث كان الجمال يفرش ضوء الشـ
ـمسِ روحاً وفتنـة وطيوفا
أصبحت ترسل الخرائب صوت الصَّـ
ـمتِ والموت غيهبيّاً مخيفا

حيث تمتـدّ وحشةُ المُدُن المي
تةِ صمّـــاءَ في جُمُودِ الصخورِ
كل شيءٍ فيها تحوّل صمتـــاً
ليس فيه من خلجةٍ أو شعورِ

غير معنىً مكبّل ربمـــا استي
قظَ في رقدة الرخام الحزين
لا تعيه إلا النفوسُ التي تَسْ
معُ همسَ الدجى وصوت السكونِ

لا تعيه إلا القلوبُ الـتي تق
ـرأ سرَّ الذهول في عينـينِ
وتُحسّ البغضـاء ترجف كأساً
وتحسُّ الجنونَ في شفتـــين

هذه الأنفس العميقة تـــدري
ان سراً يشيع في الأحجـــار
وتواريخَ كامـــلاتٍ يغنيـ
ـها العمود الكابي لحزن الجدارِ

وتلال الأنقاض تروي الأقاصيـ
ـصَ لسمع الظلام والأشباحِ
عن مئاتِ الخطى التي عبرت يو
ماً وماتت مع الدُجى والرياحِ

عن أغانٍ مرّتْ بأعمدة الأبـ
ـهاءِ غَرْقَى بالدفءِ والأحلامِ
ناعمات تغوص في رجعها الآ
هاتُ سكرى الخطوط والأنغام

الأغاني التي تلامس خـــد الـ
ليل ملساءَ صافيـــاتِ الشفاهِ
نام فيها لُغْزُ الجمـــال وأغفت
فتنة الحبّ والشباب اللاهي

جفّ عرق الحياة فيها وعادت
ذكرياتٍ مطموسةَ الالحـــانِ
في زوايا الانقاضِ تسردها الاعـ
مدةُ الباليـــاتُ للجُدْرانِ

وتلولُ الانقاض تروي الاقاصيـ
صَ لسمع الظلام والاشباحِ
عن فلول الذين عادوا من الحر
بِ حطاماً وحفنةً من جراحِ

كيف مرّتْ على وجوههمُ الربـ

ـداءِ كفّ الرَدَى فلم تُبْقِ لونا

كيف عادوا يرتلون نشيدَ الـ

موتِ ملء الفضاء لحناً فلحنا

كيف ألقى الحرمانُ ظلَّ السنين الصـ

ـفرِ فوق العيون فوق الشفاهِ؟

ويدُ الموتِ كيف أبقتْ أساها

وتراثَ الذهولِ فوق الجباهِ ؟

وخطاهم كأنّ وقعَ صداهـــا

جرسُ الموت رنّ ملء الفضاء

منشداً للحيـاة أغنيـــةَ الفَوْ

ضى ولحـن الجنائز السوداءِ

رَجَعُوا في جباهِهم صُفْرةُ الاشـ
ـباح يمشون في جمودٍ عميقِ
هذه الاعينُ الرماديةُ الأَسْـ
ـرار هل خلف صمتها من بريقِ ؟

هل حديث عن الليالي البطيئا
تِ وعن ثلجها الكثيف الثقيلِ
عن جليد الضباب ينهش جسمَ الـ
صمت في ظلمة المساء الطويلِ

عن سهاد الاحزان في أعين الحرّ
اسِ في الخندق الرهيب الدامي
رَسَبَ الليلُ فوق أهدابهم ثلـ
جاً ومات الاحساسُ في الاقدام

سهروا يرصدون أقبية الليـ
ـل سَكارى بالسهد والانتظارِ
مات في ذكرياتهم وَتَر الاحـ
ـساسِ بالبردِ والسكون العاري

يرصدون الحيـاة في ملل مرّ
التلوّي مسنّنِ الاصفـادِ
كل عينينِ فيهما قصّة تُتْـ
ـلى وتَرْوي لليلِ سهدَ الرّماد

والجنود الذين أغفوا مع المو
تَى وناموا على الثرَى الثلجيّ
كل أحلامهم كوابيسُ من نا
رٍ وقتلى ووحشةٍ ودويّ

ثم ياتي الصبـــاحُ ثانيةً يصـ
ـحَبُهُ الموتُ أسودَ الانيابِ
من جديدٍ يمرُّ يحصدُ لا يُبْـ
ـقي على الارض غيرَ صمتِ الخرابِ

ويضيعُ المساءُ في ألفِ فجرٍ
ويضيـعُ الصباحُ في ألف ليلِ
كلُّ شيء يذوي وينهار لا يُبْـ
ـقي على الارض غيرَ ذكرىً وظلِّ

ويُطلُّ السلام ذاتَ ضحىً حطّـ
ـمه الليلُ والمـــدى المستحيلُ
ملء عينيه نَعْسةُ الحُلُم الخجـ
ـلانِ والصمتُ والرجاءُ الهزيلُ

السلامُ الحزين هذا الطريد الـ
تائه الخطو ما له من مَقَرّ
ذو العيون الزرقاء ينبُعُ منها الشـ
ـعرُ والحبُّ في صفاءٍ وطُهْرِ

ها هو الآن يستقرُّ على الأر
ض غريباً ممرَّغَ الجنحـــينِ
في دمـاء السنين تتكىء الخيـ
ـبةُ في مقلتيـــه في الشفتينِ

يعبر الميّتين والمُدُنَ الصمّـ
ـاءَ والجَدْبَ والأسَى والذهولا
باسمـــاً في مرارةٍ ليس يدري
كيف عاد الأمسُ القديمُ ذبولا ؟

اتركوه يهيمُ في الجَدْب والفَوْ
ضىٰ ويُحْصي الجراحَ والآهاتِ
اتركوه مضيِّعاً دونَ مأوىً
تائهاً في مجـــاهل الظُلُماتِ

يتغذى بالذكرياتِ ويأوي
لتلال الأنقاض والاشلاءِ
ويغنِّي له الغـرابُ نشيدَ الشـ
ـرّ والموتِ في اربداد المساءِ

أيُّ قلبٍ يؤويهِ ؟ كيفَ يعيش الضـ
ـوءُ في رفقة الدُجى والشرورِ ؟
كيفَ يحيا البياض في هذه الأو
عية السود في خمودِ الصدورِ ؟

أيُّ عينينِ تُدْركانِ صَفاهُ
وتُحسّان سرَّهُ المكنـــونا ؟
هل تبقّتْ إلا كهوف شقيّا
تٍ تسمّى مآقياً وعيـــونا

ملؤها اليأس والمرارة حيناً
ملؤها الشرُّ والأذى أحيانا
أين ياوي السلام والحبّ؟ يا للْـ
حربِ لم تُبْقِ في الثَّرَى إنسانا

ليس إلا قوافلٌ من حَيارَى
نام في ذكرياتهم كلُّ صوتِ
يذرعون الحياة في حـيرة الأشـ
بـاح يمشون ميِّتاً إثر ميتِ

بَرَدَت في عيونهم قصةُ الحب
وأبقت صمتاً عميقاً طويــــلا
وخبتْ في جفونهم ومَضْة المع
نى وأبقت غشاوةً وذهــــولا

الحيـــارى لا يدركون لماذا
يملأون الوجودَ ضحكاً وحُزْنا
وجنونُ الحياة من أجلِ ماذا ؟
أيُّ مغزى وراءَها ؟ أيُّ معنىً ؟

الحيارى أبقتْ لهم قصةُ الحر
ب اضطراباً ممزّقـاً لا يَقَرُّ
وجحوداً يـكادُ يكفُرُ بالرّو
حِ وشكّاً في كل شيء يمرُّ

يعبرون الأيّام أجنحـةً شلاّء
قصّتْ زوابـع الايّــــامِ
ريشَها فهي في الثرى تبصر التحـ
ـليق في غطـّة من الأحلامِ

وانطوت في عيونهم قدرةُ التلـ
ـوين والخلْـق واصطياد المعاني
فهم لا يَرَوْنَ ما يختفي خلْـ
ـفَ جمودِ الاشياءِ من ألوانِ

ربما أبصروا على الأُفق النعـ
ـسانِ قوسَ الامطار يقطُرُ شعرا
كلُّ لونٍ يذيـعُ في خاطر الغيـ
ـم نشيداً يذوب شهداً وعطرا

وهمُ يسحبون أقدامَهم فـو
قَ تراب المـلالِ والبغضاءِ
ومآقيهمُ الرَمادِيّة الجـدْ
باء قـبرُ الجمالِ والإيحاءِ

اشحبي يا غيومُ وانطفأي يا
مُقْـلةَ الشمس في الفضاءِ البعيدِ
ولمن يُشرق الجمـالُ ؟ أللنِسـ
يانِ ؟ للإحتراق ؟ للتبديدِ ؟

ولمن تضحك النجومُ ؟ لمن تَسـ
ـكبُ أهدابُها كؤوسَ الضياءِ
ولمن تَرْقصُ الفراشاتُ سكرى
بعيون البنفسج الزرقاءِ ؟

ولمن هــــذه العذوبةُ في الاز
هارِ؟ في نَعْسَةِ الشَذَى النشوانِ؟
في غناء الجداول العذبة الوَسْـ
نَى لأرض عُشْبِيّةِ الاحضانِ

في ابتسام المروج بعد مساءٍ
مُمْطرِ الصمت دافىءِ الديجورِ
في دموع النَدَى على زهرة بيـ
ضاءَ نامتْ على حفاف الغديرِ

ولمن تُرْسلُ العصافيرُ لحن الـ
حبِّ والضوء والشَذَى كل فجرِ؟
والحفيف المفتونُ ان لم توسِّدْ
هُ رؤانا لمن يذوبُ ويَسْري؟

أغناءٌ ولا مسامعَ تؤوي الـ
لحْنَ والحبَّ في كؤوس الشعور؟
وجمـــالٌ ولا عيونَ تحوكُ الـ
حبَّ منه لُحلْمها المسحورِ ؟

وينابيــعُ تسكب السكّــر الذا
ئبَ ماءً وليس من عَطْشانِ
وورودٌ حمراءُ يحـــترق العط
رُ عليها في الَجدْب والنسيانِ

ومِهادٌ من الشَذى رخصةُ العُشْ
بِ تذيـع اخضرارها في الفراغ
وعطور تظل تجرفــها الأم
طارُ في عاصفِ الرياح الطاغي

كلُّ هذا العِطْرِ المبعثر ملء الأ
رضِ مـلء الحياة والآفاقِ
لم يَعُدْ يوقظُ العروق التي أغـ
فت عن اللونِ والسَّنَا البرّاقِ

وانطوت فوق ذاتها ترقُبُ الأيـ
ـامَ مملوءةً أسىً وملالا
الشعورُ العميقُ تدعوه وهماً
وتسمّي حبّ الجمال خيـالا

هذه الأنفسُ الممزّقـةُ العمـ
ـياء ، هـذي المدافن الجوفاءُ
هدّمتْها مخالبُ الحربِ وامتصّـ
ـت شذاهـا الدمـاءُ والاشلاءُ

وتبقّت فيها مقـــابرُ للشر
وللبأس جَهْمَةُ الآفاقِ
عكستْ بعضَ جَدْبها وأساها
صرَخاتُ الفراغِ ملء المآقي

أين تمضي هذي الملايينُ في العت
مةِ ؟ ماذا يجرّهـــا للمسيرِ ؟
ما معاني الألفاظ في صمتها الـ
مسكونِ بالحزنِ والرَجاءِ الكسيرِ ؟

إنّهم يقطعونَ أرض الأسى والـ
جَدْبِ حيث الجمالُ لا يستقرُّ
حيث فكُّ الملال يبتلعُ الألـ
وانَ حيث الذكرى ظلام وشرُّ

حيثُ يبني الفراغُ عشّاً رَماد
يّاً يُنَمّي فيه الأذى والشقاءَ
وطيوراً شوهاءَ حاقدةَ الانـ
غامِ مملوءةَ الصدَى بغضاءَ

اشحبي يا غيومُ وانطفئي يا
مقلةَ الشمس في الفضاء الفسيحِ
ودعينا هنا مـــع النِقَم السَّوْ
داءِ نَهْبَ السُهادِ والتبريـــح

في دويّ الرياح موكبنـــا يز
حفُ نحو الضياء تحت الظلامِ
عاثراً بالاشلاء أشلاء من مـــا
توا وأبقَوْا هياكلاً من عظامِ

من بعيدٍ خلف الغيوم التي تف
غر فاهـــا في دربنا المجهولِ
ربّمـــا لاح بارقٌ كشِراعٍ
أبيضِ الوَعْدِ في الظلام الثقيل

بعضُ دفءٍ نادٍ يسيلُ على الأُفْ
ـقِ وراءَ الوهادِ والآكامِ
بعضُ كاسٍ تنال حافتَها البيـ
ضاءَ إغماءةُ الشفاهِ الظوامي

ذلك النبـعُ بعد هذا السُّرَى العطـ
شانِ بعد الصراع بعد الجراحِ
لو لمسناهُ لو غسلنا بـــه كلّ
أسـانا ويأسنا الملتـاحِ

ذلك النبعُ حيث نغمس شكوا
نا ونَسْقي تعطُّشَ الاحلامِ
من جديدٍ نعيشُ تَعْرِفُنا الريـ
ـحُ وتتلو نشيدَنا للغمامِ

من جديدٍ يعودُ يَبْني لنا التا
ريخ في ظلّه الفسيحِ مكانا
وتقول الحياةُ ان لنا ظلاًّ
لنا بعضَ قصّةٍ وكيانا

اننا لم نمرّ بالعالم الميّـ
ـتِ صَرْعَى ولم نعِش أمواتا
ان في ذكرياتنا وتراً يخـ
ـفقُ بالضوءِ ان فيها حياةَ

ستقولُ الحيـــاةُ إنّا مررنا
وملأنا الحيـــاة شعراً وفنّاً
ان شيئاً منّـا عميقاً سيبقى
في سكونِ الوجودِ لحناً يُغَنَّى

في حفيف الأوراق تسحبها الريـ
حُ على الارض في وجوم الخريف
في بروق الشتـــاء تقتحم الليـ
ـلَ وفي عاصف الرياحِ المخيفِ

في ارتشاف الظلام للقمر الابـ
يض في الصيفِ في سكون المساءِ
في أغاني فلاّحتين تجوبا
نِ مـع الفجر دولة الانداءِ

ستقول الحياة إنّا بحثنا
في الدياجيرِ أشهراً وسنينا
عن رحيقٍ مغلّفٍ بالاساطيـ
ـرِ جَهِلْنا وعاءَهُ المكنونا

نحن ندعوه بالسعادة لكن
ليس منّا من ذاقَهُ أو رآهُ
ذلك اللُغْزُ ، ذلك الحُلُمُ المحـ
ـجوبُ خلفَ الضبابِ أين تراهُ ؟

في اناشيدنا يعيش ضباباً
تائهاً في مدىً فسيحٍ عريضِ
في حكاياتنا يَظَلُّ أساطيـ
ـرَ ولُغْزاً محجّباً بالغموضِ

نتغنّى بـه ونجهـل ما كُنْـ

ـهُ شذاهُ وأين يحيا ضياهُ ؟

أهو جنيّةٌ مجنَّحَةٌ الأقـ

ـدامِ تحيا في عالم لا نراه ؟

من حرير السحاب أثوابُها النا

عمةُ النَسْج من خدودِ الزهور

من جَنَاح الفراش ملمسُ خدّيـ

ـها ومن رقّة الشّذى المسحورِ

مقلتاها العميقتـانِ وجودٌ

أزرقُ اللونـ ناعمٌ وضّـاءُ

منهما تنبُـعُ السماءُ ولون الـ

ـبحر من نَعْسَتيهما الاضواءُ

من غبارِ النجوم جدْرانُ مأوا
ها الغريبِ المَشِيدِ فوق الزمانِ
في مَكانٍ من الوجـود على با
بِ رؤاهُ يضيعُ حدُّ المكانِ

وعلى رأسها جـدائلُ بيض الـ
عطرِ من زنبقٍ غريبِ الرُواء
أنبتته حدائقُ القمر النا
ئي لتلك الجنيَّـة البيضاءِ

ويداهـا المسحورتان تقودا
نِ النجومَ الشقراء عبر الفضاءِ
وتسوقان ركب أحلامنا الحو
راءِ نحو الضيـاعِ والإنطفاء

تلكَ جنيّة السعادة في قصـ
ـرٍ بعيدٍ يقومُ خلف الغيومِ
عنده تنتهي رغائبُنا الولـ
ـهى وأشتاتُ حلْمنا المحطوم

وعلى سوره تصبُّ أمانيـ
ـنا واشواقُنَا ونارُ صِبانا
في انفعالٍ تَدُقُّ أبوابَهُ الصمّـ
ـاء والصمتُ ساخرٌ من أسانا

وهي تلك الجنّيةُ الفَظّةُ الوحـ
ـشيةُ القلب من بنات السَعالي
ربّما اقتاتَ روحُها بصدى آ
هاتنا في الفراغ ملء الليالي

ربّما شيّدتْ أريكتَها الفضـ
يةَ النَسْج من حُطَام مُنَانا
ربّما لوّنت ملابسها الفجـ
ـريّة اللونِ من لهيب دمانا

وصداها ترويه من عَطَش السا
رينَ في كل قفرةٍ ربداءِ
وتغذّي نيرانَ موقدها من
كل حُلْمٍ نصوغُـهُ ورجاءِ

هذه الربّةُ النحاسيّةُ الاحـ
ساسِ لو لانَ قلبُها الصخريُّ
لو أراقَتْ ضياءها فوقَ هذي الا
رض وافترَّ وجهُها الزنبقيُّ

لو حَنَا سمعُها وأصغى الى رَجْ
ـع الاغاني المُسَوَّدات الرنينِ
يتلوّى الحنينُ فيها وينساب
بُ كأمواج جدولٍ مفتونِ

أرسلتها حناجرٌ نسيت أنّ
الأغاني قد لا تكون بكاء
لم تعد تعرف العذوبة فاليا
سُ حَشَاها خشونة وازدراءَ

آهِ اصغي يا ربّةَ الافُق المف
قودِ من سترك الذي لا يُزاحُ
ربّما لم تزل حناجرنا تمـ
لكُ لحناً لم تبتلعْهُ الجراحُ

وانظري من ضباب قصرك من لُغْـ
ـزكِ من صمت جوِّك المجهولِ
أرسلي نظرةً كما يعبرُ الـــبر
قُ الينا من جَفْنك المعسولِ

نحن جئنـــا بيأسنا باماني
نا باشلاء أمسنا المـــدفونِ
الملايينُ مُرْسِلين مـــع الأحـ
زانِ حُلْمَ المستقبل الموهونِ

نداء الى السعادة

يا ضباباً من الشذى الشفّافِ
يا جمالاً بلا حدودْ
يا رفيفاً معطّراً في ضفافِ
ليس يدري بها الوجودْ

أين تحيينَ في شغافِ الغيومِ
حيثُ لا يبلغُ الخيالْ ؟
أم تجوبينَ في بحار النجومِ
زورقاً يعبُدُ الجمال ؟

أسدلي شَعْرَك الطويل الطريّا
خُصُلاتٍ من الحريرْ
وأريقي اشقرارَها الغيميّا
يفرش الكونَ بالعبير

وأزيحي أهدابَكِ العَبقاتِ
عن أساطيرِ مقلتينْ
ملء لونيهما اندفاعُ حياةِ
وائتلاقاتُ كوكبينْ

يا جبيناً ملوّناً بالمعاني
حجبتْ سحرَهُ الغيومْ
يا عبيراً نشوانَ بالألحانِ
يا خدوداً من النجومْ

من ضبابِ الرؤى إلينا إلينا
قبل أن نُزْمعَ الرحيلْ
وابسطي ظلَّكِ الحنونَ علينا
ظلَّكِ الدافىءَ الجميلْ

نحن في ميْعة الصباحِ سنمضي
قبل ان تفرَغَ الكؤوسْ
وركابُ الديدانِ في كلّ أرضِ
لم تزل تحفِرُ الرُّموسْ

ووراء السيـاج ينعَقُ بومُ
ملء عينيه أحجياتْ
رنَّ في صوتِهِ الصَدَى المشؤومُ
دون أن تعلمَ الحياةْ

والسكونُ العميقُ ملءَ الوجودِ
جامدٌ يرصُدُ الحياه
يتغذى بكل لحنٍ سعيـدِ
لمستْ عطرَهُ الشفاهْ

وزهور الحقول تحمل سرّا
بذرةَ الموتِ والذبولْ
لحظةً في الصباح تقطُرُ عِطْرا
ثم يمضي بها الأفول

وكؤوسُ الهوى المعطرِ تَسْقي
عسلَ الحبّ لحظتينْ
يختفي بعدها الرحيقُ ويُبقي
في فمِ الكأسِ غُصَّتَيْنْ

وارتعاشُ الظلالِ فوق السواقي
سوف يمضي به الشَفَقْ
والجمـــالُ الذي يُظِلُّ المآقي
ربّمـــا غاله الأرق

والأغاريدُ قـــد يرنُّ صداها
لحظاتٍ مع الصَباحْ
وزهورُ المروجِ عُمْرُ شذاها
ليس أبقىٰ من الرياحْ

نحن نحيىٰ في عالمٍ من ظلالِ
عابرٍ نَسْجِ عنكبوتْ
كالعصافيرِ في ربيـعِ الدوالي
نتغنّى لكي نموتْ

فامنحينا رؤياكِ قبلَ الرحيلِ
يا ٱبنة الحبّ والخيالْ
لحظة عنــد نبعك المعسولِ
نغسِلُ اليـاسَ بالجمالْ

علّنا من رحيق عينيكِ نَسْقي
عَطَشَ الروحِ والشفاهْ
وعلى مُلْتَقَى سواقيــك نُلْقي
عبءَ ما شَجَّتِ الحياهْ

علَّنا بازْرقاقِ عينيــكِ نبني
من جديــدٍ لنا سماءْ
علَّنا باشقرارِ شَعْرِكِ نُفني
سطوةَ الليــلِ والفَنَاء

آهِ مُدّي يديكِ مدّي يديكِ
كلُّ شيءٍ هنا يضيعْ
وانبجاسُ النعيم من شفتيكِ
كيف نُبْقيهِ للربيعْ ؟

وهنا تغربُ النجومُ وتَذْوِي
في الدُجى رقصةُ القَمَرْ
وكؤوس الازهار في الحقل تَهْوِي
هكذا يحكمُ القَدَرْ

في شِعابِ الظلام نبقَى نسيرُ
أين أوّاهُ نهرُبينْ ؟
قصرُكِ الزئبقيُّ أينَ يغورُ ؟
كلّما كاد أن يَبينْ

فيمَ ، كالماءِ في رمال الصحاري ،
لَحَظاتٍ وتَنْضَبينْ ؟
كشُرُوقِ الهـلالِ ، كالأزهارِ
كخيالاتِ حالمينْ ؟

ولماذا ، ان جئتِ بعد العذابِ ،
يقتفي خطوَكِ القلقْ ؟
فيحسّ الفـؤادُ ظلَّ اكتآبِ
كغيوم على الأُفقْ ؟

وذراعـــاكِ فيم بالسُمّ تَهْمي
حينما تملأُ الكؤوسْ ؟
كلُّ كأسٍ وفيه قطرةُ همٍّ
مازجتْ نشوةَ النفوسْ

كلُّ لون تعيش خلفَ صفائه
ظلمةٌ تأكلُ الجمالْ
كلُّ حبٍّ يضمُّ خلف أنتشائه
بذرةَ الموتِ والزوالْ

أهبطي يا أنشودةَ الحالمينا
من فضَاكِ المورَّدِ
وامسحي مرَّةً صدَى الظامئينا
في دُجىً ضائعِ الغدِ

وسنبني هنا معابدَ بيضا
فوق أرضٍ من الرجاءْ
غسلتْ صدْرَها الفسيحَ العريضا
أدمعُ اليأسِ والشقاءْ

علَّنا مرةّ نذوقُ شذاكِ
بعد هذا الصَّدَى الطويلْ
والشفاهُ الظماءى لشَهْدِ نداكِ
تلمُسُ الكوثر الجميلْ

❀

❀ ❀

في غبار الحياة ، في مَزْلق الأيّـ
ـامِ في كل معبرٍ مسكونـِ
رنَّ هـــذا النشيدُ مُخْتلج التر
ديد نشوانَ بالأسى والحنينِ

وَشدَتهُ القرونُ منذ رأى الفجـ
ـرُ بعينيْ حواءَ أولَ حُزْنِ
منذُ رنَّتْ فؤوسُ آدم في الصخـ
ـر ولم تَبـقَ فسحةٌ للتمني

منذُ مرّت قوافلُ البشر الأو
لىٰ وعمرُ الوجود بضعُ سنينِ
عبروا يبحثون عنها عن الجنّـ
ـيّةِ الزئبقيـة التكوين

باسمها يحرثون من أجل عينيـ
ـها أحبّوا حتّى أكتآبَ الرحيل
ثم ماتوا وأورثونا هَواهـا
وخفايا كيانِها المستحيلِ

حدّثونا عنهـــا فقالوا فتاةٌ
غَمَسَتْ في الحرير شوق صباها
ليس تَقوى على الحياة إذا جا
عتْ إلى رقّةِ القصور رؤاها

فهي للأغنيـــاء تبسط من أهـ
دابهـا الناعمات ألفَ خميلِ
وعلى شعرهـــا العبيري يقضو
ن لياليهمو كحلم جميـــلِ

ثم قالوا جنيـــة تتبع الرهـ
بـان والزاهدين حيث أفاءوا
مثلَهم تعشقُ السكونَ ويرضَيـ
ها مكانَ النعيم خبزٌ وماءُ

من تراتيلهم تشيّد مأوىً
ظللتهُ سكينةٌ ديريه
من بَخور الكُهّانِ جدرانه البيـ
ضُ ومن خشعة الشموع النقيّه

وسواهم يظنّها ربّةَ الريـ
فِ وبنت الذرى وأخت الوهادِ
ليس يروي إحساسَها غيرُ جوٍّ
أثقلتْ عطرَهُ أغاني الحصادِ

من كؤوسِ الأزهار حمرةُ خدَّيْـ
ها وتأوي إلى بيوتِ الفراشِ
وتغني لها النواعيرُ والشمـ
سُ إذا قبَّلتْ ذُرَى الأحراشِ

وسواهم يروي الحكاياتِ عنها

كيف تحيىْ في عـالم النغماتِ

من بكاء الأوتار تنسجُ أرْجو

حتَهــا الكوكبيّة الرَعشاتِ

ويقولون إنّ مسكنهـا الأء

لي خيالاتُ شاعر مسحورِ

ظَلَّلتْ روحَهُ جدائلُها الشُقْ

رُ وأسرارُ طرفهـا البَلُّوري

وقلوب تَظنُّها ربَّة الحبّ

تصبُّ الرحيقَ للعشاقِ

ويقولون إنّهـم شهدوهـا

تسكبُ الظلَّ في هَجير الفراقِ

ورأوها تهشُّ في مقلتي (قيـ
سٍ) مع الدمعِ والضبابِ الثقيل
وأحسّوا كيانهـــا المَرِحَ الرا
قِصَ في حزن (توبةٍ) و(جميل)

ومئاتٌ تُحسُّهـــا في شفاه الـ
ـكأسِ في غمرةٍ من الهَذَيانِ
في ضبابِ الجنونِ، في دولة الأحـ
ـسادِ في عـالمٍ من الأدرانِ

ومئات ترجو العثور عليها
في زوايا النفوس خلف دجاها
في دروبٍ دكناءَ يَجْهَدُ ضوءُ الـ
ـقمرِ الطفلِ أن يَمسَّ ثراها

في خفايا مغمورةٍ عنكبوت الـ
شر ألفَىْ فيها سريراً مريحا
وركاب (السيرين) آوت اليهـــا
والثعـــابين أثقلتْها فحيحا

صلاة الى بلاوتس

(إله الذهب)

من ضفافِ الدُّجى الأُخَرْ   نحن جئناكَ لاهثينْ
واقتفينا خُطى القَمَرْ   فوقَ أرضٍ من الإبرْ
في دياجيرَ من أنين

الصحارى رمتْ بنا   في متاهـــاتها الغِلاظْ
رملُهـا في جلودِنا   في حنايا جفوننـا
لم يزل يسكبُ الشواظ

والأعاصيرُ والرياح تركتْ في جباهنا
من سكاكينها جراحْ وأراقت مع النواحْ
مِلْحَها في شفاهنا

كلّما رقرقَ الكلالْ بحّةَ الموتِ في نشيد
وَحَنَتْ أذرعُ الرمال فوقَ أجسامنا الثقالْ
عبئَها الساحقَ المبيدْ

رنَّ في أُفْقنا صَدَىْ من رنينِ اسمك الأحبْ
فمضينا الى المَدَى في صراعٍ مع الرَدَى
باسم معبودنا الذهب

هكذا يمّموا الى الشرق آلا
فاً جياعاً للمنبع المزعومِ
يقطعون الآكامَ ترسيهمُ الصحـ
راءُ من حيرةٍ ليأسٍ أليم

َضللتهم أسطورةٌ عن مكانٍ
خلفَ بعضِ الجبالِ في حضن وادِ
حيث يجري نهرٌ من التبر مسحو
رٌ طوتْ سرَّهُ صخورُ الوهادِ

قطرةٌ منه تمنحُ الكفَّ لمساً
ذهبيَّ التأثير في الأشياءِ
والزهور التي تحفّ بشطّيه
شظايا كواكبٍ بيضاءِ

أين هذا الوادي؟ وضجَّ فضاءُ الصـ
متِ والليل والمدى بالسؤالِ
أين هذا الوادي ؟ وساروا يجرّو
ن قيوداً من الرِّغابِ الثقالِ

في سكون يلوذ كلٌّ بسرٍّ
ذهبيّ الوشاحِ والتلوينِ
حالماً في الظلام بالجدول المو
عودِ في عاصفٍ عميق الحنينِ

من خيالاته يصوغ على الأفْـ
ـق قلاعـاً فضيَّةَ الأبوابِ
وبلاداً وديانُهـا تُنبتُ التبـ
ـرَ مكانَ الأشجار والأعشابِ

ومكانَ الفَرَاش تسرحُ أطيا
رُ رقــاقٌ تبريّــةُ الأبـدانِ
ومكانَ القطيـعِ تحيا وعول
مُتْرَفاتٌ فضيّة السيقانِ

في خفايا هذا المكان الخرافيِّ
أساطيرُ قلعــةٍ مسحوره
من تراث الإغريق شيّدها (ثلـ
كان) سرا في العصرِ مطموره

وبناها على روابٍ من المعـ
دنِ منحوتةِ الذرى سوداء
قامات على مزالقها تصـ
قلُ (فيكا) خدودَها الملساء

هي برجٌ عَلَتْ حواليه أشجا
رٌ ضخامٌ تَمَسُّ أفقَ النجومِ
وَنَمَتْ في أنحائه الكوكبيّا
تِ أساطيرُ عن زمانٍ قديمِ

ويقولون إن جدرانها الغا
مضة اللونِ من لآلي البحارِ
جمعتها عرائسُ الماءِ من أع
ماقِ بحرٍ مُطَلْسم الأسرارِ

ويقولون إنّ أبوابَها المُقْ
فلةَ الصمتِ فوق أروعِ سرٍّ
نُزِعتْ من جُدْرانِ قصرِ سميرا
ميسَ في ليلِ بابلٍ ذاتَ عصرِ

والقبابُ الضخامُ من خَشَبِ الجو
ز الشذيِّ المعطّرِ الألواحِ
من شِعَابِ الهندِ الملفّعةِ الغا
باتِ بالذكرياتِ والأشباحِ

هذه القلعةُ الضبابيةُ الشك
ل اليها يضيعُ خطوُ الساري
ليس يدري مكانَ سلّمِها العا
لي رواةُ الألغازِ والأخبار

ليس يدرونَ كيف يبلغُها سا
كنُها الصامتُ الغريبُ الطباعِ
ذلك الأعرجُ البطيءُ الخطى يَسْ
بقُهُ النملُ ـ ان مَشَى ـ والأفاعي

ذلكَ العاجزُ الكفيفُ الذي يَمْـ
نحُ من لا يَرَىْ كنوزاً ضِخاما
ليس يَعْنيه أن يُسَلّمها شيـ
خاً بخيلاً أو قاتلاً أو غلاما

ذلك الشيخ ، كيف يصعَدُ أين الـ
بابُ ؟ أينَ السلالمُ السحريّه ؟
أتَرَاهُ – كما يقولونَ – يؤوي
بين جُدْرانِ قصرهِ جنيّه ؟

شعرُها – هكذا رَوَوْا – باركتْهُ
من قِنانِ (الأولمب) أيدٍ خفيّه
فنما كالحياةِ ثَرّاً غزيراً
أبديَّ المسيلِ كالأبديّه

ونما كالضياءِ كالبحر يمتدّ

سحيق السواد دون آنتهاءِ

إن أرادتْ شدَّتْ به القَمَرَ النا

ئي إلى الارضِ أو إلى الجوزاءِ

ذلك الشَعْرُ ربّما أرسلتْهُ

سلّماً للضريرِ كلّ مساءِ

يتخطّى عليهِ مرتعشَ الخطْ

وِ مراقي تلك الرُّبى الملساءِ

أرسلي يا طويلةَ الشعر يا سمـ

راءُ إحدى الجدائلِ المسحوره

وارفعي الهائمين بالذَهب البرّ

اقِ من هذه الوهادِ الكسيره

أو أطلي يوماً بوجهكِ ، بالفتـ
نةِ والصمتِ في مَدى أحداقِكْ
وأعيدي على الجموعِ أقاصيـ
صَ عن الهالكينَ من عُشَّاقكْ

حدّثيهم عن ذلك الملِكِ الغا
برِ (ميداس) كيفَ كان مصيرُهْ ؟
أين ساقتْهُ شهوةُ الذهبِ العمـ
ياءُ ماذا جَنَى عليه غرورُهْ

جُنَّ بالتبر لم يعُدْ يعشق الأَنـ
جمَ إلاَّ ان أذكرتْهُ سَنَاهُ
وازرقاق الغيومِ والبحرِ ما عا
دَ مثيراً لحبِّهِ ورؤاهُ

وٱخضرارُ الجبالِ أصبحَ يؤذي

روحَهُ، والزهورُ لا تَرْويهِ

فهو عطشانُ يدفعُ الذهبُ الوهّـ

ـاجُ أحلامَهُ إلى ألف تيهِ

ودَّ لو حوّلَ الخدودَ وأهدا

بَ العيونِ الكحلاءِ تبراً نقيّا

واشقرارَ الآفاقِ، والشفقَ الخجـ

ـلانَ والشوقَ نائماً في مُحيَّا

والشفاهُ الحوّاءُ ينضَحُ منها الد

فءُ كم ودَّ لو تحوّلن سرّا

ذهباً تجمدُ الشفاهُ عليهِ

قُبَلاً كالرخامِ يقطرن تبرا

حدّثيهم وكيفَ ذاتَ مساءٍ
كان (مَيداسُ) لاهثَ المقلتينِ
يلمسُ الكنزَ في انفعالٍ جنونيٍّ
وفي كفِّـه لَظَى شفتَـيْنِ

وأزاح المساءُ سِتْرَ دجاهُ
عن صبيٍّ من عالَمِ الأطيافِ
في استداراتِ وجهه المُخمليّ الـ
لونِ إبراقُ مَنْبَعٍ شَفّافِ

وعلى رأسِهِ جدائلُ شعرٍ
ذهبيٍّ يغار منه الفتونُ
وسماء في مقلتَيْهِ من الزُّرْ
قةِ والعُمْقِ لم تنَلْها عيونُ

« عِمْ مساءً » وأجفل المِلكُ الشيـ
خُ وماتَ البريقُ في عينيهِ
غير أصداءِ بحّـةٍ حشرجتْ واذ
طلَقَتْ صرخةً على شفتَيْهِ

أيُّ باب قادتْ خُطى الوافدِ المجـ
ـهولِ ؟هل جاءَ من شُقوق الجدارِ ؟
أم تَرَاهُ خيـالةً جسَّدتهـا
فتنةُ الكنزِ وائتلاقُ النُضارِ ؟

«عمْ مساءً ميداسُ» مَنْ أنت ماذا
تبتغيهِ في قبويَ المجهولِ ؟ »
وأجاب الطيفُ الكريمُ : « أنا أمـ
ـلكُ تحقيقَ كلِّ حُلمٍ جميلِ

أنا ربُّ التمنّياتِ شِفاهي
تملكُ المستحيلَ والأبعادا
في ذراعيَّ قدرةُ الخلْق لو شئـ
تُ لحوّلتُ كلَّ حيٍّ جَمادا

ملء كفّي الورودُ والذَهبُ الوهّـ
ـاجُ واللونُ والشَبابُ الطريُّ
كلَّ ما شئتَ فاقترحْ تهبطُ الأفـ
ـلاكُ والأُفْـقُ والسَّنَا الكوكبيُّ

أرأيتَ الأغصانَ في قَبْضة الإعـ
ـصارِ تهتزُّ وردةً بعد ورده ؟
أرأيتَ النعيم في قلب رحّا
ل سنينٍ واتاهُ حُلْم العوده ؟

هكذا لونّ الحماسُ خدود ال
ملكِ الغِرِّ وهو يسمعُ هذا
وجثا ضارعاً وصاحَ : « حنانَيْـ
كَ ملاكي ماذا سؤالُكَ ماذا

أعطِ هذي اليدَ المشوقةَ لمساً
ذهبيّاً وقـوّةً من سِحْرِ
دع ذراعيَّ لا تَمَسَّان إلاّ
لتُعيدا الاشياءَ عالَمَ تبرِ

إيهِ ميداسُ ، أيّها المِلكُ الاحـ
مقُ ماذا جنيتَ ؟ أيُّ غرورِ ؟
ارقبِ الآنَ مطلعَ الفجرِ وانظر
كيف عُقْبَى خيالِكِ المغرورِ

في غدٍ تستحيلُ أشجارُكَ الحيّـ
ـةُ تبراً تعافُه الأنداءُ
وسواقي المياهِ تجمـدُ صَفْرا
ءَ كصحراءَ جفَّ فيها الماءُ

ودموعُ النَدَى تعود حَصىً صُلْـ
ـباً ولينُ الورودِ يُصْبحُ صلدا
ورحيقُ الكرومِ يجمدُ كالصَخْـ
ـرِ ودفءُ الأعشاشِ يُصْبح بَرْدا

وحريرُ الستائرِ اللُدْنِ يغدو
جامداً لا ليونةٌ لا انثيالا
و (نهاوندُ) بنتُك العذبـةُ الجذ
لى ستغدو في لحظـةٍ تمثالا

هكذا تنتهي خيالاتُكَ التبـ
ـرِّيةُ الصُفْر للأسى الابديِّ
فاشربِ الآن خمرةَ الندمِ البا
ردِ واسكَرْ بحُلْمك الذهبيِّ

انشودة الرهبان

نحنُ بالأمسِ تركنا صِبَانا ووهبنا للسماءِ هوانا
ودفنّا كلَّ حبٍّ عميقٍ في مكان لا تعيه رؤانا
ولففنا في ذهولٍ أبيدٍ كلّ درب قطعتْهُ خطانا
وأصرنا للسكونِ نشيداً بشريّاً كان ملءَ منانا

لا تَسَلْنا عن طَرَاوة أمسٍ عن معاني ألف كاسٍ وكاسِ
عن عيونٍ مرحات الأماني نثرت في عمرنا دفءَ شمسِ
عن شفاهٍ في برودةِ فجرٍ مَطَريِّ الصّمتِ لماءَ لُعْسِ
عن خدودٍ دافئاتٍ عِذابٍ كخدودِ الوَرْدِ رِقّةَ لمسِ

نحن ضيّعنا روابيَ حُلْوه   ودفنّا الحبَّ في كلٍّ ربوه
ثم تهنا في مسالكِ حُلْمٍ   وأفقنا عند حافةِ هوّه
وشربنا اللونَ والعطرَ حتى   عادت الكاساتُ تنضحُ شقوه
فأتينا الدير صرعى حيارى
علَّ في ديجورهِ بعضَ سلوه

هذه يا حياةُ مملكةُ الره
بانِ في عزلة وفي اكفهرارِ
دفنوها وكاد ينسى رعايا
ها الحيارى حتى ضياءُ النهارِ

شيّدوها من كلّ لفتةِ شوقٍ
في العيون الحبيسة المحرومه
وسقوا أرضها الجديبة من بر
كانِ تلك العواطفِ المكتومه

وَحَمَوْها من أن تغازَلَها الشمـ
سُ بالوانها ولينِ شذاها
وأبوا أَن يـلامسَ القمرُ الُمنْ
فعلُ الضوءِ في المساءِ دجـاها

وتمّنوا ألاّ تمرَّ بها ريـ
حٌ عبيرّيةُ الصَدَى والنشيدِ
فشفاهُ الرياحِ تكمن فيها
قُبَلٌ عذْبةٌ وذكرى خدودِ

وتمّنوا أن يُقفْلَ الليلُ عينيه
وتخبو نجومُهُ السحرّيه
فعيونُ النجوم تُغْوي باهدا
بِ حريرّةِ الرؤى قَمَريّه

وهم يمقتون أن تشرب النحـ
لةُ شهدَ الأزهارِ كلَّ صباح
فرحيق الورود في شرعهم خمـ
رٌ تريقُ السُمومَ في الأرواحِ

والعطورُ السكرى ألم تنبعِ الأحـ
زانُ بعد ارتشافها والجراحُ
انّها كالنبيذ تُسْكِرُ تُذْكي
من حنين الجمالِ ما لا يُبَاحُ

وغناءُ القنابرِ الذاهلُ المبـ
هورُ – في عرفهم – نداءُ خطايا
في ثناياه آهــةٌ كسّرَ الحبُّ
صداها وفيه نجوى صَبَايا

وخدودُ الفجر الموَرَّدَةُ النا
عمةُ الدفءِ والشَذَى والرحيقِ
حرّموها فقد تمرُّ على الزهـ
ـدِ فتُضْحيهِ من سُبَاتٍ عميقِ

وأقاموا سوراً ليمنعَ عنهم
كلَّ ذكرىً من كلِّ أمسٍ بعيدِ
وأرادوه حارساً يطرُدُ العِطْـ
ـر ويَحْمي من النسيم البَرُودِ

وأباحوا أيّامهم ليد الصمـ
ـتِ الرصاصيةِ العروق الثقيله
وأقاموهُ حاكماً مخليّ الـ
حكمِ لاذت به الُمنَى المقتوله

انه الديرُ فيـــه ينتصرُ المو
ت ُ وفي قبوه يعيش الآهُ
في خفاياه ، في ممرّاتِهِ السو
د الحزينات لا يعيش اللهُ

مسكنُ الصمتِ والكآبة والجدْ
بِ ومأوَى الرغائبِ المدفونه
وصراعٌ مع العواطفِ تُصْحي
نارَهُ أذرع الليـــالي اللعينه

ذلك العنكبوتُ ذو الأرجُلِ الفظّ
ةِ هـــل منه مهربٌ أو ملاذُ
إنــه من دمـــائهم يتغذّى
وهو من قلب أمسِهم أفلاذُ

إنـه حبُّهم يعـود إليهمْ
ينسِـجُ الذكرياتِ والأهواءَ
لا تطيق الأسوارُ رَدَّ خُطاهُ
فهو قد خالطَ الرؤى والدماءَ

وهو حيناً عينانِ صافيتا اللو
نِ كـأعمـاقِ بركةٍ صيفيّه
أو شفاهٍ من قعرِ حُلمٍ بعيدٍ
أو يـدٍ لدنـةِ البياض شهيـه

ذلك العنكبوتُ كم عادَ وجهاً
عكستْهُ للراهبينَ الكؤوسُ
إنَّـه وجهُها ، أينسَوْنَ ؟ هذي
ربـّةُ الدير ، هــذه تاييسُ

– اغنية تاييس –

من خيــــوطِ الضوءِ أرديتي
ومن الأزهــارِ ألواني
الهــوى المبهــورُ في شَفَتي
عصرتـهُ كفُّ شيطانِ
ولهــاثُ الورد أغنيتي
وخفايا عــالمٍ ثانِ

وخدودي مُخملٌ لَدْنُ
بقّعتْهُ حمـرةُ خجــلى

من شذاها ينبُعُ اللونُ
ويرُشُّ الوردةَ الجذْلى
وأنا اللذَّةُ والأمنُ
للرياح العَذْبَةِ الكَسْلَى

وشفاهي ها هنا اللينُ
ورؤىً صيفيةٌ لَدْنَه
إنها إن شئت سكّين
وإذا شئتُ رُقَى فتنه
وذراعايَ أفانين
فيهما النشوةُ واللعنه

من قديمٍ عَشِقَ الديرُ
ضَحِكاتي واستطاب اسمي

ذكرياتٌ ما لها غَورُ
رَسَخَت في الدمِ والعَظْمِ
أأنا النقمـةُ والشرُّ
لم يُضنيكم إذنْ رسمي ؟

راهبُ الأمسِ أننساه ؟
كيف أشعلتُ أحاسيسَهْ ؟
ما حياةُ الدير ؟ ما اللهُ ؟
إن أنا أصبحتُ تابيسهْ
وهوَى في ركبِ من تاهوا
وهبطتُ الخُلْدَ قِدّيسهْ

أغنية للإنسان

- ٢ -

« نُظمت هذه القصيدة عــام ١٩٦٥ عدا الأبيات المنسوخة من مأساة الحياة في القسم الأول من القصيدة » .

عبَثـاً تَحْلُمين شاعرتي ما
من صباحٍ لليلِ هذا الوجودِ
عبثاً تسألينَ لن يُكْشَفَ السرُّ
ولن تنعمي بفكِّ القُيودِ

في ظلال الصَفْصاف قَضَّيْتِ ساعا
تكِ حَيْرى تُمضُّكِ الأسرارُ
تسألينَ الظلالَ والظلُّ لا يعـ
ـلمُ شيئاً وتعلمُ الأقدارُ

أبـــداً تنظرينَ للأُفقِ المجـ
ـهولِ حَيْرَى فهل تجلَّى الخفيُّ ؟
أَبداً تسألينَ والقَـــدَرُ السا
خرُ صمْتٌ مستغلق أبديُّ

فيمَ لا تيأسينَ ؟ ما أدرك الأَسـ
ـرارَ قلبٌ من قبلُ كي تُدْركيها
أَسفاً يا فتاةُ ! لن تفهمي الأَيّـ
ـامَ فلتقنعي بأن تجهليها

اتركي الزورقَ الكليل تُسيِّرْ
هُ أكُفُّ الأقدار كيف تشاءُ
ما الذي نلتِ من مصارَعةِ المو
جِ ؟ وهل نامَ عن مناكِ الشقاءُ ؟

آهِ يا منْ ضاعتْ حياتُكِ في الأحـ
ـلامِ ماذا جنيتِ غير الملالِ ؟
لم يَزَلْ سرُّها دفيناً فيا ضَيْـ
ـعة عُمْرٍ بدَّدتِهِ في السؤالِ

هو سرُّ الحياة دقَّ على الأفـ
ـهامِ حتى ضاقتْ به الحُكَماءُ
فاياسي يا فتاةُ ، ما فُهِمَتْ من
قبلُ أسرارُها ففيمَ الرَّجاءُ ؟

جاء من قبلِ أن تجيئي الى الدُّنْـ
ـيا ملايينُ ثم زالوا وبادوا
ليتَ شِعري ماذا جَنَوْا من لياليـ
ـهِمْ ؟ وأين الأفراحُ والأعيادُ ؟

ليس منهم إلا قبورٌ حزينـا
تٌ أقيمت على ضفافِ الحياةِ
رَحَلوا عن حِمىً الوجود ولاذوا
في سكونٍ بعالَمِ الأمواتِ

كم أطافَ الليلُ الكئيبُ على الجوِّ
وكم أذعنتْ له الأَكـوانُ
شَهِدَ الليـلُ أنّـه مثلما كا
نَ فأينَ الذين بالأَمسِ كانوا ؟

كيف يا دهرُ تنطفي بين كفَّيْ
كَ الأمـاني وتخمدُ الأحـلامُ
كيفَ تذوي القلوبُ وهي ضياءٌ
ويعيشُ الظلامُ وهو ظلامُ ؟

كيف تحيا الأشواكُ والزَهَـرُ الفا
تنُ يَذْوي في قبضةِ الإعصارِ
كيف تمضي إلى الفَناءِ الأناشيـ
دُ وتَبْقَى سُخريّـةُ الأقدارِ

حدّثي القلبَ أنتِ أيتها المـأ
ساةُ يا من قـد سُمِّيتْ بالحياةِ
ما الذي تصنعين بي في الغدِ المجـ
هولِ ؟ ماذا ترى مصيرُ رُفاتي ؟

أيّ قبرٍ أعددتِ لي ؟ أهو كَهْفٌ
ملءُ أنحائه الظلامُ الداجي ؟
أم ترى زورقي سيغرَقُ بي يو
ماً فأثوي في ظلمـة الأثباجِ

وغرامي بالسرِّ يصرُخُ من أيـ

نَ ؟ إلى أين ؟ ما مصيرُ حياتي ؟

وأمامي أُفْـقٌ من الصمتِ والألـ

غازِ ضلّتْ في تِيْهه خُطُواتي

لهفتي يا حياةُ كم تلعبُ الأو

هامُ بي كم يؤودُني التفكيرُ

أبــداً أسألُ الليالي عن المو

تِ وماذا ترى يكونُ المصيرُ

طالما قد سألتُ ليليَ لكن

عزَّ في هذه الحياة الجوابُ

ليس غير الأوهام تسخر مني

ليس إلا تخبُّطٌ واضطرابُ

هل فهمتُ الحياةَ كي أفهمَ المو
تَ وللموتِ صمتُ قلبٍ ضنينِ
لم يَزَلْ عالَمُ المنيّةِ لُغْزاً
عزّ حلّاً على فؤادي الحزينِ

فليكن يا أيّامُ لن أسألَ الليـ
لَ عن السر فاحكُمي كيف شئتِ
امنحيني عُمْرَ الزهور فلن أبـ
ـكي ومُدّي الحياةَ لي إن رَغِبْتِ

ولماذا أبكي ؟ وهل يردع الدّمْـ
ـعُ المنايا ؟ وهل يُحسّ القضاءُ ؟
لن تزيدَ الدموعُ يوماً على عُمْـ
ـري غداً رقْدةٌ غداً إنطفاءُ

ولو أنّي أحببتُ موتي ونادَيْ
تُ دُجاهُ بأجملِ الأسماءِ
هل يُجيبُ المماتُ رغبتيَ الحرَّ
ىَ ويأتي ملبّياً لندائي ؟

هكذا جئتُ للحيـاةِ وما أد
ري الى أينَ سوف تمضي الحياةُ
وسأحيا كما يشاءُ ليَ المجـ
ـهولُ قلباً حفّتْ به الظلُماتُ

هكذا ، ما يُريدُهُ القَدَرُ المحْـ
ـتومُ لا ما تُريدُهُ آمالي
سَيّرتني الحياةُ أين ترى مَرْ
سَىٰ سفيني وعند أيِّ رمالِ ؟

لم أَزَلْ مِلْكَ حَيْرتي وذهولي

بينَ ماضٍ ذَوَى وعُمْرٍ يَمُرُّ

لستُ أدري ما غايتي في مسيري

آهِ لو ينجلي لعينيَّ سرُّ

لم أَزَلْ اقتُلُ الليالِيَ بحثاً

عن ديار السَعَادةِ البَشَريّه

دون يأسٍ بحثتُ دون كلالٍ

في قِفارٍ ممتدّةٍ أَبديّه

يا ديارَ الأحلام يا شاطىء الغبـ

طةِ يا من يضُمُّكِ المجهولُ ؟

لم أَعُدْ أستطيعُ أن أُسْكتَ الشَوْ

قَ فكيفَ الوصولُ ؟ كيفَ الوصولُ؟

كل شيء حولي يحـدّثني عَنْ
لكِ ولكن متى يَحينُ اللقاءُ ؟
فاحمليني إليكِ من قبلِ أن يَـ
وي شِراعي وتصخَبَ الأنواءُ

ودعيني أعرِفْكِ ما أنتِ ؟ حقٌّ
وعِيانٌ وواقعٌ مشهودُ ؟
أم ترى أنتِ محضُ وهمٍ ورؤيا
وضبابٌ مُطَلْسَمٌ ممدودُ ؟

طالما حدّثوا فؤاديَ عن لُقْـ
ياكِ لكنْ ما زلتِ حُلْمَ صبيٍّ
لم أزلْ أملأُ الليالي حنيناً
وأغنّيـكِ للوجودِ الشقيِّ

– ذكريات الطفولة –

لم يَزَلْ مجلسي على تلِّيَ الرمـ
ـليِّ يُصغي إلى أناشيد أمسي
لم أزلْ طفلةً سوى أَنني قد
زِدْتُ جهلاً بكُنْهِ عُمْري ونفسي

ليتني لم أزلْ كما كنتُ قلباً
ليس فيهِ إلا السَّنا والنقاءُ
كلَّ يومٍ أبني حياتي أحـلا
ماً وأنسىٰ إذا أتاني المَسَاءُ

في ظلالِ النخيلِ أبني قلاعاً
وقصوراً مَشيدةً في الرِّمالِ
أسفاً يا حياةُ أين رمالي
وقُصوري؟ وكيف ضاعتْ ظلالي؟

إيهِ تلَّ الرمالِ ماذا ترى أبـ
قَيْتَ لي من مدينةِ الأحلام ؟
أينَ أبراجُها العَلِيَّات هل تا
هتْ وراء الزمان في أوهامي ؟

ذَهَبَ الأمسُ لم أعُدْ طفلةً تَرْ
قُبُ عشَّ العصفور كلَّ صباحِ
لم أعُدْ أُبْصرُ الحياة كما كا
نتْ رحيقاً يذوبُ في أقداحي

لم أعُدْ في الشتاء أرنو الى الأم
طارِ من مَهْدي الجميلِ الصغيرِ
لم أعُدْ أعشَقُ الحمامةَ ان غَنَّ
تْ وألهو على ضِفافِ الغديرِ

كم زهورٍ جمَّعتُها وعطورٍ
سرقتْها الحياةُ لم تُبْقِ شيّا
كم تعاليلَ صُغْتُها بدَّدتْها
وتبقَّى تذْكارُها في يديّا

كنتَ عرْشي بالأمسِ يا تلِّيَ الرَّمْ
لِيَّ والآنَ لم تعُدْ غيرَ تلٍّ
كان شدوُ الطيورِ رجْعَ أناشيـ
ـدي وكان النعيمُ يتبعُ ظِلّي

كانَ هذا الوجودُ مملكتي الكُبْ
رَى فيا ليتها تعودُ إليّا
ليت تلَّ الرمالِ يسترجع الأسـ
ـرارَ والشِعْرَ والجمالَ الطَرِيّا

لم أعدْ أستطيعُ أن أحكُمَ الزَهْـ
ـرَ وأرْعى النجومَ في كلِّ ليلِ
هل أنا الآن غير شاعرةٍ تُدْ
ركُ سرَّ الكون الجديبِ المُمِلِّ ؟

ذهبَ الأمسُ والطُفولةُ واعْتَضْ
تُ بحسِّي الرهيفِ عن لهو أمْسي
كل ما في الوجود يؤلمني الآ
نَ وهذي الحياةُ تجرحُ نفسي

قــد تجلّتْ لي الحقيقةُ طيفاً
غيهبيّاً في مُقْلَتَيْهِ جنــونُ
وتلاشى حُلْمُ الطفولة في الما
ضي ولم يَبقَ منه إلا الحنينُ

أينَ لونُ الأزهارِ؟ لم أَعُدِ الآ
نَ أَرَى في الأزهار غير البَوَارِ
كلّما ابصرتْ عيونيَ أزهــا
راً تذكّرتُ قاطفَ الأزهارِ

أين لحنُ الطيور ؟ لم يعُدِ الآ
نَ اشتياقاً وحُرْقةً في فؤادي
فالغناءُ اللذيذُ ضاعَ صداهُ
وٱنطوى في تذكُّرِ الصَيّـــادِ

أينَ همْسُ النسيمِ؟ أشواقُهُ السَكْ
رَىٰ ٱنطفَتْ لم تَعُدْ تُثيرُ خيالي
فغداً يهمسُ النسيمُ بمَوْتي
في عميقِ الهُوَى وفوق التلالِ

أينَ مني مفاتنُ الليلِ ، شِعْرٌ
وغموضٌ في غيهبٍ مَسْحور
لم أَعُدْ أعشَقُ الظلامَ غداً أَهْـ
ـوي عظاماً تحت الظلام الكبيرِ

ها أنا الآنَ تحت ظلٍّ من الصَفْـ
ـصافِ والتينِ مُسْتَطاب ظليلِ
أقطُفُ الزَهْرَ ان رَغِبْتُ وأجني الـ
ثَمَرَ الحُلْوَ في صباحي الجميـلِ

وغداً ترسمُ الظـلالُ على قَبـ
ـري خطوطاً من الجمالِ الكئيبِ
وغـداً من دمي غذاؤك يا صَفْـ
ـصافُ يا تينُ أيُّ ثارٍ رهيب

ذاكَ دأبُ الحياةِ تسلبُ ما تُعْ
طيهِ بُخْلاً لا كان ما تُعْطِيهِ
تتقاضى الإحيـــاءَ قيمةَ عيشٍ
ضمَّهمْ من شقائـــه ألفُ تيهِ

هي هـذي الحياةُ ساقيةُ السُمِّ
كؤوساً يطفو عليهـا الرحيقُ
أومأتْ للعِطَاشِ فاغترفوا منـ
ـها ومن ذاقَهـــا فليس يُفيقُ

هي هـذي الحياةُ زارعـة الأشـ
واكِ لا الزهرِ والدُجَى لا الضياءِ
هي نبْـعُ الآثام تستلهـمُ الشرَّ
وتحيا في الأرضِ لا في السَّماءِ

حسبُها أَنّنا دَفعنا إليها
ثَمَنَ العيشِ حَيْرَةً ودموعا
أيّ ذنبٍ جناهُ آدمُ حتى
نتلقَّى العقابَ نحنُ جميعا ؟

وليكن آدمٌ جَنَى حسبُهُ فُقْ
دانُ فردوسِهِ الجميل عقابا
أوَ لم يَكْفِ أَنَّهُ هبط الأر
ضَ ليُسْقَى آلامَها أكوابا ؟

أو لم يكفِ أنهُ هبط الدُّنـ
يا طريـداً من خُلْدِهِ الفَيْنَانِ
أو لم يكفِ أنّهُ عرَفَ الشرَّ
وقد كانَ طاهراً في الجِنَانِ ؟

ليت شعري ماذا يَرُوقُ لعَيْنَيْـ
ـهِ هُنا في انغلاقِ هذا الوجودِ؟
كيف ينسَىٰ آفـاقَ جنّتِهِ ما
ذا يغذّي حنينَـــهُ للخلودِ ؟

كيف ينسَىٰ الأمسَ الطليق ليَهْنا
بحيـــاةِ القيودِ والأَرْسانِ ؟
أين ذاكَ الحسُّ الرهيفُ؟ هنا سجـ
ـنٌ بليدٌ مغلَّفُ الجدْرانِ

ولماذا يَنْسى وهل في الثَرى شيءٌ
يعزّي عن حُلْمِهِ المَعْسُول ؟
كلما لاذَ بالخيـالِ تجلّى
لأساهُ ما كان من قابيـــلِ

أَوَ لَمْ تسمعِ الحقولُ صَدَى صر
خةِ هابيلَ حين خرَّ قتيلا ؟
أَوَ لَمْ يشهدِ القطيعُ على الجا
ني ألم يُبْصِرِ الدمَ المطلولا ؟

أينَ هابيلُ ؟ أين وقْعُ خُطَى أغ
نامِهِ في الحقولِ والوديانِ ؟
ليسَ منه إلا ضريحٌ كئيبٌ
شادَهُ في العَرَاءِ أوّلُ جانِ

وأتت ظلمةُ المساءِ على الحقْـ
لِ وعاد القطيعُ من دون راعِ
ليسَ إلا قابيلُ يمشي رهيبَ الـ
خطوِ نهبَ الأفكارِ والأوجاعِ

يا لأحزانِ آدمٍ عندما أبـ
صَرَ بابنَيْهِ قاتلاً وقتيلا
أيّها المستطار لن تردَعَ الأقـ
دارَ حتى إذا بكيتَ طويلا

ما الذي تنفعُ المدامعُ يا آ
دمُ؟ هل تدفعُ القضاءَ المريرا؟
إن يكنْ من فقدْتَ أول مقتو
لٍ على الأرضِ فهو ليس الأخيرا

انّهـــا لعنةٌ تَظَلُّ على العا
لَمِ مَسْدولةَ الدُجى مُكْفَهِرّه
كلّما ذاقَ قَطْرةً من نعـــيمٍ
أعقبتْها من الأسىٰ ألفُ قَطره

كلّما أسدَلَ الستارَ على حَـــرْ
بٍ أطلّتْ حربٌ وجاءت رَزايا
رحمةً يا حياةُ حسبُكِ ما سا
لَ على الأرضِ من دماءِ الضحايا

– الحرب العالمية الثانية –

انظري ، هل تَرَيْنَ غير بقايا
ذلكَ العالَمِ الجميلِ الخصيبِ
هل تبقَّىٰ منهُ سوى دِمَنٍ جدْ
باءَ في قَبْضَةِ الدَمارِ الرَّهيبِ

يا قصوراً بالأمسِ كانت هنا يض
حَكُ من حولها نَدَىً واخضرارُ
أصبحَتْ مسكنَ الخرابِ وجفّتْ
في حماها العطورُ والأزهارُ

أينَ أهلوكِ يا قصورُ ؟ وفي أيِّ
قبورٍ ثَوَوْا أتحتَ الثُلوج ؟
أم ترى مزّقتْهمو قاذفات الـ
ـنارِ في عاصفٍ رهيبِ الأجيجِ ؟

أَسَفاً يا قصورُ أهلُكِ ناموا
فوقَ صدْرِ الثَرَى عُراةَ الصُدورِ
رقدوا حاسري العظامِ فلا قَبْـ
ـرَ لهُمْ في التُرابِ أو في الشُعورِ

في سفوحِ الجبالِ ، تحت ذرى الأشـ
ـجارِ خلف الضياءِ والظلماءِ
ليس غيرُ الموتى عظاماً وأشلاءً
وغيرُ اكتآبةٍ وبكاءِ

يا نشيدَ السَّلامِ يا ساكناً في
قعرِ أحلامنا وراءَ مُنَانا
رفَّ فوق الدُّنيا الحزينةِ وأبعثْ
لحنَ حُبٍّ في تيهنا ودُجَانا

طُفْ بأنغامِكَ النَشَاوَى على هـٰ
ذي القُرَى المُسْتباحةِ المهدومه
بندَاكَ الرحيمِ رطِّبْ شِفاهاً
ظامئاتٍ أو جبهةً محمومه

طُفْ بأنقاضِ عالمٍ ليس يَدْري
أترى للدِّمــاءِ بَعْدُ بقيّه ؟
راسفٌ في الدُجى ، ويَسمعُ بالفجـ
ـرِ حديثاً وقِصَّةً مرويَّـــهْ

كانتِ الحربُ يوم أشعَلَها صو
رةَ حُــــلْمٍ مُضَوَّأ الأستارِ
غلّفوهـــا له بومضٍ بريقٍ
من سَنا المَجْدِ والرؤى والفَخَارِ

فإذا نبعُهـــا دمٌ وشذاهـــا
لهَبٌ آكلُ اللظَى وهَجيرُ
وإذا مجدُها شقـــاءٌ طويلٌ
ليس ينجابُ ليلُهُ المحرورُ

جفّ زهرُ التلالِ والوَرَقُ النَضْ
رُ وآوَتْ إلى الجفافِ الحقولُ
أسفاً لم تَدَعْ لنا الحربُ شيئاً
وتلاشى الحُلْمُ الطَروبُ الجميلُ

من ترى يحرثُ الحقولَ الجديدا
تِ ؟ وأين اختفتْ أغاني الحصادِ؟
أين لهوُ الأطفالِ عند البحيرا
تِ النشاوَى في بهجةِ الأعيادِ ؟

يا قلوبَ الأطفالِ لا تخفقي الآ
نَ حنيناً لـــن يَرْجِعَ الآباءُ
ذلك الحُلمُ في مآقيكمُ الولـ
هى طـــوتْهُ المنيّةُ السوداءُ

وبقايا الآباء نهبَ غُبـــارِ الـ
أرضِ صمّاءُ شاخصاتُ العيونِ
أيُّ معنىً في هذه الأعيُنِ الغَرْ
قَى من الصمتِ والذُهولِ الحزينِ؟

كلُّ عينينِ فيهما صورةُ تبـ
ـكي وترثي للعـــالَم المغرورِ
كل عينينِ تسخرانِ من العَيْـ
ـشِ وتستهزآنِ بالمقدورِ

كلُّ عينينِ تنظرانِ إلى الأفْـ
ـقِ بعيداً عن كلِّ ما في الحياةِ
آهِ يا ربِّ ، آهِ لو فَهِمَ الأحـ
ـياءُ مـاذا في أعيُنِ الأمواتِ

يا فتاةَ الاحلامِ حسبُكِ شدواً
برثاء القَتْلَى وحسبُكِ حُــــزْنا
سوف يَفْنَى هذا النشيدُ ويَبْقَى الـ
ـشرُّ في الأرض خالداً ليس يَفْنَى

هكذا شاءت المقاديرُ للعا
لَمِ إثمٌ ونقمة وحروبُ
وهي النفسُ تحملُ الشرَّ والبغضاء
مــاذا يُفيدُها التهذيبُ ؟

وأغاني السلام كم قــد وهبنا
هـــا قلوباً وألسُناً وشِفَاها
فطَوَاها الفضاءُ وابتلعَ النِسْ
يانُ ألحانَها وضاعَ صداها

كيف ينجو الوجودُ ان كان في الإنـ
سانِ عرقٌ من الشرور عريقُ
كيف يَشْفى من الأسى يا مقاديـ
ـرُ ؟ متى فجرُهُ السنيُّ الوريقُ ؟

ما الذي رامَهُ المسيحُ لكي يُجْ
ـزَى بما كانَ ؟ ما الذي كانَ منه؟
ايّها العالمُ الذي اقترفَ الذَّنْـ
ـبَ أما آنَ ان تُكَفِّرَ عنْهُ ؟

او لم يَشْبعِ الوجودُ من الحزْ
نِ أما زال ظامئاً للدِّماءِ ؟
أوما في كاساتِهِ غيرِ مِلْحِ الـ
ـدمعِ للجائعينَ والأشقياء ؟

ايها الكونُ يا جَناحاً مُدَمّىً
حطّمتْهُ مقادرٌ ومَنَايا
ليكن من فقدتَ في هذه الحرْ
بِ ختامَ الذينَ ماتوا ضحايا

نَهَمُ القتلِ في عُروقك قد آ
نَ له أن ينـــامَ ان تَنْسَاهُ
فالتجىءْ للسماءِ حيثُ المُنَى والـ
ـريُّ حيثُ الضياءُ حيثُ اللهُ

ذلكَ المنبعُ الأثيريُّ ما أعـ
ـذبَ كاساتِــهِ لمن يُسْقَاها
لم يزل في انتظارِ دنياً ترامتْ
في دروبِ الدُجى فضلّتْ خُطَاها

أيُّها التائهونَ تحجبُ أبصا
رَهُمُ ظُلْمةٌ وألفُ ستارِ
احملوا نادمينَ أشلاءَ قتْـــلا
كُمْ وغنُّوا لها نشيدَ اعتذارِ

ضمّخوها بالعِطْرِ لفّوا بقـــايا
ها بزَهْرِ الليمونِ والياسمينِ
احملوا الميّتينَ في نعشِ موسيـ
ـقىً وحبٍّ وعِطْرِ دمعٍ سخينِ

واجمعوا الصبية الصغارِ ليُلْقوا
أغنياتٍ فجريّةَ الأنغامِ
وليكن آخرُ اللحـونِ التي تُلْـ
ـقَىٰ على سمعهم نشيدُ السَّلامِ

فيم هذا الصراعُ ؟ فيم الدماءُ الـ
ـحُمْرُ تجري على الثرَى العَطْشانِ
والشبابُ البريءُ في زهرة العُمـ
ـرِ لمـــاذا يُلْقَى إلى النيرانِ

في سبيل الثَّرَاءِ هذا ؟ أليس الضـ
وءُ والحبُّ والـــورودُ ثَرَاءَ
وليالي السلامِ والأمْـنِ هل في الـ
عُمْرِ أغلى منها وأحلى ضياءَ ؟

وغـــداً رحلةٌ إلى الأُفُـق المجـ
ـهولِ ، نحو السكونِ والنسيانِ
وغداً رحلةٌ فهـل يدفـع الأمـ
ـواتُ بالمالِ وحشةَ الأكفانِ ؟

إنّـه الموتُ ذلك الواهبُ العا
دلُ مُلْقي الهمود في كل قَبرِ
ومُريقُ الفنـاء في كلِّ خـدٍّ
وذراعٍ وكلِّ نحـــرٍ وصدْرِ

فلماذا إذن مَشى العالَمُ المجـ

ـنونُ للموتِ والأذى والدَّمارِ

فيم تحدو الشعوبَ أطماعُ غِرٍّ

يتصبّى عينيْهِ وهْجُ النّارِ

أعن النصر يبحثونَ ؟ وهل نصـ

ـرٌ لمن تستذلُّهُ الأهــواءُ

هــل فَخارٌ وحولنا عالَمٌ يمـ

ـلأُهُ الجائعونَ والأشقياءُ ؟

نحنُ أَسرى يقودُنا القَدَرُ الأعـ

ـمى إلى ليلِ عــالمٍ مجهولِ

وسنينُ الحياةِ نومٌ ونصحو

ذاتَ يومٍ على نداءِ الرَّحيلِ

وطُبولُ النَصْرِ العظيم غداً تَفْ
نَى وتغفو في قبرهــا المقدورِ
وتُضيعُ الرِّياحُ في أُفُقِ العا
لَمِ ذكرى المنصور والمدحورِ

وصحا العالَمُ العميقُ الأسى وانـ
تهت الحربُ بانتصار المنـايا
شَهِدت هذه القبورُ لهـا بالـ
نصرِ يا رحمتا لتلكَ الضحايا

ثم ماذا يا ساكني العـالم المو
جوعِ ماذا من القتالِ جنينا ؟
هل وصلنا الى النجوم الحوالي
ولَمَسْنا أسرارَها بيدَيْنا ؟

هل غلبنا الشقاءَ والفقْرَ في أر
جاءِ هذا الكون الطعين الذليلِ ؟
والصِغارُ العُراةُ هل وجدوا ما
وىً ودفئاً عبر الشتاءِ الطويلِ ؟

والأذى والشرورُ هل دَحَرَتْها الـ
حَرْبُ يا من حمّلتمونا لظاها ؟
أَسَفاً لم يَزَلْ على الأرض من يَتْـ
تخـــذُ الكاسَ والمجونَ إلها

لم تَزَل في الوجود أغنيةٌ تَقْـ
طُرُ حزناً على شفاهِ جياعِ
في هُتَافـــاتِ لاجئين رمتْهم
محنــةُ الحرْب للضَنَى والضِياعِ

كل شيءٍ باقٍ كما كان قبل الـ
حربِ غير الأيتام والأمواتِ
غير ظلٍّ من الكآبة والحيـ
رة يمشي على ضِفافِ الحياةِ

هؤلاء الأيتـــام بالأمس كانوا
صورةَ البِشْرِ والمراحِ الجميلِ
تحت ظلٍّ الآباءِ يقضُون عَيْشاً
ما درَوْا غير صفوِهِ المعْسولِ

وأفاقوا من حُلْمِهِـــم فإذا الآ
مالُ حربٌ والذكريات دُخانُ
يا عيونَ الأطفالِ لا تسألي الذ
يا فقد مات في القلوبِ الحنانُ

في سبيل المجدِ المزيَّفِ هذا الـ
هولُ لا كان مجدُهمْ لا كانا
في سبيل النصرِ المموّه عاد الـ
عالَمُ الحلْوُ في اللهيبِ دخانا

هؤلاء الصرْعى على الشوك والصخ
رِ شباباً وصبيةً وكهولا
كيف كانوا بالأمس؟ أيّةُ رؤيا
رسموها فلم تهشَّ طويلا؟

أيها الأشقياءُ في الأرضِ يا من
لم تُمِتْهم قذائفُ النيرانِ
عَبثاً تأملونَ أن يرجعَ الآ
نَ أعزّاؤكم إلى الأوطانِ

انظروا هـــا هم الجنود يعودو

ن فرادَى مُهشّمي الأعضـــاءِ

آهِ لولا بقيّةٌ من حيـــاةٍ

لم يُعَدُّوا في جمـــلةِ الأحياءِ

عبثاً يبحثون في هذه الأن

قاضِ عن أهلهم وعن مأواهُمْ

عبثاً يسألون مـــا يعلم العا

رُ شيئاً فيا لنـار أســاهُمْ

كيف ذاقوا مرارةَ الخيبةِ المُـرَّ

ةِ بعد العذابِ والأوصابِ ؟

أتراهم نجـــوا من الموتِ كي يحـ

ـيوا بـلا رفقةٍ ولا أحبابِ ؟

أينَ تلكَ البيوتُ يلمعُ فيها الضـ
ـوءُ والحبُّ أين من سكنوها ؟
أينَ أطفالهُم ورجْعُ أغانيـ
ـهِمْ وتلكَ المُنى التي صوّروها ؟

أيهـا الأشقياءُ يا زُمَرَ الأحـ
ـياءِ في كل قريةٍ وصعيـدِ
آن أن نستعيدَ ماضيَ حبٍّ
هو مفتاحُ حلمِنا المفقودِ

ما الذي بيننا من الحقْد والبغـ
ـضاءِ ؟ ما كانَ سر هذا الدمَارِ ؟
أيهـا الأشقياءُ نحن جميعاً
لعبةٌ في مخالبِ الأقدارِ

نحنُ نحيا في عالمٍ ليس يُدْرَى
سرهُ فهو غيهبٌ مجهـــولُ
تطلَـعُ الشمسُ كل يومٍ فما كنـ
ـهُ سناها ؟ وفيمَ كان الأفولُ ؟

ما الذي يُطْلع النجومَ على الكو
ن مساءً ما كُنْهُ هذا الوجودِ ؟
أيُّ شيءٍ هذا الفضاءُ ؟ وما سرُّ
دجاهُ ؟ هل خلفَـهُ من حُدودِ ؟

يا ضباباً من الجهَــالةِ والحيْـ
ـرةِ قد لفّبوهُ بالإنسانِ
كل ما في الوجودِ يحكمُـهُ ما
ذا إذنْ سرُّ ذلكَ الطُغْيانِ ؟

فيمَ نطْغَى وكيف ننسَى قوى الكَوْ
نِ وما في الوجود أضعفُ منّا
ينخرُ الدودُ ما نَشيدُ ولا تُبْ
قي البراكينُ والرياحُ علينــــا

فيم نقضي حيـاتنا في العداوا
تِ ونُمضِي السنينَ يأساً وحُزْنا
كيف ننسَى أنّا نعيشُ حياةَ الـ
ـورْدِ سرْعانَ ما يموتُ ونَفْنَى

لن تدومَ الأيامُ لن تحْفظ الدنـ
ـيا كياناً لكائنٍ بشريّ
فلْنَدعْ هذه الضغــــائنَ والأحـ
ـقادَ ولنَحْيَ للوداد النقيّ

– البحث عن السعادة –

كم بحَثْنا عن السعـــادةِ لكن
ما عَثَرْنا بكوخِها المسْحورِ
أبداً نسألُ الليالِيَ عنهـــا
وهي سرُّ الدُنْيا ولُغْزُ الدُهورِ

طالما حدّثوا فؤادِيَ عَنْها
في ليالي طفولتي وصِبَايا
طالما صوّروا لعينيَّ لُقْيـــا
ها وألقَوْا أنباءَهـــا في رؤايا

فهي آنا ربيبةُ اليُسْر والـثَرْ
وةِ بنتُ الألوان والأضواءِ
ليس تحيا إلا على باب قَصْرٍ
شيّدتهُ أيدي الغِنَى والرَّخاءِ

وهي آناً في الزُّهْدِ عن مُتَعِ الدنـ
ـيا وعِنْد النُّسَّاكِ والرُّهْبانِ
ليس تحيا إلاّ على صَخَرِ المعْـ
ـبدِ بين الدُّعاءِ والإيمانِ

وهي في شَرْع بعضِهم مِلْكُ مَن يُطْـ
ـلِقُ أهواءَ قلبِـهِ دون قيـــدِ
ليس تصفو إلا لمن عاشَ للكأ
سِ وللّهو بين ثَغْرٍ وخَـــدّ

وهي في شرع آخـرينَ لراعٍ
يصرفُ العُمْرَ في سُفُوح الجبالِ
يتغنّى مـــع القطيـعِ إذا شاء
ويغفو تحت الشَذَى والظِلالِ

وهي في شَرْعِ غيرهم في حِمَى العُزْ
لةِ والفنِّ والجمـــالِ الرفيـعِ
ليس تحيـــا إلا على فم غرّيـ
ـدٍ يُغنّي أو شاعرٍ مَطْبوعِ

وسواهم يَرَى السعادَةَ في الحبِّ
وفي أغنيـــاتِ كلِّ مُحِبِّ
ليس تحيـــا إلاّ على شَفَـة العا
شقِ لحنـاً من الوداد العذْبِ

حدثوني عنهـا كثـيراً ولكن
لم أجدْها وقـد بحثتُ طويلا
لم أزل أصرفُ الليالي بَحثاً
وأغـنّي بهـــا الوجودَ الجميلا

مرّ عمري سدًى وما زلتُ أمشي
فوق هذي الشواطىء المحزونه
لم أجدْ في الرمالِ إلا بقايا الشـ
شوكِ يا للأُمنيّةِ المغبونَهْ

أينَ أصدافُـكَ اللوامعُ يا شطُّ
إذنْ ؟ أين كنزُكَ الموعودُ ؟
هاتِهِ رحمةً بنا هـاتِ كنزاً
هو مـــا يرتجيه هذا الوجودُ

هاتِهِ حسْبُ رملِكَ البارد القا
سي خداعاً لنا وحسبُكَ هُزْءا
يا لحُلْمٍ نزيدُ منه اقـــترابا
وهو ما زال أيها الشطُّ يَنْأَى

طال بحثي يا ربّ أينَ ترى ذا
كَ السعيدُ الجذلانُ أين تراهُ ؟
ليسَ حولي إلا دياجيرُ كونٍ
مغرقٍ في نُوَاحِهِ وأَســـاهُ

لم أجدْ في الرمالِ إلا بقايا الـ
موتِ من أعصُرٍ طوالٍ دفينه
كلُّ جيـلٍ يعيشُ يحلمُ حتّى
يُطْفِىءَ الموتُ قلبَـهُ وعُيونَهْ

عالم يَنْشُدُ السَعَــادةَ والآيــ
ـامُ تَسقيه غُصَّةً بعد غُصَّه
كلَّما ضجَّ شاكياً أمّلتْـــهُ
مُقَلٌ عذبةٌ وأيدٍ رخْصه

إيـــه أسطورة السعادةِ غنّيـ
ـني نشيـداً عن أفْقِـكِ المفقودِ
أين القاكِ ؟ أين مسكنُكِ المَسْـ
ـحُورُ؟ في المستحيلِ أم في الوجود؟

سرتُ وحدي تحتَ النجوم عصوراً
أسألُ الليلَ والدياجـــيرَ عنكِ
أسفاً لم أجدْكِ في الشاطىء الصخْـ
ـريِّ حيثُ الميــاهْ تَفْتأُ تبكي

حيثُ تبقَى الأشواكُ والوردُ يَذوي
تحت عـــينِ الأيّامِ والأقدارِ
حيثُ يَفنَى الضياءُ والليلُ يأتي
بوعيـــدِ الرياحِ والأمطارِ

حيثُ تحيا الأغنامُ جائعةً لا
عُشْبَ لا رِيَّ في المراعي البخيله
وغداً في الصباح تنتظرُ السِكّـ
ـينُ أعناقَها العِجَافَ النحيله

حيثُ يحيا الغُرابُ والبلبلُ المو
هوبُ يَهْوي من عشِّه المضفورِ
ويغنّي البومُ البليـدُ على الدّوْ
حِ ويَثْوي القُمْريُّ بين الصُخور

حيثُ تبقى **الغيومُ مُمْطرةَ الأهـ**
ـداب رمزاً لدمعنا وبُكَانا
وتَظَلُّ الرِّياحُ تصفرُ سُخْرِيَّـ
ـتَهَا من أهوائنا ومُنَانا

– انشودة الرياح –

– ١ –

أيها السادرونْ ما الذي تَنْشُدونْ ؟
ملءَ هذا المَدَى في الدُّجى حالمونْ
كم رَسَمْتم منىً أطفأتْها القرونْ
وأغانيكمو كم طواها السكونْ

* * *

تذرعون الذُّرى تقطعونَ القِفارْ
تحت سمع الدُّجى وعيونِ النَّهارْ
تُطْعمونَ الرؤى بالدموع الغزارْ
إنّ دونَ المُنَى ألفَ ألفِ سِتارْ

* * *

وأمـــانيـكمـــــو طيفُ حبٍّ نَفُورْ
أتـظنّـــونهـــــا في زوايا القصورْ ؟
دونَكُـــمْ فابحثوا في حرير السُّتورْ
وانا للمَـــدَى كلُّ عُمْري مرورْ

- بين القصور -

سرتُ وحدي بين القصور طويلاً
أسألُ العابرينَ أيــن السعيدُ ؟
فإذا بهجـــةُ القُصور ستارٌ
يختفي خلفَهُ الظـــلامُ المديدُ

إنّ فيهـا أغانياً ذابـــلاتٍ
وصلاةً حزينة النَــبَراتِ
وعُـيوناً مملوءةً حَـــيْرَةً تَسْ
تفهمُ اللُغْزَ في ضباب الحياةِ

شبعوا وارتووا وما شَبِعت أر

واحُهم وارتوتْ وباتوا حَيارَى

ان جوع النفس المُنَعّمةِ النَشْ

وى إلى حُلْمهـــا أشدُّ استعارا

ليس يُنْجيهمو الغِنىمن يد الُحزْ

ن وإن طاولوا الذُرَى بالغرورِ

ولهم موتُهم ومأساتُـــهُ المُغْ

لَقَةُ السرِّ مثلَ مـا للفقيرِ

كم وراء القصور من أغنياتٍ

أخرستْهـــا عواصفُ المقدورِ

كم قلوبٍ تَوَدُّ أن تُبْدلَ القصـ

ـرَ بكوخٍ على ضفافِ الغديرِ

ليس يُنْجي الحريرُ من عُمْقِ هذا الـ
لُغْزِ لغزِ المصيرِ لُغْــزِ البدايه
هــل يبيعُ الفضاءُ أسرارَهُ بالـ
ـمالِ هل تُشْتَرَى بـــه اللانهايه ؟

وعبرنا القُصورَ لم نجـــدِ المنـ
ـشودَ في ضوئها ولا في دُجاها
فهي خلوٌ من المعاني وما فيـ
ـها سوى المال والحرير إلهـا

اقفرتْ من سعادةِ الروح من مُذْ
طَلَقِ الفكْرِ في مَدَى الأزمانِ
وسَرَى المَحْلُ في أزاهرها الظَمْـ
ـأَى إلى اللونِ والشذَى والمَعاني

غَرِقوا في الضياء والعطر لكنْ
ليس فيهم قلبٌ يحسُّ الضوءا
وتمرُّ الأنهـــارُ في أرضهم تسـ
قي شفاهاً وتتركُ الروحَ ظمأى

تلك إغفاءةُ القصور يموتُ الـ
حسُّ والشِعْرُ في حمَاها الضَنينِ
آهِ فلنمضِ باحثينَ لعلَّ الـ
كونَ يُفْضي بسرِّه المَكْنونِ

– انشودة الرياح –

– ٢ –

كلُّ عُمْري سُرىً في الوجودِ الجميلْ
في الصباحِ النَدِي والظلامِ الثقيـــلْ
فوق سَرْوِ الذُرَى فوق حقلِ النخيلْ
أنا أمضـــي أنا كلُّ عمـري رحيلْ

* * *

وشهِدْتُ هنـــا ألفَ جيلٍ وجيلْ
وُلِدوا وانطـــووا في التُرابِ المَهيلْ

ضَحِكوا أو بكَوْا   في الضُحَى والأصيلْ
مــا لهمْ مهربٌ   مـن رُقَادٍ طويلْ

* * *

وسمعتُ هُنــا   كلَّ جيلٍ يقولْ :
«في يــدي منبعٌ   خـالدٌ لا يزولْ»
وأنــاشيدُهــمْ   قـد طَوَاها الذبولْ
ومبــانيهمــو   جَرَفَتْها السُّيولْ

* * *

أقبــلي أقبــلي   يا فتــاةَ النشيدْ
وابحــثي بينهــم   عــن فؤادٍ سعيدْ
كــلَّ يومٍ لنــا   منكِ حُلْمٌ جديدْ
وأنا مــا أنا   غــير سيرٍ أبيدْ

* * *

وَمضى بحثها عن ديارِ النعيمْ
لم يَزَلْ قلبُها في المرَاقي يهيمْ
القصورُ طوت حُلمَها المستديمْ
فانتهى سيرُها عند ديرٍ قديمْ

– في دنيا الرهبان –

سرْ بنا يا طريقُ نحو حِمَى الديـ
ـرِ فقد نلتقي الرِّضَى والأَمْـنا
فلعلَّ الرُهبانَ قد أدركوا السرّ
المعمّى الخـــافي الذي نتمـنَّى

هؤلاءِ الزُهّـادُ في القُنَّةِ الخضـ
ـراءِ حيثُ الحياةُ صمْتٌ مديدُ
ربمـــا كاشَفَتْهمُ الأنجُمُ العُلْـ
ـيا بأسرارها وباحَ الخـــلودُ

مرحباً يا رهبانَ هل في حِماكم
من حديثٍ عن كنزِنا المفقودِ ؟
هــــل لمستمْ بريقَهُ وشذاهُ ؟
هــــل نعمتم بظلِّه الممدودِ ؟

انّ في أُفقكمْ جــــلالاً وشِعْراً
وسكوناً مُطَلْسَمَ الأستار
وصــــلاةً لله تقطرُ حبّاً
طهّرتْها يدُ الدُموعِ الغزارِ

فلِمَ الحزْنُ والشحوبُ يُطلاّ
نِ لديكمْ من أعينٍ وشفاهِ ؟
يُلْقيانِ الظِلالَ فوقَ وجوهٍ
صامتاتِ المَرْأى خواء الجباهِ ؟

ووراءَ الأهدابِ أستارُ حزنٍ
وذهولٍ ووحشةٍ لا تَنَـــامُ
إن يكنْ ديرُكُم عَذاباً وهمّاً
أيُّها الراهبونَ فيمَ المُقامُ ؟

لم أجدْ في الصوامعِ الرّثةِ الحيْـ
رَى عُلوّاً ولم أجـــدْ آفاقا
إنّ هذا الجَناحَ يا ديرُ مقصو
صٌ فلن يستطيعَ قطُّ انطلاقا

أثقلتْهُ رغـــائبٌ ثرّةٌ حَرّ
ى تبقّتْ من أمسِه المدفونِ
واشتيــاقٌ الى الطفُولة والحبّ
الى ضَمّــةٍ وصدرٍ حنونٍ

أيها الراهب الذي يقطعُ العُمْـ
ـرَ وحيداً في غُرْفَــةٍ منسيّه
ليس يدري دفْءَ المودّة في عيـ
ـنينِ في قرِّ ليلةٍ شتويّه

حدّثوني عنكم فقالوا : قلوبٌ
نُسجتْ من وداعةٍ ونقاءِ
ونفوسٌ صيغت من الضوء والعِطْـ
ـرِ وحامت على شِفاهِ السَماءِ

وحكَوْا لي عنكم فقالوا : ضياءٌ
وكؤوسٌ من الشَذى روحيّه
وسُمُوٌّ إلى الذُرى الطاهراتِ الـ
ـبيضِ فوق الرغائبِ البَشَريّه

عجباً أين ما سمعتُ ؟ هنا شو

قٌ ونارٌ وأعــــينٌ مفتونهْ

وهوىً قيّدوه عطشانَ محرو

راً فاين السلامُ ؟ أين السكينه ؟

وٱسْمُ (تاييس) لم يَزَلْ في شفاهِ ال

ـريحِ يُتْلى على الوجود اللاهي

رمزَ قلبٍ ممزّقٍ بين صوْتَيـ

ـنِ : نداءِ الهوى وصوتِ اللهِ

ما نَسِينا غوَايةَ الراهبِ المفْ

ـتونِ في حبِّها وكيفَ هدَاها

يا له بائساً سمـــا بابنةِ الإثـ

ـمِ إلى قمّةِ السماءِ وتاهـــا

خواءً من النَدَى والحنانِ
يا غريقاً في الصمتِ والوحشة الصَمَّ
ـاءِ يا مُقْفِرَ الرؤى والأماني

حانَ عن صمتِكَ الكئيبِ رحيلي
فدروبُ الحياةِ خضراءُ حيّه
وذراعُ الوجودِ يفرشُ لي دَرْ
باً من الخصْبِ والظِلالِ الثريّه

وسألقى ربّي هناكَ بعيداً
عن دياجيكَ إنَّ ربّي ضياءُ
وطريقي يمتدُّ حيثُ يدُ اللـ
ـهِ جمالٌ ورحمةٌ وارتواءُ

- ٣ -

طال تَجْوالُها في الفجاجِ الفِساحْ
في مُرورِ الدُجى وانطواءِ الصَباحِ
في تَلاشي النَدَى وضياع الرياحْ
ان أحلامَها ملّكتْها جَنَاحْ

كلّما ضيّعتْ في الدياجي رجاءْ
فتّحتْ قلبَها الشذَى والضياء
إنّ في روحها ودماها نداء
لارتقاء الذُرَى وبُلوغِ السماء

يا فتـــاةَ الرؤى ما أحبَّ الوصولْ
حين يمضي الأَسى والضَبابُ يزولْ
غـــير أنّ الشُرَى في جديبٍ طُلولْ
والَمدَى شاسعٌ والديارُ مُحولْ

ما وجدتِ الُمنى في حمى الرُهْبانْ
عـــالمٌ مُغْلَقٌ قاتم الُجـــدْرانْ
وأطـــلّ على طرفكِ الحيرانْ
شـــاطئٍ أخضرٌ مُبْرِقُ الغُدْرانْ

انّـــه شاطيءٌ غامضٌ لا يَبينْ
واعـــدٌ بالسَّنا كلَّ قلبٍ حزينْ
وهبطتِ إلى أرضهِ تبحثينْ
أسفاً إنّـــه شاطئُ العابثينْ

– في دنيا الاسرار –

عند شطِّ الحياة ألقيتُ مَرْسَى
زورقي في الضبابِ والأوهامِ
أرقبُ السائرينَ في الشاطىء الصَخْ
ـريِّ بين الوهــاد والآكامِ

أينَ ألقاكِ يا سعادةُ ؟ هل من
نبأٍ عن حِماكِ يَهْدي الحَيارَى؟
كلَّما قلتُ هذهِ دارُهَـا امتدّ
تْ قفارٌ لا تنتهي وصَحَارَى

في ديار الأشرار نحنُ نزلنـــا
بين أشواكها وحزّ حصَاهـــا
ربّما كان في جداولها الفظّ
ةِ كاسٌ يرْوي المُنَى والشِفَاها

ونزلْنا في أرضها ورَحلْنا
عن دُجاها وحرِّها مُسْرِعينا
لم يزَلْ طعْمُ مائها المرّ يحيا
في رؤانا يَفيضُ مِلْحاً وطينا

الطُّغاةُ الملوّثو الروحِ فيهـــا
لم نجِدْ في عيونهم من نورِ
فقَدوا الحبّ والسّلامَ وناموا
فوقَ شوكٍ من العذابِ المريرِ

فاذا أسكتوا تَظلُّمَ مظلو
مٍ فهل يُسْكتون صوتَ الضميرِ ؟
ذلك الراقبُ الإلهيُّ في النَّفْ
سِ لسانُ الهدى وصوتُ الشُعورِ

لم يَزَلْ ساهراً يُراقبُ في صَمْ
تٍ خُطاهم فليسَ منه هروبُ
أبــداً يرقُبُ الحياةَ وفي عيـ
نيهِ سرٌّ عاتٍ ومعنىً رهيبُ

فإذا ضلت القلوبُ عن الخيـ
ـرِ علاَ صوتُ ذلكَ الجبّارِ
إنّه الناقمُ النبيلُ على الشرِّ
وقـاضي الطُغاةِ والأشرارِ

كيف ينجو الأشرارُ من شقوة الرُّو
حِ وسوطُ الضميرِ بالمِرْصادِ
لا ملاذٌ من حاكم يملكُ الرو
حَ بما في كفَّيْهِ من أصفادِ

ولصوصٌ في هذهِ الدار عاشوا
يسرقونَ الحياةَ والأشياءَ
يسرقون الجمالَ والحبَّ والخُبْ
زَ جميعاً ويسرقون الضياءَ

وأكفٌّ تمتدُّ تسرقُ قرطاً
وسواراً وخاتماً لمّاعا
وأكفٌّ لا ترتوي دون أن تَسْـ
ـرقَ خدّاً ومعصماً وذراعا

ونفوسٌ وضيعةٌ تسلبُ العا
برَ حُلْماً أو رغبةً أو قلبا
ونفوسٌ أحطُّ تؤمنُ بالعفّـ
ـةِ والعدْلِ ثم تسرِقُ شَعْبا

هل يعيشُ الضياءُ في هذه الجدْ
رانِ حيثُ الأقباءُ حيث الزَوَايا
في عيونٍ مزيّفـــاتٍ تُغَذّيـ
ـها رغـــابٌ دنيئةٌ ونوايا

عالمٌ مُقفر من الحبِّ والدِّفْءِ
تعيشُ النفوسُ فيـه خواءَ
نُزِعَتْ من فضائه لَمْسَةُ اللـ
ـهِ فأبقتْ أذلّـــةً أشقياءَ

يا نشيدَ الرياح خذنا مع اللَحْـ
ـنِ إلى عـالمٍ أرقَّ وأغْـلىٰ
كلَّـما لامستْهُ أقدامُنـا ٱفـترَّ
وفاضتْ أنداؤه واخضلاّ

— ٤ —

إنبسِطْ يا مَدَى واختفي يا حدودْ

ان أقدامَها شردت في الوجودْ

كلَّما صعَّدَتْ في الذُرَى والنجودْ

قابلتها ذرى ومَضَتْ في صعود

* * *

انها رحلةٌ في طريق الحياة

بحَثَتْ عن دُنىً تتحدّى المماتْ

كلَّما أبصرْت رمّةً في فلاة
جدّدتْ عزْمَها بنَــدَى الأغنياتْ

* * *

يا فتاةَ الرؤى والفـؤادِ الرهيفْ
خـاطبتْـكِ الدُّنَى في الظلامِ الكثيفْ :
« أنصتي تَسْمعي في السكونِ حفيفْ
وانظري تُبْصري أنَّ جدْبي وريفْ »

* * *

لكِ قلبٌ غفـا عن معاني الذُرَى
لك روح ثوى في ضَبابِ الكرى
لا يُحِسُّ النَدَى في جَفَاف الـثَرَى
فاهبطي واجثي عند أهلِ القُرَى

* * *

ربّما حرّروا مُقْلةً راسفه
أغمضتْ لا تَرَى روعة العاصِفَه
ربّما خفّفوا حُرْقةً لاهفه
انّ دنياهمُ جنّةٌ وارفه

— في الريف —

ما تقولُ الرياحُ ؟ هذي هي الجنّـ
ـةُ ؟ هذي ظلالُـها الممدوده ؟
أترى حانَ أن تراكِ عيوني
يا ضفافَ السعادةِ المفقوده ؟

بعد طول السُرَى وتيهيَ في الآ
فاقِ ، والدربُ ظلمةٌ وزوالُ
بعد بحثي عن التي غلّفتهْ أسـ
ـرارَها لم تَبُحْ بها الآزالُ

أنا من قد حملتُ قلبي على كفّـ

ي وسرتُ الوجودَ أبحثُ عنها

أسألُ العابرينَ عمّن رآهــا

وروَى قلبَهُ المُشوّقَ منهــا

أتراها هنا ؟ أتلكَ اذن أسـ

ـوارُها تملأُ المشاعر أمْنَا ؟

أترانا إذن وصلنــا أخيراً

ذلك الشاطئَ الذي نتمنّى ؟

انّهُ الريفُ فالحياةُ ربيــعٌ

خضِلُ العِطْرِ باردُ الأنــداءِ

والمراعي النشوى تُرَاقصُها الريـ

حُ وتغفو على خدود الضياءِ

والصباحُ الوضيءُ قد ذوّب الألـ
ـوانَ والعِطْرَ في كؤوس الورودِ
والفراشـــات يرتشفن ويَثْمَلْـ
ـنَ من الوهْجِ والرحيقِ البَرُودِ

وفروعُ النخيل مدّتْ على مجـ
ـرى السواقي ظلالها السَمْراءَ
سكبتْ عطرها وخدّرتِ المرْ
جَ وفاضتْ خصوبةً ونَماءَ

وذراعُ الضياءِ تحتضنُ الأشـ
ـجارَ والواديَ النضيرَ الثريّا
وورودٌ بيضٌ تنامُ على ينـ
ـبوعِ ماءٍ يسيلُ شهداً نقيّا

كلُّ شيءٍ في هذه الجنّة العَـذْ
بةِ يوحي بأنّنا قد وصلنـــا
أنّ ما في قلوبنا من هوىً عط
شانَ قد نال حُلْمَهُ المُتَمنَّى

أنَّ هذي ديارُها ، هي جنّيْـ
ـةَ حُلْمي الخافي وسرَّ رحيلي
هي ذاكَ اللغزُ المحيِّرُ شوقُ الـ
أمسِ واليومِ والغد المجهولِ

فلنقِمْ ها هنا عريشَ أمانيـ
ـنا من الورد والشَذَى الروحيِّ
ولنَذُقْ حكمةَ النخيلِ ونقبسْ
بعضَ أسرارِ صبرِهِ الأبديِّ

جارٍ سرُّ الدنيا وموسيقاهـــا
والمروجُ الغنّاءُ تكشفُ للرو
حِ معانيَ اخضرارِها وشذاها

وغناءُ الرُّعـــاةِ تنقلُهُ الرِّيـ
ـحُ بعيداً إلى قِنانِ الجبالِ
ونشيدٌ تُديرُهُ شَفَتـــا طفـ
ـلٍ يغنّـي على تلالِ الرِّمـــالِ

إنّ في هذه المجـــالي كؤوساً
هي ريُّ المُـــنى وريُّ الشفاهِ
إنّ فيهـــا نبعاً يفيء إليه الـ
ـمُتْعَبُونَ العطاشُ بعد المَتَاهِ

وهنا تمنحُ الطبيعةُ دفئـاً
وسكوناً عذْباً وينبوعَ ضوْءِ
ويداها تَمَسُّ في روحنا جُرْ
حَ الرَّدَى والذبولِ واللاشيءِ

إنّ هذا الجمالَ أقوى من المو
تِ ففيه عُمْقٌ وفيه خُلودُ
هل خلَتْ هذه المجالي من الأغ
نامِ يوماً ؟ وهل تلاشى النشيدُ ؟

وزهـورٌ تـذوي وتولدُ آلا
فٌ سواهـا سحريّةَ الألوانِ
تمنحُ العِطْر والجمالَ غــذاءً
للنسيمِ المعطّـر النعسانِ

وطيورٌ تَسقي الوجودَ كؤوساً
من أناشيدها العِذابِ النقيّه
لا صداها يموتُ ، لا نبْعُها يَنْ
ضَبُ في مَسْمَعِ الرَّوابي الشذيّه

ومجيءُ المساءِ ـ عند نضوبِ الـ
ضوءِ في حافةِ الفضاءِ البعيدِ
أوَلا ينـثُرُ النجومَ الكحيلا
تِ على جبهةِ المساءِ الوليدِ؟

ها هنا يولَدُ الخلودُ كما يو
لَدُ قَطْرُ النَدى وعطْرُ الرِّياحِ
مثلمـا يَنْبُتُ الضياءُ أثيريّـ
ـاً طَهُورَ الأهدابِ كلَّ صَباحِ

ويموتُ الفَناءُ ، يَضْحكُ من فكـ
ـرِتهِ الظِلُّ والنّدَىٰ والوَرْدُ
ونجـــومُ المساءِ تُبْصرُ في الآ
فاقِ ما لا يُرَىٰ وما لا يُحَدُّ

إنّهُ الرِّيفُ من ثَرَاهُ العبيريِّ
المُنَدَّىٰ تُسْتَنبتُ الأشعارُ
موطنُ الحبُّ والأغاني وأرضٌ
غلَّفتْ رملَها النديِ أسرارُ

سرتُ فيه فجراً وسرتُ مساءً
وعَرَفتُ الظهيرةَ العنبريّه
وآرتوتْ من شَذَىَ النخيل وعِطْر الـ
ـقمحِ روحي الطليقةُ الفَجْريه

سرتُ فيه وحدي ، سعادةُ قلبي
غمرتني وحدي ، وغنّيتُ وحدي
إنّ هذا الفردوسَ يَنْقُصُهُ الإنـ
سانُ : يُضْحي ضياءَهُ ويُندّي

تلك أكواخهم حصيرٌ وأحجا
رٌ وبؤسٌ مخيِّمٌ لا يُزاحُ
تخجَلُ الشمسُ أن تمرّ عليهـا
ويَحيدُ الضُحَى ويكبو الصَبَاحُ

غُرَفٌ رثّةُ المداخلِ والجدْ
رانِ سودٌ تجولُ فيها الرِّياحُ
في دجاها يعيشُ قومٌ جياعٌ
نَضَبتْ في أيديهمُ الأقـداحُ

ويغني القُمْريُّ تجري السواقي
ويلاقي الضياءُ تلّةَ زنبقْ
ويُرَاق الجمالُ في الفجر أكوا
باً ولا قلب في القُرَى يتذوّقْ

شَغَلتهم أحزانُهم عن معاني الـ
ظلِّ والضوءِ والنّدَى الألاّقِ
عن مذاق الجمالِ في وردةٍ خجـ
لَىٰ على شطِّ جدولٍ رَقْراق

كيف يَرْقى الجياعُ في عالم الرّو
حِ وهم في حبالة الجسْم أسْرَى
يعصرون الصخورَ بحثاً ولا قطـ
رةَ ماءٍ تَبلُّ والروح حَرَّى

يحرثون المياهَ ، يستنبتون الـ

نارَ والموتَ يغزلون الرِّياحا

يا ضياعَ الانسانِ يخدعه التيـ

ـهُ ويسري ولا يُلاقي صباحا

هؤلاءِ الجياعُ في عُزْلةِ الحرْ

مان تمتــدُّ حولهم أسوارُ

لفَّ أرواحهم حجاب كثيفٌ

وانطوت في عيونهم أسرارُ

خلف باب الكوخ الكئيبة قمر

يٌّ يغني ألحانَهُ ومُنَاهُ

لا همُ يسمعونَــهُ لا ولا القمْ

ريُّ يدري ذهولَهُم عن غناهُ

ليس يدري القمريُّ ما يفعل الجو
عُ بأهـــل الأكواخ كل شتاء
حينما تغمر الثلوجُ ثرى المر
ج وتطويهِ عن عيونِ الضياء

حينما يجمدُ القطيــعُ من الـبر
د على المرج في شتاءٍ حزينِ
حينما تُذْبل العواصفُ زهر الـ
ـلوز والبرتقال والياسمـــين

حينما تدفنُ الثلوجُ حقولَ الـ
قمح والرزّ تحت سوط الرياحِ
وجياع في ظلمة الكوخ لم تَدْ
رِ بأحزانهم عيونُ الصباحِ

ليس يدري القمريُّ لا ليس يدري
ما وراء الأكواخ من حرمانِ
يا دياراً سكّانُهـــا الجوع والحمّ
ـى خواءٌ من الندى والحنانِ

أيّهــا الصادحُ المغنّي على قمّـ
ـةِ هـذا الدوح النديّ البليل
دعْ أساهُ يا طيرُ لي، لمسيري
في لياليهِ، إنّ قلبي دليـــلي

ضاع في هذه القُـرَى حلميَ المض
ـفور بالضوء والندَى والبروده
عطش اللحنُ في شفاهي إلى الريّ
إلى جنّـة الرؤى المفقـــوده

حملتني الأوهامُ أوهاميَ العطـ
شى بعيداً ولم أجد لي أرتواءَ
سقط الريشُ عن جَناح خيالي
وفقدتُ الرؤى فقدتُ الضياءَ

يا سفيني أرحلي،دعي شاطىء القر
ية إنّ المرْسى ضنين بعيدُ
وغصونُ الصفصاف عارية السيـ
ـقانِ والليل في الحقول أبيدُ

أقلعي أقلعي بنا قد سئمنا
صرَخات الجياع في كلّ شعْبِ
قد رأينا الدموعَ في كل جفن
ولمسنا العويلَ في كلّ قلب

ووداعاً يا رَيفُ جئناك مملو
ئين رؤيا فلم تَطُلْ رؤيانا
إنّ في الأُفْق لمحةً من ديارٍ
هي أحنى على جراح مُنانا

– انشودة الرياح –

– ٥ –

حُلُمٌ وانطوى في الفضاء المديدْ
كلَّمــا أخفقت في رجاء فريد
شيَّدت في الذُرَى حُلْمَها من جديدْ
لا تبـــالي اللظى لا تبالي الجليدُ

* * *

خيَّبتها القُـرَى ودجاها الحزينْ
إنَّ في أرضها بَشَراً جــائعين
لم تجد عندهم غير دمعٍ سخينْ
ومَضَتْ في السُّرى لا تني لا تلــين

* * *

ثمّ أرستْ هنا عند أهل اللحونْ
شعــراءً مَشَوْا في ظلال الغصون
علَّ في نايهم بعضَ لحنٍ حنونْ
ليس فيه أسىً ليس فيه مَنُونْ

* * *

حدّقي ها هنـا يا فتاة القصيدْ
إنّ في كونهم رَجْعَ لحنٍ سعيد
انظري تامسي في الظلام المديد
نشوةً علّقت قلبَ هذا النشيدْ

انّه شاطىء القصائد والألـ
ـحانِ يمتدّ غامضَ الكثبانِ
في حناياه كلُّ ذرّةِ رملٍ
رعشةٌ وانبثاقةٌ وأغانِ

علّنا واجدون فيه الرحيقَ الـ
ـمُشْتَهَى عــل في ثناياهُ نجما
نحــن سرنا مرنّحين من الجهـ
ـدِ وكان المسيرُ صَلْداً أصمّـا

في ضباب الآفاق نسأل ماذا ؟
أَسَرَابٌ مـا حولنا أَم تلالُ
عبثاً نلمس المدى فالمدى مُسـ
ـتغلقُ السرِّ مبهم لا يُنالُ

وتجلّى الدجى ولاح لنـا فجـ
ـرٌ طريٌّ لَدْن النسيم بليلُ
مُرْهَـفُ الضوء لامَسَتْ شفتاه الـ
ـمرجَ فاستيقظتْ قُرَىً وسهولُ

انهـا رعشةُ الحيـاةِ وميـلا
دُ الأغاني المُغرَوْرقاتِ الشجيّه
انهـا العـالم الذي ظلّـلَ الشا
عرَ حتى الصخورُ فيه نديّـه

عالم كله انفعالٌ وحسٌّ
شاسع الغور لا يُمَسُّ مداهُ
واحتشادُ الشعورِ بحرٌ سحيقٌ
غاصَ في لا نهايةٍ شاطئاهُ

عالم الشاعر الثريِّ الرؤى العَذْ
بِ الأغاني المرقرَق الألوانِ
كل نبضٍ في قلبه لحنُ حبٍّ
للمدى للوجود للإنسانِ

عالمٌ صيغ من شعورٍ رهيفٍ
وأحاسيسَ طَلْقةٍ لا تنامُ
والأغاريدُ منبعٌ لأساهُ
فهي في صمتِ روحِهِ آلامُ

تلك مأساته يبيت الليالي
ساهد اللحن راثياً للحيارَىْ
كلّما أنَّ في الدياجيرِ مظلو
مٌ بكى الشاعر الرهيف وثارا

أبداً يَرْقب المَدَى ويُنَاجي الـ
ليلَ روحاً وجبهـةً وشفاها
في حياةٍ يَرى الخليُّ ضُحَاها
ويعيشُ الفنّانُ تحتَ دجاها

يرقب الأشقياء أنّاتُهم تجـ
ـرح إحساسَهُ تعزُّ عليـهِ
دمعةٌ في جفونِهِ وصلاةٌ
من حنانٍ تذوبُ في شفتيهِ

يَسهرُ الليلَ يقبعُ الحارسَ المك
ـودَ في خطوه الرتيبِ الكليلِ
وَقْعُ أقدامِهِ على شاطئ الصم
ـتِ أسى الشاعرِ الحنونِ النبيلِ

أطفىء الضوء أيّها الشاعر المتـ
ـعبُ وارحم فؤادك الموجوعا
كاد يخبو ضوءُ السراج وتأتي
ظُلُماتُ الدُجى عليهِ جميعا

أنا قد جئتُ كونَكَ العابقَ الضو
ئيَّ بحثاً عن حلميَ المفقودِ
علَّ في كأسِكَ الرحيقيةِ الو
هَىٰ شُعاعاً من الضياءِ البرودِ

قلتُ ، دنياهُ فرحهُ وضياءٌ
وعطاءٌ خِصْبٌ وروحٌ ولونُ
وصلاةٌ سحرّيةُ الرجع ينثا
لُ عليها عطرٌ وضوءٌ لَدْنٌ

انه الشاعر الطليقُ الذي يَغْـ
زلُ همسَ الرياحِ لحنـاً ثرّيا
انه دفقة القصائد والأنـ
غامِ ما زال روُحهُ ضوئيا

فلماذا أراهُ كالطيف ذبـلا
نَ طوتهُ انطفاءةٌ وسكونُ
مقلتاهُ مَاوَىٰ الكآبة في أهـ
ـدابهـا يكمنُ الضياءُ الحزينُ

إنّـه كالضياءِ في طهره يُطْ
ـفئه الشرُّ والمعـاني الدنيئه
أولا تذبل الورودُ إذا مـا
لامستْها يـدُ الجفاف البطيئه

قلبُهُ للجمال كرّس نجوا
هُ وللّون والشذى والنقـاءِ
لا يطيق الأذى ويحـلم بالكو
نِ طهوراً مضوّأ الأنداءِ

هو والخير يبقيانِ صديقيـ
ـنِ محبّينِ ليسَ يفترقانِ
وهو الحبُّ لحنُهُ الأبديُّ الطـ
ـلقُ يَنْدَى من رقّةٍ وحنانِ

فإذا ما رأى الشرور وقد كبـ
لتِ الأرض ذاب روحاً وقلبا
وذوى حلمُهُ الإلهيُّ وانثا
لتْ على روحه الكآبةُ سُحبا

ويَرى الزهرَ ذابلاً بعد أن كا
نَ يُذيع الشذى ظلالاً نديّه
فيرى قصّةَ الذبولِ وتذوي
في مناه أسطورةُ الأبديّه

(١٩٦٥)

●

عاشقة الليل

اعــــبر عما تحس حيــــاتي
وارسم إحساس روحي الغريب
فابكي إذا صدمتني السنــــين
بخنجرها الأبــــدي الرهيب
واضحك ممــــا قضاه الزمان
على الهيكل الآدمي العجيب
واغضب حين يداس الشعور
ويُسخر من فوران اللهيب

نازك

وجهُكَ أخفـــاهُ ضَبَابُ السنينْ
وضمّــهُ المـــاضي إلى صـدرِهِ
ألْقَـى عليه من شبـــابي الحزينْ
أحزانَ قلبٍ تاه في ذُعْـرِهِ

وصوتُكَ الخـــافيْ خَبَا لحنُهُ
وأوحشَتْ سَمْعيَ أصـــداؤه
فلستُ أدري الآنَ ما لونُـهُ ،
مـا رجعُهُ الصافي ، وإيحـــاؤه

ولونُ عينيكَ ، وأسرارُهـــا ،

وَشعْرُكَ الداجي ، وأمواجُـهُ
غابتْ جميعـاً ، أينَ تَذْكارُها
في ليلِ قلبٍ طـال إدلاجُـهُ ؟

كم ، في سكونِ الليلِ ، تحتَ الظلامْ
رَجَعْتُ للمـاضي وأيَّـامِهِ
أبحثُ عن حبّيَ بـين الرُّكامْ
فـلم تَصِدْني غيرُ آلامِـهِ

لم يَبْقَ شيءٌ غير حُزْني المريرْ
بقيَّـةً من حبّيَ الذاهـبِ
وذكرياتٍ من صِبـايَ الغريرْ
ساخرةٍ من وجهـيَ الشاحبِ

وأصبحتْ ذكراكَ وهْمـاً يلوحْ
يشتاقُـهُ قلبي الكئيبُ الغريرْ

يا جَسداً ، كالقبر ، ما فيه روحْ
سمَّيتُهُ قلبــاً ، فيا لَلْغُرور !

وأيُّ قلبٍ جامـــدٍ بـــاردِ
أيُّ حيــاةٍ تحتَ ظلِّ الخُمودْ
لولا صُراخُ الزَّمَن الحـــاقـدِ
لضِقْتُ بالعيش وعِفْتُ الوجودْ

لم يَعُدِ الحُبُّ أسىً مُحْرقـــا
يُشْعِـــلُ أيَّامي بأحزانِــهِ
ولم يَعُـــدْ جَفْنيَ مُغْرورقا
يُحْرِقُـــه الدمْعُ بنيرانِــهِ

لم يَبْقَ إلا ثورةٌ واحتقـــارْ
مـــلءُ حياتي المُرَّةِ الحالمــه
ألنـــارُ ذابتْ وتبقّى الشْرارْ

تشربُـــهُ أحلاميَ الواهمـــه

وطيفُكَ الخـــابي هَوَى نجمُـهُ
وغابَ في الماضي الرّهيب الأبيدْ
ووجهُكَ القـاسي ذَوَى رسمُـه
في مُقْلـتي فهو خيالٌ بعيـــدْ

مَضَى زمانٌ كنتُ فيه الّتي
تفتنُهـــا أنغامُكَ الصافيـــه
وروحُ أشعـــاركَ في وحْـــدتي
وحـــيي الإلهيُّ وأشعاريَـــه

مَضَى وأبقى لي فـــؤاداً يرَى
فيكَ جماداً من ترابٍ وطـــينْ
أسكنتُـهُ يوماً أعـــالي الذُّرَى
وأرجعَتْـهُ للحضيضِ السنـــينْ

لم يَبْقَ منكَ الآنَ شيءٌ جميلْ
غـــير اسمِكَ العذْبِ وأصدائه
ذكرىً لقلبٍ كان يوماً نبيلْ
فبـــات في حَمْـــأةِ أهوائـــه

ملامحُ الهيكلِ عنـــدي امّحتْ
ألوجهُ ، والبَسْمةُ ، والمُقْلتانْ
لم يَبْقَ الا اسمٌ ، وروحٌ خَوَتْ
وذكرياتٌ قد مَحَاها الزمانْ

مَددْت كفّيَّ إلى جوّهـــا
باحثةً عـــن سِحْرها السابقِ
فلم أجدْ ثَمَّ سوى شِلْوهـــا
يَسْخَرُ من مـــدمعيَ الدافقِ

وعـــاد قلبي للأسى والعــذابْ

مُستوحشاً حتّى من الذّكرياتْ
من يُرْجِعُ الماضي إذا ما الضَّبابْ
ألْقى دُجاهُ فوقَ ليلِ الحياةْ ؟

ومــا مَحاهُ الزَّمنُ القــادرُ
أيُّ يدٍ تكتُبُهُ من جديدْ ؟
فــيمَ إذنْ يلتفتُ الشاعرُ
إلى دُجى الماضي الرهيبِ الأبيدْ ؟

٢٠ - ٨ - ١٩٤٦

ذكرى مولدي

مهداة الى « كاملة » صديقة طفولتي التي لم أعد أعرف عنها إلا اسمها .

جئتِ يا ذكرياتُ شاحبـــةَ الوجـ
ـهِ حَيَـــارَى في موكب الأيّامِ
جئتِني والشبـــابُ باكٍ بعينيَّ
وحولي جنـــازةُ الأحـــلامِ
رَغَبـاتي دفنتُها في ثَرَى المـــا
ضي وقلبي ما عـادَ غـيرَ حُطَامِ
ودموعي رمزٌ لمـــا لقيتْهُ الر
وحُ في غَيْهبِ الوجودِ الدامي

* * *

جئتِ يا ذكرياتُ مــا أفظعَ الذكـ
ـرى وما أروعَ الرجاءَ الفقيــدا
ليتَ قلبي قد كانَ صخْراً أصمّا
كلَّ يوم يبــني رجاءً جــديدا
ليتَـهُ كان جامــدَ الحسِّ كالطيـ
ـنِ يعيشُ الحياةَ جَذْلاً سعيدا
ليتَــــهُ لم يكنْ ويا ليتني أعـ
ـتاضُ عنه حجارةً أو حديــدا

* * *

وٱلتقينـا مــع الصباحِ فيا خَيْـ
ـبةَ أيُّ التقاءٍ مريرِ
وجهُكِ الشاحبُ المروِّعُ يبـكيـ
ـني ويُحْيي ذكرى صِبايَ الغريرِ
وبعينيكِ قطرةٌ من دمــوعي
وعلى فيكِ آهــةٌ من زفــيري

أسفاً قد حفظت أحزان قلبي
وتجاهلت نشوتي وحبوري

* * *

شهد الفجر كيف يا ذكرياتي
كان هذا اللقاء أشجى لقاء
عانقتني أشباحك الباكيات الـ
خرس باليأس والشجا والبكاء
ووقفنا تحت الصباح تماثيـ
ـل حيارى كأنفس الشعراء
وانحنت فوقنا الشجيرات حزناً
تتباكى بأدمع خرساء

* * *

أسفاً ضاعت الطفولة في المـا
ضي وغابت أفراحها عن جفوني

وهي لو تعلمينَ أجمـــلُ ما يمـ
لكُ قلبي ومـــا رأتْـهُ عيوني
حينما كنتُ طفـــلةً أجهلُ السرَّ
وأحيا في غفـــلةٍ من شجوني
كالعصافيرِ أمـــلأُ الدارَ لهواً
وغنـــاءً وأستحبُّ جُنـــوني

* * *

ماتَ أمسي الضحوكُ واعتَـضْـتُ عنه
بشبابٍ مُرٍّ ودمـــعٍ ويـــأسِ
وَخبَـتْ ذكرياتُـهُ البيضُ في بحـ
ـرِ شعوري وليـــلِ قلبي ونفسي
أين تلك الوجوهُ؟ كيف نَسِيتُ الآ
نَ؟ من ذا يُعيدُ لي فجر أمسي؟
كلُّ وجهٍ عفّاهُ مَرُّ الليـــالي
فهو طيفٌ وراءَ وعيي وحسّي

* * *

أعبُرُ العُمْرَ كلَّهُ نحو أمسي

ويعودُ الشعورُ بي للتلالِ

مجلسي فوق تلّيَ الحُلْوِ وحدي

أو شُرودي بين الشَّذَى والظِلالِ

ومعي الطفلةُ الصديقةُ نبني

فوقَ وجهِ الرِّمالِ عرْشَ الخيالِ

عُمْرُنا قصّةٌ ولحنٌ نغنّيـ

ـهِ وقلبانِ في نَقاءِ الرِّمالِ

* * *

أين أصبحتِ يا رفيقةَ أمسي ؟

ما الذي قد شَهِدتِ فوقَ الوجودِ؟

أترى تذكرينَ مثلِيَ أيّا

مَ صِبانا وحُلْمَنا المفقودا ؟

أم ترى قد نَسِيتني ونَسِيتِ الأ
مسَ في فَرْحةِ الشّبابِ الرّغيد
أبداً لَسْتُ لستُ أنسى وإن كنـ
تِ تهاوَيت في الزّمانِ البعيـ

* * *

أترى أبصرتْ عيونُكِ في الأر
ضِ كما أبصرتْ عيوني شَقاها
أرأيتِ الأحزان في كلّ قلبٍ
ورأيتِ النفوسَ في بلواهـا
أسمعتِ الصُراخَ يُرْسلُهُ الأحـ
ياءُ والأرضُ أغرقتْها دماها
حدّثيني صديقةَ الأمسِ هـاتي
عن لياليكِ بِشْرَها وأساهـ

* * *

ربّما كنتِ يا رفيقـــةُ مثلي
زورقاً في البحار عادَ حُطاما

الرّفيقاتُ غِبـْنَ عنكِ وآثـ
ـرنَ عليكِ الشرورَ والآثاما

فكتمتِ الشعورَ في قلبكِ الصـّا
في وصُنـْتِ الأحزانَ والآلاما

وقضَيـْتِ الحياةَ في الوحدةِ الخر
ساءِ تَستلهمينها الأحلامــا ؟

* * *

أنصتي من مكانكِ الغامضِ المجـ
ـهولِ أصغي الى نشيدي الصافي

أوَتدرين مـا الذي صَنـَعَتـْهُ
سَنواتُ العُمـْرِ الرهيبِ الخافي؟

إنّـــه يومُ مولدي ، يومُ أحزا
ني وذكرى الرُسُوِّ عندَ الضفافِ
حيـــنما أوقفتْ سفينتيَ الأقـ
دارُ بين الأمواجِ ، تحت السَّوافي

* * *

إنَّـــه يومُ مولدي أين أفرا
حُ شبابي أعيدُهـــا للسِّنينا
كيف مرَّ العامُ الحزينُ بقلبي الـ
جَـهْمِ ؟ أينَ الثلاثُ والعشرونا؟
كيفَ مرّتْ هذي السنينُ ولم أدْ
رِ ؟ ومالي ذوّبتُ عمري أنينا ؟
لم أَنَـــلْ من ظلامه المرِّ إلاَّ
أملاً ذاهباً وروحاً حزينـــا

* * *

إنّـه يومُ مولدي ولقـــد مَرَّ
بعُمْـري الداجي كظلٍّ شقيِّ

عشتُـهُ في قصائدي ودموعي
بين جُدْران معبدي الشاعريِّ

لا فؤادٌ معي يُشاركُـني حُزْ
ني ويبكي على شبابي الدجيِّ

لا رفيقٌ في غُرْبتي ووجومي
غيرَ قلبي الشجيْ ودَمعي النقيِّ

٢٣ - ٨ - ١٩٤٦

الحياة المحترقة

« كتبت الشاعرة هذه القصيدة
عندما ألقت بمذكراتها الى النار».

هـــذه يا نارُ أفراحي وشوقي وشجـــوني
جئتُ أُلْـقيها إلى فكـّيكِ في فجري الحزينِ
كلُّ مـا مرَّ بقلـبي من شَقـاءٍ وحنـــين
إلْـقَـفيه الآنَ لا تُبـْقي ولا تَسْـتَـمهليني

هـــذه الأسطـُرُ قد ضمّتْ بقـــايا سَنواتي
منذُ أن ألقتْ بيَ الأقدارُ في تيهِ الحيـــاةِ

طفلةً ترنو الى الشاطىء عَبْرَ النَظَراتِ
وتَرَى العالمَ بحراً مُغرَقاً في الظُلُماتِ

سَنَواتي كلُّها يا نارُ في هذي السُّطورِ
وأغاريدي ، وأشواقُ حياتي ، وحُبوري
وبقايا من حنيني ، وشظايا من شُعوري
وأباديدُ من الأحلامِ والحُزْنِ المريرِ

إنّها أيّتُها النارُ ، أزاهيرُ شبابي
صُغْتُها ذكرىً لأحزاني ، ورمزاً لعذابي
ومحا أسطُرَها دمعي وأبلاها اكتآبي
فخُذيها ، وأعيديها رُكاماً من ترابِ

أَحْرِقيها ، لم أَعُدْ أعبأ ، لن أَبْكيْ شَذاها
إنّها ، يا نارُ ، ذكرىً لليالٍ لن أراها

دَفن الماضي خفاياها الحَوالي ومَحاها
وطوتها لُجّةُ النسيانِ في عُمْقِ دُجاها

ذهبتْ تلك الليالي وطوى الدهرُ صبايا
أيُّ نفعٍ بعدُ يا نارُ لدمْعي وأسايا ؟
أيُّ معنىً لادّكاراتي وشوقي ومُنايا ؟
لن يعودَ الأمسُ ، لن تلقَى سَناهُ مُقلتايا

أيّها الحاضرُ لا تُسرعْ إلى الماضي البعيدِ
ولْتَقِفْ مركَبَةُ الشمسِ على الأفْقِ المديدِ
ليكُنْ بعدُ صِبانا تحت أفياءِ الخُلُودِ
آهِ ولْيَمحِ لفظُ الأمس ، من سِفْرِ الوجودِ

أو أبِدْ ما تركَ الماضي من الأحزانِ فينا
وامسحِ الذكرى ولا تُبقِ لنا الشوقَ الدفينا

حسبُنا الحـــاضرُ آلاماً ودمعاً وشُجُونا
رحمةً فلْتَمْسَحِ الماضي وآثارَ السِنينـــا

فيمَ تبقى ذكرياتي حيَّةً بعدي وأُنْسَى ؟
كلَّ يومٍ أُسْرعُ الخَطْو عن العـــالم ياسا
وهي ما زالتْ شباباً ناضراً ، جِسْماً وَنفْساً
آهِ ما أعنفَ أحقادي على الذكرى ، وأقْسَى !

أَيُّها النارُ الْهَبي في المَوقِدِ الذاوي الرهيبِ
وخذي من فتنةِ الذكرى غـــذاءً للَّهيبِ
إثاري منهـــا ، أَعيديها رَماداً ، وأَذيبي
ودعيني مرّةً أضحكُ من قلـــبي الكئيبِ

٧ - ٦ - ١٩٤٦

في وادي العبيد

ضـــاع عُمْـري في دياجيرِ الحياة
وَخبَـتْ أحلامُ قلـــبي المُغْـرَقِ
ها أنا وحـــدي على شطّ المماتِ
والأعاصيرُ تُنـــادي زورقي
ليس في عينيّ غـــيرُ العَبَراتِ
والظـــلالُ السودُ تحمي مفرقي
ليس في سَمْعيَ غيرُ الصَـرَخاتِ
أسفاً للعُـمْـرِ ، ماذا قد بَقِـي ؟

سَنَـواتُ العُـمْـر مرّت بي سِراعا
وتوارتْ في دُجَـى المـــاضي البعيدْ

وتبقّيْتُ على البحْر شِراعــا
مُغرَقاً في الدمْع والحزنِ المُبيدْ
وحدتي تقتلُني والعُمْرُ ضاعــا
والأسَى لم يُبْقِ لي حُلماً جديدْ
وظلامُ العيْش لم يُبْقِ شُعَاعا
والشَّبابُ الغَضُّ يَذْوي ويَبِيدْ

أيُّ مــأساةٍ حيــاتي وصِبايا
أيّ نارٍ خلفَ صمْتي وشَكاتي
كتمتْ روحي وباحتْ مُقْلتايا
ليتهــا ضنّتْ بأسرار حيــاتي
ولمن أشكو عــذابي وأسَايا ؟
ولمن أُرْسلُ هذي الأغنياتِ ؟
وحواليَّ عبيــدٌ وضحايــا

ووجودٌ مُغْرَقٌ في الظُلُماتِ

أيُّ معنىً لطُموحي ورجائي
شَهِدَ الموتُ بضَعْفي البَشريِّ
ليس في الأرض لُحزْني من عزاءِ
فاحتدامُ الشرِّ طبْعُ الآدميِّ
مُثُلي العُلْيا وحُلْمي وسَمائي
كلُّها أوهامُ قلبٍ شاعريِّ
هكذا قالوا ... فما مَعْنى بَقائي ؟
رحمةَ الأقدارِ بالقلب الشقيِّ

لا أُريدُ العيشَ في وادي العبيدِ
بين أَمواتٍ ... وإن لم يَدْفَنوا ...
جُثَثٌ ترسَفُ في أسْرِ القُيودِ
وتماثيلُ اجتوتْها الأَعْيُنُ
آدميّونَ ولكنْ كالقُرودِ

وضِبَاعٌ شَرِسَةٌ لا تُؤمَنُ
أبداً أسْمِعُهم عذْبَ نشيدي
وهُمُ نومٌ عميقٌ مُحْزِنُ

قلبيَ الحُرُّ الذي لم يَفهَموهُ
سوف يلْقَى في أغانيه العَزَاءَ
لا يَظُنّوا أنَّهم قد سحقوهُ
فهو ما زالَ جَمالاً ونَقاءَ
سوف تمضي في التسابيح سِنوهُ
وهمُ في الشرِّ فجراً ومساءَ
في حَضيضٍ من أذاهمْ ألفوهُ
مُظلمٍ لا حُسْنَ فيه ، لا ضياءَ

* * *

٥

إن أكنْ عاشقةَ الليلِ فكأسي
مُشرِقٌ بالضوءِ والحُبِّ الوَريقِ

وجمالُ الليلِ قد طهّرَ نفسي
بالدُّجى والهمس والصمْتِ العميقِ
أبداً يملأ أوهامي وحسّي
بمعاني الرّوحِ والشِعْرِ الرقيقِ
فدعوا لي ليلَ أحلامي ويأسي
ولكم أنتم تباشيرُ الشُروقِ

٨/٨/١٩٤٦

ثورة على الشمس

هدية إلى المتمردين

وَقَفَتْ أمام الشمس صارخةً بهـــا
يا شمسُ ، مثلُكِ قلبيَ المتمرِّدُ
قلبي الذي جرَفَ الحياةَ شبابُـــهُ
وَسقَى النجومَ ضيــاؤه المتجدِّدُ
مهلاً ، ولا يخدعْكِ حزْنٌ حائرٌ
في مقلتيَّ ، ودمعـــةٌ تتنهّدُ
فالحزنُ صورةُ ثورتي وتمرُّدي
تحت الليــالي ؛ والألوهةُ تَشْهدُ

مَهْلاً ولا يخدَعْكِ حزنُ ملامحي
وشُحوبُ لوني وارتعاشُ عواطفي
واذا لمحتِ على جبيني حَيْرتي
وسُطُورَ حزني الشاعريِّ الجارفِ
فهو الشعورُ يُثيرُ في نفسي الأَسى
والدمْعَ في هول الحياةِ العاصفِ
وهي النبوَّةُ لم تطِرْ فتمرّدَتْ
بالحُزْنِ ، في وجهِ الحياةِ الكاسفِ

شَفَتايَ مُطْبَقتان فوق أساهما
عينـــايَ ظامئتانِ للأنــداءِ
تَرَكَ المساءُ على جبيني ظلَّهُ
وقضى الصباحُ على جديدِ رجائي
فأتيتُ أسكُبُ في الطبيعة حَيْرَتي

بين الشَّذَى والوردِ والأفيـــاء
فسَخِرْتِ من حُزني العميقِ وأدمُعي
وَضحِكْتِ فوق مرارتي وَشقَائي

يا شمسُ حتى أنتِ ؟ يا لَكَآبتي !
أنتِ التي ترنو لهـــا أحلامي
أنتِ التي غنّى شَبَابي بِاسمها
وَشدَا بفَيضِ ضيائهـــا البسَّامِ
أنتِ التي قدّستُها وتَخِذْتُهـــا
صَنَماً ألوذُ بـــه من الآلامِ
يا خيبةَ الأحلامِ ، ما أبقَيْتِ لي
الا ظـــلالَ كآبتي وظـــلامي

ساحطِّمُ الصَنَمَ الذي شيّدْتُهُ
لك من هَوَايَ لكلِّ ضوءٍ ساطعِ

وأُديرُ عيني عــــن سَناكِ مُشيحةً
ما أنتِ الاّ طيفُ ضوءٍ خادعِ
وأصوغُ من أحلامِ قلبي جَنّـــةً
تُغْني حيــــاتي عن سَناكِ اللّامعِ
نحنُ ، الخياليّينَ ، في أرواحنا
سرُّ الألوهــــةِ والخلودِ الضائعِ

لا تَنْثُري الأضواءَ فوق خميلتي
ان تُشرقي ، فلغيرِ قلبي الشاعرِ
ما عاد ضوؤكِ يستثيرُ خوالجي
حَسْبي نجومُ الليلِ تُلْهِمُ خاطري
هنّ الصديقاتُ السواهرُ في الدُجى
يفهمن روحي وانفجارَ مشاعري
ويُرِقْن في جَفْني خُيوطَ أشعّةٍ
فِضيّـــةٍ ، تحتَ المساءِ الساحر

أَلليلُ أَلحـــانُ الحياة وشِعْرُها
ومَطَافُ آلهـــةِ الجمالِ المُلْهِمِ
تهفو عليه النفسُ غـير حبيسةٍ
وتحلّق الأرواحُ فوقَ الأنْجُـــمِ
كم سِرْتُ تحتَ ظلامه ونجومِهِ
فنسِيتُ أحزانَ الوجودِ المُظْلِمِ
وعلى فمي نَغَـــمٌ إلهيٌّ الصَدَى
تُلْقيهِ قـــافلةُ النجومِ على فمي

كم رُحتُ أرقبُ كلَّ نجمٍ عابرٍ
وأصوغُ في غَسَق الظلامِ ملاحني
أو أرقبُ القَمرَ المودِّعَ في الدُجى
وأهيمُ في وادي الخيـــالِ الفاتنِ
ألصمتُ يبعَثُ في فؤادي رعشةً
تحت المساء المُـــدْلهمِّ الساكنِ

والضوءُ يرقُصُ في جفوني راسماً
في عُمْقها أحـــلامَ قلبٍ آمنِ

يا شمسُ ، اما أنتِ .. ماذا ؟ ما الذي
تلقاهُ فيكِ عواطفي وخواطري ؟
لا تَعْجَبي أن كنتُ عاشقةَ الدُجى
يا ربَّـــةَ اللّهَبِ المذيبِ الصاهر
يا من تُمَزِّقُ كلَّ حُلْمٍ مُشْرقٍ
للحالمـــينَ وكلَّ طيفٍ ساحرِ
يا من تُهدِّمُ مــــا يشيّدُهُ الدُجى
والصمْتُ في أعماق قلب الشاعرِ

أضواؤكِ المتراقصـــاتُ جميعُها
يا شمسُ أضعفُ من لهيب تمرّدي
وجنونُ نارِكِ لن يمزّقَ نغمتي

ما دام قيثاري المغرِّدُ في يدي
فإذا غَمَرْتِ الأرضَ فَلْتَتَذكَّري
أَني سأخلي من ضيائكِ مَعْبدي
وسأدفِنُ المــــاضيْ الذي جَلَّلتِهِ
ليخيِّمَ الليلُ الجميلُ على غَدِي

٨ - ٧ - ١٩٤٦

بين فكّي الموت

« كانت الشاعرة مصابة بحمى شديدة
فنظمت هذه القصيدة الحزينة تودع
الحيـــاة وتستقبل العـالم المظـلم »

يا مساءَ الصَّيفِ الحزينِ خَبَا حُبِّـ
ـي لما فيكَ من أسىً وخُشوعِ
وتبرَّمتُ بالسكون وبالأشـ
ـباحِ واعتَضْتُ عنهما بدموعي
لم يَعُدْ في قلبي هوىً لدَيَاجيـ
ـركَ فيا رحمةً بقلبي الوجيعِ

رحمةً يا ظلامُ يا صَمْتُ يا أسـ
ـرارُ بالخافقِ الشقيِّ المَرُوعِ

* * *

ها أنا تحتَ دُجْيةِ الليلِ روحٌ
مُسْتطارٌ في هيكلٍ موهونِ
صَرَخاتُ الُحمَّى تحطِّمُ أحلا
مي وأحلامَ قلبيَ المحزونِ
يا عيونَ النجومِ لا ترمُقيني
لم يَعُدْ في سَناكِ أيُّ فتونِ
وأمدُدي يا رياحُ كفَّيْكِ لُطْفاً
وحناناً على فمي وجَبيني

* * *

ها أنا بين فكي الموتِ قلباً
لم يَزَلْ راعشاً بحُبٍّ الحياةِ
وعيوناً ظمأى إلى مُتَعِ الكو
نِ تُنَاجي مفـاتنَ الأُمْسياتِ
لم أَزَلْ بُرْعماً على غُصُنِ الدهـ
ـرِ جديدَ الأحلامِ والأمنياتِ
فحرامٌ أن تَدْفِنَ الآنَ يا مو
تُ شبابي في عـــالم الأمواتِ

* * *

ها أنا عندَ هُوَّة الزَّمن المُظْـ
ـلمِ بـين الأمواتِ والأحيـاءِ
مِنْ ورائي صِباي بين الأناشيـ
ـدِ ولهـــو الطُفُولةِ الحسناءِ

وأمـــامي وادي المنايا قبورٌ
في ظلالِ المنيّـــةِ الخرساءِ
أُفقٌ راعبٌ رهيبُ المعاني
ضمَّ أرجاءَهُ الدُجى اللانهائي

* * *

أيُّها الموتُ وقفةً قبلَ أنْ تُغْـ
ـري بجسْمي سكونَكَ الأبديّا
آهِ دَعْني أملأْ عيوني من الأنـ
ـوارِ وأرحمْ فؤاديَ الشاعريّا
آهِ دَعْني أودّعِ العودَ يا مو
تُ فقد كانَ لي الصديقَ الوفيّا
وأرنّمْ لحنَ الوَدَاعِ لدنيـــا
يَ لأمضيْ للموتِ قلباً شقيّا

* * *

رحمةً بي ، يا أيّها الموتُ ، وارفق
بفؤادٍ نالتْ هَـوَاهُ الحياةُ
أعفِني الآنَ من مفارقـة الدنـ
ـيا ودَعْني إلى غدٍ يا مَماتُ
لا أُحبُّ الظلامَ فليَكُ موتي
في غدٍ حينَ تغرُبُ الظُلُماتُ
حينما تضحكُ الطبيعةُ في الوا
دي الأغنِّ الحالي وتشدو الرُّعاةُ

* * *

يا سكونَ الليلِ العميقِ وَدَاعاً
إنّهـا يا سكونُ آخِرُ ليله
لم يَعُدْ في الجسْمِ الوَهُونِ سوى بُقْـ
ـيا حيـاةٍ ونَسْمةٍ مُضْمحلّه

لم يَعُدْ في السِّراج إلاّ وميضٌ
شاحبٌ مدَّ حولَهُ الموتُ ظِلَّهْ
وأنتهَى يا ظلامُ تحتَكَ تَجْوا
لي وشِعْري وأُغْنياتي المُمِلّه

* * *

وستمحو الأيّامُ ذكْرَ فتــاةٍ
شَغَفَتْها إلٰهةُ الشعرِ حُبّــا
فقَضَتْ أمْسياتِها تتبعُ الأطـ
ـيافَ والعاصفاتِ شَرْقاً وغربا
يا جَناحَ الخيالِ لم يَبْقَ ريشٌ
يا ظلامَ الفَناءِ لم تُبْقِ قَلْبا
ليسَ إلاّ جسْمٌ تُضَعْضِعُهُ الحمـ
ـى وطرفٌ يطْوي الدّياجيرَ رُعْبا

* * *

أيّها الليلُ ، أيّها العالمُ الغا
مضُ قد أُسدلَ الستارُ المخيفُ
فارحمِ الآنَ تحتَ دُجيتك السّو
داءِ قلباً غامتْ عليه الحُتوفُ
لَهْفتا يا ظلامُ لن يَطْلعَ الفجـ
ـرُ ولن يبسمَ الفؤادُ اللهيفُ
لهفتا يا ظلامُ لهفـــةَ روحٍ
لم يُمَتَّعْ شبابُـــهُ المشغوفُ

* * *

يا فؤاديْ الشَريدَ ودِّعْ أمانيـ
ـكَ فلن نلمحَ الصباحَ الجميلا
أنتَ يا من قضَيْتَ عُمْرَكَ مفتو
ناً تُنَاجي الرُّبى وتشدو الحقولا

وٱسترحْ أيُّها الخفوقُ كَفَى حُزْ
نــاً كفانا تضرُّعاً وذُهولا
لا يَرُعْكَ الرَّدىْ وَحسْبُكَ أنْ تُدْ
ركَ يا قلبُ سرَّهُ المجهـــولا

* * *

فيمَ تبكي على مُفارقةِ الدُّنْـ
ـيا وقد عِشْتَ في حماها غريبا ؟
إنّهـا أيُّهـــا المعـذَّبُ مأسا
ةٌ تُثيرُ الأسىْ وتُبكي القلوبا
تخدعُ الجاهلينَ أوهامُها السو
دُ ولا تخـدعُ الذكيَّ الأريبـا

فاحتقرها وسِرْ إلى عالم الأمـ
ـواتِ يا قلبيَ الرقيقَ طَرُوبا

* * *

يا عيونَ النجومِ يا ورَقَ الصَّفْـ
ـصافِ يا فتنةَ السكون وَدَاعا !

لن أغنّيكِ بعـــد ليليَ هذا
آنَ أن ينشُرَ الزّمانُ الشّراعا

عبثاً يا حيـــاةُ دفعيَ للمو
جِ فلن أستطيعَ بعدُ دفاعا

وغداً سوف يطمُرُ اللُجُّ أشلا
ئي وتمضي بها الرِّياحُ سِراعا

* * *

يا بحارَ الفناء في العالمِ المجـ
ـهولِ رِفْقاً بزورقي المكدودِ

واحشدي حولَهُ عرائسَكِ الحو
رَ لعلّي أسلو جمالَ الوجودِ

فأنا يا بحـــارُ شاعرةُ الأحـ
ـلامِ ضمَّخْتُ بالفتونِ نشيدي

وتغنّيـتُ بالحيـــاةِ ولكنْ
لم تَـــبَرَّ الحياةُ لِيْ بالوعودِ

* * *

أيُّها الليلُ آنَ أنْ يُطْفِىءَ المو
تُ شعاعَ الطُموحِ في مقلتيَّا

لن تنالَ الآهاتُ من خافقِ المو
تِ ولن تُصْغيَ الحيـاةُ إليّا

فوَدَاعاً من قلبِ عاشقة الليـ

ـلِ وَدَاعاً وأنتَ يا موتُ هَيّا

هكذا تذُبـــلُ الحياةُ ويخبو

لحـنُ أحزانِهـــا على شفتيّا

١٥ - ٦ - ١٩٤٥

السّفر

أنا وحدي فوق صَدْرِ البحر يا زورقُ فارجعْ
عبثاً أنتظرُ الآنَ فنجمي ليس يطلـــعْ
هبّتِ الرّيحُ على البحر الجُنونيِّ المُرَوَّعْ
فلْتَعُـدْ للشاطىء الساجي بقلبي المُتَضَرِّعْ

عُدْ الى الشاطىء ، عدْ ما عاد يحلو لي البقاءْ
ذهبَ البحرُ بأصحابي الى حيثُ الضيـاءْ
أنا وحدي ، أيهـا الملاّحُ ، حُزْنٌ وبُكَاءْ
يَرْجِعُ الزورقُ بي وحدي إذا جاءَ المَسَاءْ

ذهبوا للشاطىءِ المسحورِ إذ عُدتُ لوحدي
ذهبوا إلا أنا ، عُــدتُ باحزاني وسُهْدي
لم أُصبْ في رحلتي إلاَّ صَباباتِي وجُهْدي
فليكنْ ، يا بحر ، هذا ، بالمُنى ، آخرَ عهدي

كيف يا بحرُ توارى الركْبُ خلفَ الجُزُرِ ؟
كيف يَذْوي في فؤادي الصّبُّ حُلْمُ السَّفرِ ؟
عزَّ يا بحْرُ على موجِــكَ بُرْءُ الصَدَرِ
فلأعدْ ، لا رحمــةَ الآنَ بقلب القَدَرِ

فلأعدْ للساحلِ المظْـلم قلباً مُسْتَطاراً
أدْفِنُ الحُلْمَ وأحْيي زهرةً وسْطَ الصَّحَارى
أبداً أروي أناشيدي بأحـزان الحَيارى
أبداً أحْلمُ بالفَجْرِ فلا ألْقَى النَّهارا

أيُّها الزّوْرَقُ عُدْ بي ، لم يَعُدْ ثَمّةَ حُلْمُ
قد مَضى الرّكْبُ ولن يُشرقَ في أُفْقيَ نَجْمُ
ما الذي أرجو ومن حولي المَساءُ المُدلهمُّ
والأعاصيرُ ، وأشباحُ الدّيَاجي ، والخِضَمُّ ؟

أيُّها الشّاطئُ ، يا مَنْبَعَ أحلامي ، وداعا
سئمَ المِجدافُ في كفّيَّ دَفْعاً وصِراعا
كيف ألقاكَ وقد مزّقتِ الريحُ الشِّراعا
ورجائي فيكَ بينَ المَوْجِ يا شاطئُ ضاعا

فلأُعدْ ، لا سَفَرَ اليومَ الى الأُفقِ الجميلِ
لن أرى الشاطئَ ، لن أَحلُمَ في ظلِّ النخيلِ
وغداً رحلتيَ الكبرى إلى وادي الأفولِ
آهِ فلأرحلْ اليه ، فلقد حان رحيلي

فوَدَاعاً أيّها الركبُ ودَاعـــاً يا حياة

آنَ أنْ يُطْفىءَ أفراحي وأحزاني المماتْ

آنَ أن تهجُرَ قيثـــاري وعودي النَغَماتُ

فسلامٌ أيُّهـــا الموتُ ، سلامٌ يا رُفَاتُ

١٩٤٥ - ٧ - ٣٠

مرثية غريق

أيّها النَهْرُ لقد جـاء المساءُ
ومَشى الصمْتُ على الموجِ الوديـعْ
وخبا في الأُفقِ الحـالي الضياءُ
وتَلاشى وقْعُ أقـدامِ القطيـعْ

سكن الكونُ سوى المَوْجِ المُدَوّي
بأساطيرِ العُصورِ الخاليـاتْ
لم يَزَلْ يشكو المقاديرَ ويَرْوي
أبداً للكـونِ أسرارَ الحيـاةْ

إيهِ يا ضِفةُ ما ذاكَ الخيالُ ؟
فوقَ صدْرِ الموجِ ، تحت الظُلماتِ
أإلهٌ قد تصبَّاه الجمالُ ؟
أم غريقٌ عزّهُ حبْلُ النجاةِ ؟

حدّثيني ، ما أرَى خلفَ السِّياجِ ؟
شبحٌ يا ضِفّةُ في الليلِ مُريبُ
ما الذي ألمحُ في عمقِ الدياجي ؟
تُراهُ ذلكَ الشيءُ الغريبُ ؟

هيكلٌ يخطو حيناً ثمّ يطفو
تائهاً تحتَ دجى الليلِ الحزينْ
بشرٌ هذا ترى ؟ أم هو طيفُ ؟
ليتَ شِعْري ، يا دياجي ، ما يكونْ ؟

آهِ يا شاعرتي ، هــذا غريق
فاحـزني للجَسَدِ البـالي المُمَزَّق
راقداً ، تحتَ الدياجي ، لا يُفيقُ
والسَّنا من حَوْلِهِ جَفْنٌ مؤرَّقْ

يا لمَيْتٍ لم يودِّعــهُ قريبُ
فهو في النَّهْرِ وحيدٌ مُتعَبُ
مـا بَكَى مَصْرَعَهُ إلاَّ غريبُ
هـو قلـبي ، ذلــكَ المكتئبُ

يا رياحَ الليلِ رِفْقـاً بالرُفـاتِ
واهدأي ، لا تُقْلقي جسْمَ الغريقِ
حسبُهُ مـا مزّقتْ أيدي الحياةِ
فليكُنْ منـكِ له قلبُ صديـقِ

ولْتكنُ ، يا نهرُ ، أمواجُكَ حضنا
يتلقّـاهُ وقلبـاً مُشْفِقـا
ولْتكنْ ، يا نجمُ ، أضواءُك عَيْنا
تسكُبُ الدمْعَ على من غَرِقـا

آهِ يا قيثارتي ، أيُّ المـآسي !
قد كرِهْتُ الليلَ أضواءً وظلاّ
أيها الصيَّادُ ، قفْ ! أَلْقِ المراسي
إنّ تحتَ الليلِ جسْماً مُضْمَحِلاّ

هوذا ، يا أيُّهـا الصيّادُ ، جسْما
خامدَ الأنفاسِ في حضْنِ الميـاهْ
وعُيونـاً مُلِئتْ رُعْبـاً وهمّا
لم يَزَلْ يملأهـا حُبُّ الحيـاهْ

أيّهـا الصيّادُ ، قفْ بالزورقِ ،
وانتَشِلْ هـذا الغريـقَ البائسا
خُـذْهُ للشاطىء وادفِنْ ما بَقِي
منـه في القَرْيةِ وارجِعْ يائسا

ما الذي تصطادُ في بحْرِ الزَمنْ
وغداً يصطادُكَ الدهْرُ العتيّ
نحن يا صيّادُ أبناءُ الشَجَنْ
حفَّ مَحْيانا الشقاءُ الأبديّ

كلَّ يومٍ بينَ أيدينا غريقُ
وغداً نحنُ جميعاً مُغْرَقونا
عالَمٌ حفَّ به الموتُ المُحيقُ
وتَباكَى في حِمَاهُ البائسونا

ضاقَ يا صيّادُ في عَيْني الوجودُ

يا لَكَوْنٍ سِرُّهُ لا يَنْجَـــلي

كلُّ ما فيهِ الى القَبْرِ يقودُ

ما الذي يَبْقَى انا من أَمَـــلِ ؟

١٠ - ٧ - ١٩٤٥

على حافة الهوّة

جئتُكِ ، يا هوّةُ ، تحتَ الدُجى
لعلّني ألْقَى لَدَيْكِ الخلاصْ
لم يبْقَ لي في الأرضِ ما يُرْتَجى
ولم يَعُدْ لى من رحيلي مَناصْ

جئتُكِ حيْرَى في ظلام الدُجى
يدفــعُ أقدامي جُنونُ الألَمْ
جئتُ وروحي فَـزَعٌ صـارخ
باسْمِ إلهِ الصمْتِ ، باسم العَدَمْ

اليكِ جسْمي ، كفّني بالشَذَى
أشلاءَهُ الغضّةَ واسْقيهِ
ألقِي عليهِ باقةً حُلْوةً
من زَهْرِ أكتوبَرَ ، ضُمّيهِ

وإن يكنْ تحتَ الدُجَى بلبلٌ
فاستحلفيهِ أن يَصوغَ الرِّثاءْ
وإن تَسَاقَى الزهْرُ عِطْرَ النَدَى
فقطرةٌ منه لجسمي ارتواءْ

الليلُ يدري ، ها أنا لم أزَلْ
بينَ جُنونينِ ، ونفسي انفجارْ
أريد ان أحْيَى ... ولكنّني
أُحِسُّ بالثورة والإحتقارْ

هيّـــا الى الموتِ ، الى صَمْتِهِ
فـيمَ أخافُ الآنَ ؟ فـيمَ الألمْ !
عمّــا قليــلٍ تنتهي قَسْوتي
على حيـــاتي ، ويضجُّ النَـدَمْ

عمّا قلـــيلٍ يتصبَّى الدُجى
قلبي ، بما في صَمْتِهِ من حيـــاةْ
عمّــا قليـــلٍ يَحْتَويني الأسى
على وَدَاعِ الحبِّ والذِكرياتْ

ها أنا في جُبْـــنيَ ، في موقفي
يخْفِقُ قلـــبي بالشَذَى باللَهبْ
تَرَدُّدي يصرُخُ بي إرجعـــي
للشِعْرِ ، للأحلامِ ، فيمَ الَهرَبْ ؟

وَخلْفَ نفسي هَمسَةٌ كالصَدَى
يكادُ يُفْنيها النِّـداءُ الجديدْ
تهتُفُ بي : هيَّا فكفُّ الرَدَى
أَحْنَى على جُرْحِ الحياةِ المُبيدْ

وبين صَوْتَيْ قلبيَ المُزْدَرِي
وروحيَ العاشِقِ ضاعَ القَرارْ
ومرّتِ الساعاتُ ثم انطوتْ
ولم أزلْ في حَيْرةٍ وانتظارْ

وعُدْتُ للمَعْبدِ ، لا جُثَّةً
محمولةً بل جَسَداً ماشيا
أسخَرُ من نفسيَ ممـا جَرَى
وأزدري إحساسيَ الباقيـا

٣٠ - ٧ - ١٩٤٥

سياط وأصداء

« كان على أرض الشارع المبللة جسد
حصان ، وكانت السياط ترتفع ثم
تهـــوي فلا تسقط إلا على جرح »

ما زلتُ أذكُرُ كلَّ شيءٍ من صباحي الضائعِ
ألراقدُ الدامي المجرَّحُ فوق أرضِ الشارعِ
وصَدَى السِياطِ المرهِقاتِ على الجبين الضارعِ

يا ثورةَ الإحساس في نفسي علامَ تَمزُّقي
ألمي على الجَسَدِ الممزَّقِ بعضُ ضَعْفي الأحمقِ

وغداً سأدفِنُ ما تبقَّى من حناني المرهقِ

يا ليتني عمياءُ لا أدري بما تَجْني الشُرورْ
صمَّاءُ لا أُصْغي الى وقْعِ السياطِ على الظهورْ
يا ليتَ قلبي كان صَخْراً لا يعذِّبُهُ الشعورْ

يا ليتني ، ماذا تُفيدُكِ ، يا حياتي ، ليتني ؟
أحلامُكِ النَضِراتُ باتت في قُنوطٍ مُحْزِنِ
لن يسمَعَ القَدَرُ المدمِّرُ فاصْرُخي أو أَذْعِني

يا نارَ عاطفتي الرقيقةِ ، يا غريبةُ في البَشَرْ
وَقْعُ السياطِ على الظهورِ أشدُّ من وقْعِ القَدَرْ
والحسُّ في هذا الوجودِ جريمةٌ لا تُغْتَفَرْ

لن تقتلي الشيطانَ في الإنسانِ أو تُحْيي الملاكْ

وغداً ستطويكِ الليالي في دياجيرِ الهلاكْ
وغداً سيأسُركِ الترابُ فلا شعورَ ولا حَراكْ

ما كان أثقلَ عبءَ أحلامي وآلامي وأقْسَى !
فامشي بنا نحو الفَنَاءِ لعلَّنا نَنْسَى ونُنْسَى
وليُسْدَلِ السِترُ المقدّسُ ، حَسْبُنا غمّاً ويأسا

٢٤ - ١٠ - ١٩٤٦

نغمات مرتعشة

عُدْ ، لم يَزَلْ قلبي نشيداً حالمـــا
يشدو بحبِّكَ لحنُــهُ المفتونُ
عُـدْ فالكآبةُ أغرقَتْ بظلامها
روحي ، فليـلي أدمُعٌ وشُجونُ
عُدْ ، لا تَدَعْ نفسي يعذبها الأسى
ويَعَضُ فيهـــا خافقٌ محزونُ
عُدْ فالحياةُ ـ إذا رجعْتَ ـ أشعّةٌ
ومشاعرٌ سِحْريّــةٌ وفُتونُ

خطواتُكَ اللاّتي تباعَدَ رَجْعُها

فِي مسمعي ، تحتَ الظلامِ الشاحبِ
كلماتُكَ اللاتي تلاشى وَقْعُها
وَخَبَتْ بعيداً ، في السُكونِ الراعبِ
بَسَماتُكَ اللاتي خَبَت وَمَضاتُها
في مُقْلتيَّ ، مع النهارِ الذاهب
ذابت جميعاً ، والستائرُ أُسْدِلتْ
في مَسْرَحِ الأملِ الجميلِ الغاربِ

ذهبَ النهارُ بشاعري ، بنشيدِهِ
وبَقِيتُ في غَسَقِ الظلامِ القاتمِ
أرنو ولا شيءٌ يروقُ لناظري
وأُصيخُ ، أين مَلاحني ومَلاحمي ؟
عُدْ، عدْ الى روحي الغريبِ، فأدمعي
عصفت بأفراحي وقلبي الساهمِ

عُـدْ يا نشيدي الشاعريَّ لمسمعي
ماذا يعوِّضُ عن صداكَ الحالمِ ؟

حبّي الإلهيُّ النقيُّ ظلمتَـــه
ووفـاءُ روحي الشاعريِّ العابـدِ
قلبي الرقيقُ أساتَ فهْمَ حنينِه
ونشيدُ أحلامي وروحُ قصائدي
لم أدرِ ماذا كانت ، إلا رعْشَةٌ
في روحيَ الولهى وقلبي الشاردِ
وخلا المكانُ وعدتُ أسألُ وحشتي
عن طَيْفكَ النامي وحُبّي الخالدِ

ما زلتُ منذُ ذَهبْتَ حيْرى في الدُجى
شهِدَ الأسى أنّي لزمتُ مكانيـا
ما زال روحي راعشاً متمزقـاً

يستنطقُ السرَّ الغريبَ الخافيا
وهمي يصوّرُ لي خُطَاك ووقْعَها
فإذا أَصخْتُ صَحَوْتُ من أحلاميا
لا شيءَ غيرُ الرّيحِ تَعْصِفُ في الدُجى
لا شيءَ غير تَنَهُّدي وبكائيا

١ - ١١ - ١٩٤٦

المقبرة الغريقة

« من ذكريات الفيضـــان المخيف الذي ألم ببغداد سنة ١٩٤٦ ، هذه القصيدة تسجل فيها الشاعرة اثر سماعها بقصة مقبرة غمرتها ميـــاه النهر المتوحش في مساء عاصف »

فِي ظُلْمَةِ الليلِ المُخيفِ الرهيبْ
وتحتَ هولِ العاصفِ الأهوجِ
قَبْرٌ على التلِّ وحيدٌ غريبْ
رانتْ عليه ظُلَّـةُ العَـوْسجِ

قبرٌ وحيدٌ لم تَنَلْهُ المياهْ
مُعتصِمٌ بالقِمّةِ الساخرهْ
كأنّه يرمُقُ أُفْقَ الحياهْ
مُستهزئًا باللُّجّةِ الدائرهْ

بالأمسِ قد كان هُنا عالَمٌ
يغمرُهُ الموتُ بأستارِهِ
يهفو عليه العَدَمُ القاتمُ
في وَجْمةِ الصَّمْتِ وأسرارِهِ

مقبرةٌ أودعها الباقونْ
أشلاءَ أمواتِهمُ الفانيهْ
يا جُثثًا ما كفّنتْها المَنونْ
بغيرِ أطباقِ الثَّرى العاريهْ

هذي الوجوهُ الشاحباتُ الجباهْ
وهـذه الأشلاءُ والأعـينُ
طَفتْ حيارَى فوقَ وجْهِ المياهْ
وعضَّ فيها العَدَمُ المُحْزِنُ

يا نهْرُ لا تَقْسُ على الميّتــينْ
حسبُكَ ما سبّبْتَهُ من شقـاءْ
حسبُكَ ما شرّدتَ من بائسينْ
وارفَقْ بسُكّانِ الثرَى الأبرياءْ

رَوّعتَ صمْتَ الأنفُسِ الراقده
في وجْمةِ الموتِ وصمتِ القبورْ
يا رحمــةً بالجُثَثِ البـارده
ولْيَكُ في موجكَ بعضُ الشعورْ

فيَ كلِّ رُكْنٍ من دُجى المَقْبره
تَسْبَحُ أجسادٌ وتطفو عِظامْ
والرّيحُ في صَيْحاتِها المُنْكَره
والليلُ ما زالَ رهيبَ الظلامْ

يا لَلْمساكينِ ، أحتّى المماتْ
تَلْحَقُهم لَعْنةُ أيّامِهمْ ؟
ماذا جَنَوْا من مُبْهجاتِ الحياة
ترَى وما ألوانُ أحلامِهمْ ؟

حتّى الرُقادُ الهادىءُ الآمنُ
يأباهمُ إيّاهُ قَلْبُ السنينْ
يشهَدُ هذا المنظَرُ الساكنُ
أيُّ سُهادٍ ، أيُّ ليلٍ حزينْ

يا ضَجَّةَ الإعصارِ لا تملأي
آفاقَ هذا العالمِ المُشْتكي
وأنتِ يا أمواجُ لا تهْزأي
بذلكَ الطافي على وَجْهكِ

لم يُبْقِ منه الدودُ شيئاً يُرى
ولم يَذَرْ منه الرَدَى باقيا
هذا الرُفَاتُ الكالحُ المُزْدَرى
قد كان بالأمس فتىً لاهيا

يَنْسِجُ تحتَ الليلِ ثوبَ الضياءْ
وينشُرُ الحبَّ على العالَمِ
جذلانَ لا يعرفُ معنى الفناءْ
مُسْتغرقاً في نشوةِ الحالمِ

أهكذا تَفْنَى أغاريدُنا
ويهزأُ الموتُ بأزهارها
وتملأُ الدنيا أناشيدُنا
يوماً ، ونَثْوي تحت أحجارها

ما أفظعَ المبدأَ والمُنْتَهى
ما أعمقَ الحزنَ الذي نحملُ
ترفعُنا الأحلامُ فوقَ السُّهَا
وتهدمُ الأيّامُ ما نأملُ

وهذه المقبرةُ المُظْلِمه
نهايةُ المَسْعَى ، فيا لَلْشقاء
أبعد هذي الجنَّة المُلْهِمه
نسقطُ ، فوقَ الشوكِ ، صرعى الفناء

بكيتُ للأمواتِ طولَ المساءْ
وصُغْتُ من دمعي النشيدَ الحزينْ
وفي غدٍ أرقُدْ تحتَ السَمَاءْ
قبراً سيبكي عندَهُ العابرونْ

قبرٌ ، على التلِّ ، وحيدٌ غريبْ
رانتْ عليه ظُلَّةُ العَوْسجِ
في ظُلْمة الليلِ العميقِ الرهيبْ
وتحت هولِ العاصِفِ الأهوجِ

١٣ - ٥ - ١٩٤٦

عودة الغريب

قلبيَ الذابلُ الحزينُ الذي مـا
تَ وذابتْ أفراُحهُ ومناهُ

قلبيَ الشاردُ المعذّبُ بالأحـ
ـلامِ مـا بين دمعه وأساهُ

مالَهُ الآن خافقاً بنَـدى الحبِّ
يغنّـي تحتَ النجوم هَوَاهُ

ويصوغُ المُنَـى ويَرْجعُ للشا
طىء جذلانَ مُرْسلاً نجواهُ

* * *

في غمارِ الماضي دفنتُ دموعي
وتبسّمتُ للقدرِ المراحِ

فأساي لم يعُدْ يعذّبُ روحي
وشرودي تحت الدجى والرّياحِ

ذهب البحر لم يعُدْ ماؤه الملـ
ـحُ يدوّي على مسيلِ جراحي

ها أنا عندَ منبعٍ شاعريِّ الـ
ـماءِ صافٍ هامتْ به أقداحي

* * *

ها أنا الآنَ زورقٌ حالمُ المجـ
ـدافِ يرسو على رمالِ الضفافِ

قلبيَ الشاعريُّ ملأتهُ البـ
ـسمةُ يشدو سرَّ الوجودِ الخافي

ـشدَّ ما عذّبتْ أغانيَـهُ الغُـرْ
بةُ وٱشتاقَ فتنةَ الصّـفْصافِ

أبداً في عُرْض المياهِ ينادي الـ
ـبحْـرَ يا بحرُ طالَ فيكَ طوافي

* * *

أيُّـها الطائفُ الغريبُ لقد عُدْ
تُ وهذي مفاتنُ الآجـامِ

هي ذي الضّـفّـةُ الحبيبة يا ملاّ
حُ هـذي شواهقُ الآكامِ

إنّـها جنّـةُ الحيـاة تلاقتْ
عندَهـا الذكرياتُ بالأحلامِ

فاهبطِ الآنَ وانْسَ أشباحَكَ السُّو
دَ وذكرى الماضي الحزينِ الدامي

* * *

يا غريبَ الأحلام إمْسَح بقايا الأ
مسِ والذكرياتِ والأحزانِ
أصبحَ الأمسُ صَرْخةً في حِمَى الما
ضي طوَتْها ستائرُ النسيانِ
كلُّ أحزانِهِ العميقاتِ عادتْ
لفظةً ضمَّها سكونُ الزَّمانِ
أطفأتْها الأيّامُ فهي ظلامٌ
ولهيبٌ خابٍ وطيفٌ فانِ

* * *

لا تُثِرْهُ دعْهُ يَنَمْ أَبدَ الدهـ
ـرِ وعشْ أنتَ ضاحك الأهواءِ

أيّها الميّتُ الذي نبضَت فيـ
ـهِ معاني الحياةِ بعد الفناءِ

أيُّها الظامىءُ الذي أبصَرَ النبـ
ـعَ قريباً بعدَ الصَدَى والشقاءِ

إملأ الكأسَ آن للظمأِ المُحْـ
ـرقِ أن يرتويْ بشهدِ الرجاءِ

* * *

ذلك المـــاردُ الحقيرُ ثَوَى في
ظُلُماتِ الأمسِ البعيدِ وغارا

لن تَرَاهُ الأمواجُ في البحْرِ بعدَّ الآ
نَ لن يملأَ النجومَ احتقارا

لن يُحيلَ الأحلامَ فيكَ دموعاً
ويعيدَ الأنغامَ هولاً ونارا

إنّه الآنَ مُغْرَقٌ في حمى المو
ج فلا تَخْشَ حِقْدَهُ الجبّارا

* * *

والحياةُ التي تلقّتْكَ بالزهـ
ـرِ ترنّمْ بها تلالاً وعُشْبا

هَبْ لها يا ملاّحُ قلباً من النو
رِ وروحاً كالشعر والحبِّ عَذْبا

هَبْ لها ما ملكتَ شوقاً وأشعا
راً وعشْ للجمال روحاً وقلبا

صُغْ لها البحْرَ كلَّهُ في نشيدٍ
أرضعتْهُ النجومُ ضوءاً وحُبّا

* * *

عادَ ذاكَ الغريبُ يا معبدَ الحبِّ
فمُدَّ الجَناحَ فوقَ أساهُ
إن يكنْ ضلَّ قلبُهُ أمسِ في البحـ
ـرِ فقد كفَّرتْ دموعُ صِباهُ
علَّمتْهُ عواصفُ الليل حبَّ الـ
ـفجر فلْتلمحِ السَّنا عيناهُ
ولتضِعْ في الماضي البعيدِ المجاذيـ
ـفُ وتلك الرياحُ والأمواهُ

* * *

أنْسِهِ حبَّهُ الذي ماتَ وامنح
قلبَهُ الشاعريَّ حُلْماً جديدا
حسبُهُ ما أشقيتَهُ أمسِ بالذكـ
ـرى فهبْهُ الحياةَ ظلاًّ رغيدا

بمعانيكَ قرِّب النجم والسُّحْـ

ـبَ لعَيْنيهِ والصِّبا والخلودا

يا شبابَ الحياةِ يا فرحةَ الدُّنْـ

ـيا ويا بابَ نُبْلها المفقودا

١٤ - ١١ - ١٩٤٦

الغروب

هبطَ الليلُ وما زالَ مكاني
عند شطِّ النهْرِ، في الصمْتِ العميقِ
شردتْ روحي، وغابتْ عن عِيَاني
صُوَرُ الحاضرِ والماضي السحيقِ
وٱمّحَى في خاطري ذكْرُ الزَمانِ
وتلاشتْ ذِكَرُ الدَهْرِ المُحيقِ
ليسَ إلا الحُزْنُ يمشي في كياني
وأنا في ظُلْمة الليلِ الصديقِ

غَرِقَ الضوءُ وراءَ الأُفـقِ
وخلا العالَمُ من لونِ الضياءْ
ليس الاّ رَمَـقٌ في الشَفَقِ
حائلٌ قـد كاد يمحوهُ الفَنَاءْ
وأنا تِمْثـالُ حُزْنٍ مُحْرقِ
وَشقَاءٌ مُطْبِقٌ فوقَ شقَاءْ
أرمُقُ الأفقَ بطَرْفٍ مُغْرَقِ
تائهٍ يَطْوي دياجـيرَ الفَضَاءْ

رفَّ حولي الليلُ والصمْتُ الكئيبُ
وتمشّتْ في كِيـاني الرَعشاتُ
أيُّ معنىً هاجَ في نفسي الغُروبُ؟
أجفلتْ في جَسَدي منه الحياةُ
وَسَرَى في مسمعي هَمْسٌ غريبُ

كلُّه هولٌ ورُعْبٌ وشَكَاة
واعتراني خاطرٌ مُشْجٍ رهيبُ
وتَجَلَّى لخيالاتي المماتُ

ها أنا وحدي تُنَاجيني غُمومي
وكآباتي وأشباحُ الفَنَاءِ
كلُّ ما حولي مُثيرٌ للوُجومِ
مَصْرَعُ الشمسِ وأحزانُ المساءِ
عبثاً أطردُ عن نفسي همومي
عبثاً أرجو شُعاعاً من رَجاءِ
غَرِقَتْ أحلامُ قلبي في الغيومِ
وتلاشت مثل أحلامِ الضياءِ

أَقْفَرَ العالَمُ حولي لا نَشيدُ
من صبيٍّ أو هُتَافٌ أو حفيفْ

وخلا شاطئيَ الساجي المديدُ

ومَشَتْ في الجوِّ أحزانُ الخريفْ

أنا والأمواجُ واليأسُ الشديدُ

وانحدارُ الشطِّ والظلُّ الوريفْ

وحواليَّ ظلامٌ وركودُ

ألقَيا الحُزْنَ على حِسِّي الرهيفْ

من بعيدٍ أُبْصرُ الراعي الحزينْ

يُرْجِع الأغنامَ في صمْتِ الغروبِ

مُطْرِقاً أتعَبهُ ركْبُ السنينْ

فقضاها في نحولٍ وشُحوبِ

هو والأغنامُ حُزنٌ وسكونْ

وخُطىً في مَسمعِ الليلِ الرهيبِ

وأنا أرمُقُهمْ غرْقَى الجفُونْ

تحْتَ أحلامِ شبابي وكروبي

وبعيداً في الفَضاءِ المـدْلهمِّ
خَفْقَةٌ من جُنْحِ طَيْرٍ عابرِ
فاجأتْــهُ ظُلْمَةُ الليلِ المُلِمِّ
وجبالٌ من سَحَابٍ مـاطرِ
فسَرَى بينَ دياجيرَ وغيمِ
كخيالٍ في فؤادِ الشاعرِ
لحظةً ، ثم توارَى في الخِضَمِّ
بين أمواجِ الظلامِ الغامرِ

آه ما أرهبَهُ الآنَ سكونا
لا أعي فيهِ سوى دقّاتِ قلبي
صَمَتَ الكونُ ونام المُتْعَبونا

وهْوَ ما زالَ صَدَى حُزنٍ وحُبّ
نَظَراتي لم تَزَلْ حُلْماً حزينا
وخيالاتُ مسائي لم تَعُدْ بي
طفقت تصعَدُ بي أُفْقَ السنينا
وترودُ الكونَ من شَرْقٍ لِغَرْبِ

ونُبَاحُ الكلبِ في الحقْلِ البعيدْ
رفّ في سَمْعي ضئيلاً مُجْهَدا
مُوحشاً في ظُلْمة الليلِ الوليدْ
غامضَ الوَقْعِ ، غريباً كالصَدَى
كلُّ صَوْتٍ في الدُجى رُعْبٌ جديدْ
عندَ مَنْ قد كان مثلي مُفْرَدا
ذا فؤادٍ مُرْهَفِ الحسِّ شَريدْ
دَفَنَ الأمسَ ولم يَرْجُ الغدا

ومياهُ النَهر تجري في شُحوبْ
تحتَ أكداسِ الغُيومِ الجاثماتْ
وَصدَى طاحونةِ القَمْحِ الغريبْ
يُكْئِبُ النفسَ بأشجَى النَغَماتْ
هكذا مرَّ على روحي الغُروبْ
غامضَ الظلِّ حزينَ الُخطُواتْ
فوَدَاعاً أيُّها الُجرْفُ الكئيبْ
وَوَداعـــاً يا غِمارَ الظُلُماتْ

١ - ١٢ - ١٩٤٦

عاشقة الليل

يا ظلامَ الليلِ يا طاويَ أحزانِ القلوبِ
أُنْظُرِ الآنَ فهذا شَبَحٌ بادي الشُحوبِ
جاء يَسْعَى، تحتَ أستاركَ، كالطيفِ الغريبِ
حاملاً في كفِّه العودَ يُغنّي للغُيوبِ
ليس يَعْنيهِ سُكونُ الليلِ في الوادي الكئيبِ

هو، يا ليلُ، فتاةٌ شَهِدَ الوادي سُرَاها
أقبلَ الليلُ عليها فأفاقتْ مُقْلتاها

وَمَضَتْ تستقبلُ الواديْ بألحانِ أساها
ليتَ آفاقَكَ تدري ما تُغنّي شَفَتاها
آهِ يا ليلُ ويا ليتَكَ تدري ما مُنَاها

جَنَّها الليلُ فأغرتها الدَيَاجي والسكونُ
وتَصَبَّاها جمالُ الصَمْتِ ، والصَمْتُ فُتُونُ
فنَضَتْ بُرْدَ نهارٍ لفّ مَسْراهُ الحنينُ
وسَرَتْ طيفاً حزيناً فإذا الكونُ حزينُ
فمن العودِ نشيجٌ ومن الليلِ أنينُ

إيهِ يا عاشقةَ الليلِ وواديهِ الأَغنِّ
هوذا الليلُ صدَى وحيٍ ورؤيا مُتَمَنِّي
تَضْحكُ الدُنْيا وما أنتِ سوى آهةِ حُزْنِ
فخُذي العودَ عن العُشْبِ وضُمّيهِ وغنّي

وِصفي ما في المساءِ الُحلْوِ من سِحْرٍ وفنٍّ

ما الذي ، شاعرةَ الحيْرةِ ، يُغْري بالسماءِ ؟
أهي أحلامُ الصَبايا أم خيالُ الشعراءِ ؟
أم هو الإغرامُ بالمجهولِ أم ليلُ الشقاءِ ؟
أم ترى الآفاقُ تَستهويكِ أم سِحْرُ الضياءِ ؟
عجباً شاعرةَ الصمْتِ وقيثارَ المساءِ

طيفُكِ الساري شحوبٌ وجلالٌ وغموضُ
لم يَزَلْ يَسْري خيالاً لَفَّه الليلُ العريضُ
فهو يا عاشقةَ الظُلْمة أسرارٌ تَفيضُ
آه يا شاعرتي لن يُرْحَمَ القلبُ المَهِيضُ
فارجِعي لا تَسْألي البَرْقَ فما يدري الوميضُ

عَجَباً ، شاعرةَ الحَيْرةِ ، ما سرُّ الذُهولِ ؟
ما الذي ساقكِ طيفاً حالماً تحتَ النخيلِ ؟
مُسْنَدَ الرأسِ الى الكفّينِ في الظلِّ الظليلِ
مُغْرَقاً في الفكرِ والأحزانِ والصمتِ الطويلِ
ذاهلاً عن فتنةِ الظُلْمةِ في الحقلِ الجميلِ

أَنْصتي هذا صُراخُ الرعْدِ ، هذي العاصفاتُ
فارجعي لن تُدْركي سرّاً طوتْهُ الكائناتُ
قد جَهِلْناهُ وضنّتْ بخفاياهُ الحياةُ
ليس يَدْري العاصفُ المجنونُ شيئاً يا فتاةُ
فارحمي قلبَكِ ، لن تَنْطِقُ هذي الظُلُماتُ

٤ - ٤ - ١٩٤٥

في وادي الحياة

عُدْ بي يا زورقي الكليلا		فلن نرَى الشاطىءَ الجميلا
عُدْ بي إلى مَعْبدي فإنّي		سئمتُ يا زورقي الرحيلا
وضِقْتُ بالموج أيَّ ضيقٍ		وما شَفَى البحرُ لي غليلا
إلامَ يا زورقي المُعنّى		ترجو الى الشاطىء الوصولا؟
والموجُ من حوْلِنا جبالٌ		سدت على خطونا السبيلا
والأفق من حولنا غيوم		لا نجْمَ فيه لنا دليلا
كم زورقٍ قبلَنا تولّى		ولم يَزَلْ سادراً جَهُولا
فعد الى معبدي بقلبي		وحسْبُ أيامنا ذُهولا

حسبُكَ يا زورقي مَسيراً		لن يُخْدَعَ القلبُ بالسَّرابِ

وارجِعْ، كما جئتَ، غيرَ دارٍ … قد حلَّك الجوُّ بالسَّحابِ
ومِلْ بمجْدافكَ المعَنّى … تقلُّبَ الموجِ والعُبابِ
ولم يزَلْ معبدي بعيداً … خلفَ الدياجيرِ والضَّبابِ
يَشوقُني الصمْتُ في حِماهُ … وفتنةُ الأيكِ والروابي
عُدْ بيَ يا زورقي إليهِ … قد حانَ، يا زورقي، إيابي
ما كفكفَ البحرُ من دموعي … ولا جلاَ عنّيَ اكتئابي
ففيمَ في موجِهِ اضطرابي؟ … وأينَ، يا زورقي، رِغابي؟

تائهةٌ، والحياةُ بحْرٌ … شاطئُهُ مُبْعِدٌ سحيق
تائهة والظلامُ داجٍ … والصمْتُ تحت الدُّجى عميق
يا زورقي آهِ لو رَجَعْنا … من قبلِ أن يخبوَ البريقُ
أنظُرْ حواليْكَ، أيُّ نوْءٍ … تجمَدُ من هولِهِ العروقُ
البحرُ، يا زورقي جُنونٌ … وموجُهُ ثائرٌ دَفوقُ
وكلَّ يومٍ له صريعٌ … في هَجْعةِ الموتِ لا يُفيقُ
وأنتَ في الموج والدياجي … يا زورقي في غدٍ غريقُ

فعُدْ إلى الأمسِ، عُدْ إليه   قد شاقني أمسيَ الوريقُ

ماذا وراء الحياةِ ؟ ماذا ؟   أيُّ غُموضٍ ؟ وأيُّ سِرٍّ؟
وفيمَ جئنا؟ وكيف نمضي؟   يا زورقي ، بل ، لأيِّ بحرٍ ؟
يدفعُكَ الموجُ كلَّ يومٍ   أينَ ترى آخِرُ المَقَرِّ ؟
يا زورقي طال بي ذُهولي   وأغرقَ الوهمُ جوَّ عُمْري
أَسْري كما ترسُمُ المقاديـــرُ لي الى حيثُ لستُ أدري
شريدةٌ في دُجى حياتي   سادرةٌ في غُموضِ دَهْري
فخافقٌ شاعرٌ ، وروحٌ   قال لها الدَهْر لا تَقَرِّي
وناطَها بالذُرَى تُغنّي   وتنظِمُ الكونَ بيتَ شِعْرَ

١٢ - ٦ - ١٩٤٥

اشواق واحزان

أين منّـي حرارةُ الأمسِ، والحا
ـضرُ يمشي بين الأَسى والُخمودِ ؟
أَسفاً للماضي الإلهيّ هل ما
تتْ أغانيهِ في فؤادي الوحيدِ؟
آهِ يا شاعري لماذا تهاويْـ
ـتَ بعيداً وراءَ أمسي البعيدِ؟
وأنا لم أزلْ صلاةً لعينَيْـ
ـكَ وإعصار لهفةٍ وشُرودِ

* * *

آهِ هل غابَ عن ظلام حياتي
كلُّ ما كان لهفةً وفُتونا ؟

كيف ضاع الحبُّ الإلهيُّ يا طا
ئريَ الحُرَّ فانفجرتَ ظُنونا ؟

وأنا لم أزَلْ فؤاداً على الشو
قِ يداري غرامَــــهُ المدفونا

ليتني كنتُ بُحْتُ يا حُلُمَ الرو
حِ وأعلنتُ حبِّي المكنونا

* * *

كيف مرّت أيّامُنا كيف مرَّت
بين فكِّ الأشواقِ والأحزانِ ؟

ملء قلبي وقلبكُ الحبُّ والشّوْ
قُ ولكن نلوذ بالكتمانِ

كلّما حدّثتْكَ عيناي بالحبِّ
أعـــاقبْ عينيَّ بالِحرْمانِ
كيفَ يا شاعري كتمنا ولم يَعْـ
ـصِ كيوبيدَ قبلَنا عاشقانِ ؟

* * *

كيفضاعتْعواطفي؟كيفأنْسَوْ
كَ غرامي وَحيْرتي ووفائي ؟
ملأوا قلبَكَ النبيلَ أباطيـ
ـلَ وصاغوا كواذبَ الأنباءِ
وقضَيْتُ الأيّام أذرف إحسا
سي دموعاً وأستلذُّ شَقائي
لا لقاءٌ غير الظُنونِ ولا فر
حةَ غير الخيالِ والأصداءِ

* * *

***

أنتَ أنتَ الذي احتفظتُ بذكرا
هُ فلم يَنْسَها فؤادي الوفيُّ

كيف غابتْ عن ذكرياتكَ أحلا
مي وشوقي وحُبّيَ الروحيُّ

شَهِدَ العودُ كيف علّمتُهُ حُبَّـ
ـكَ مثلي فهو المحبُّ الشقيُّ

شهد المعبدُ الكئيبُ لحبْي
أنّ حُبّي مخلّدٌ أبديُّ

* * *

يا نشيدي متى ستأتيكَ ألحا
ني فتصْغي إلى هُتافاتِ حبّي ؟

فيمَ أقضي الأيّامَ أكتُمُ أشوا
قي وقد ضاقَ بالعواطفِ قلبي ؟

أبداً نلتقي فأعرضُ حَيْرى

ولقلبي الكئيب أشواقُ صبٍّ

إنّها الكبرياءُ تمتلكُ الرو

حَ فيبدو المُحبُّ غيرَ محبٍّ

* * *

ضاعَ عُمْري الحزينُ في معبد الحُزْ

نِ وأذوتْهُ لهفتي وشكاتي

لم يزلْ حبّيَ العميقُ عميقاً

لم تزِدْهُ السنينُ غيرَ ثَباتِ

لم أزلْ تضحكُ النجومُ وتبكي

وتغنّي على صَدَى آهاتي

لم أزَلْ في الحياةِ ورقاءَكَ الحيْـ

ـرى وما زلتَ أنتَ حُلْمَ حياتي

١٥ - ٣ - ١٩٤٥

مدينة الحب

في عُمْـق صحراءِ الحياة،هناك فوق لَظَـى الرمالْ
حيثُ الرياحُ الداوياتُ ، مدينةٌ بين التِـلالْ

في قلبها نهرٌ تُحيط به المفاوزُ والصخورْ
وشواطئٌ لا ظلَّ فيها ، لا خمائلَ ، لا عطورْ

الماءُ يبدو وادعاً ووراءه الألمُ العميقْ
أمواجُهُ السُـمُّ الزُعافُ وإن بدا حُلْوَ البريقْ

كم زورقٍ خدعتْـه جنيّاتُه ورسومُهُ
كم حالمٍ أودتْ به أمواجُهُ وسُمومُهُ

والشاطىءُ الثاني يلوّحُ باَلجمال وبالفتون
حتى إذا قاربتَـهُ أبصرتَ إعصارَ المَنُون

لا شيءَ غيرُ الشوكِ والاشلاءِ فوق صُخورهِ
لا صوتَ يُسْمَعُ غيرُ ضجَّةِ دودِهِ ونسورِهِ

أللّيلُ فيه مخاوفٌ ووساوسٌ لا تَخْمَدُ
أبداً يزلزلُهُ صُراخٌ غامضٌ وتنهُّدُ

يا طارقَ البابِ المروّعِ عُدْ ولا تهبِطْ هُنا
هذا الجمالُ سيستحيلُ دماً وماءً آسنا

هذي الشواطىءُ ، كلُّ ما فيها أسىً وتحسُّر
فحذارِ منها فالسُّمومُ مُعَدّةٌ والخَنْجَرْ

عيناكَ لا تسكُبْ بريقَها على ظُلُماتِها
وصِباكَ لا تدفِنْ مُناهُ في شقاءِ حياتِها

وفؤادُكَ الخفّاقُ صُنْهُ من قَذَى آثامِها
ماذا رأيتَ من الحياةِ لتحتمي بظلامِها ؟

عُدْ، عُدْ الى لَهَب الصحاري وانجُ من حمَم المدينه
لا تُلْقِ قلبَكَ في اللظَى وأَصِخْ لشاعرةٍ حزينه

١٩ - ٧ - ١٩٤٦

إلى عيني الحزينتين

عينيَّ ، أيُّ أسىً يرينُ عليكما
ويُثيرُ في غَسَقِ الدُّجى دمعيكما ؟

إني أرى خلفَ الُجفُونِ ضراعةً
تستنطقُ الكونَ العريضَ المُبْهما

أُفقـــانِ تحت الليلِ ألمحُ فيهما
قَطَراتِ ضوءٍ يرتشفنَ الأنجما

ألكونُ مبتسمٌ فأيّةُ لوعةٍ
يا مقلتيَّ تلوحُ في جَفْنيكما ؟

مسكينتانِ ، رأيتُما ما لا يَرى
جيلٌ أقام على الضلال وَحوَّما

جَهِلَ الحقائقَ في الحياة ، فلم يُطِقْ
عن زيفها هَرَباً وعاش مهوِّما

مسكينتانِ كتمتُما حُمَم الأسى
فأبى تأوّهُ خافقي أنْ تكتما

فاذا الدموعُ غِشاوةٌ رفَّتْ على
جَفْنيكما ، سيلاً سخيناً مُفْعَما

ورأيتما ، خَلَلَ الدُموعِ ، مفاتنَ الـ
ـماضي وطاف الشوقُ في أُفقيكما

عبثاً تصوغان التوسّلَ في الدُّجى ،
قلبُ القضـــاء قَضَى بالا تَنْعَما

عبثاً ، فيا عينيَّ لا تتضرَّعا ،
لا شيءَ يَرْجِعُ بالجمالِ إليكما

حسبي وحسبُكما الرُضوخُ لما قَضَى
قلبُ الليالي فارضَخا واستسلِما

كم حـــالمٍ من قَبْلِنا فَقَدَ الُمنَى
فقَضَى الحياةَ لوحدِهِ متجهّما

يرعى الليـالي مانحـاً ظُلُماتِها
روحاً مجنحـةً وقلبـاً مُلْهَما

* * *

عينيَّ ، يا سرَّ الطبيعةِ ، حدِّثا
ماذا وراءَ الكائناتِ رأيتُما ؟

رفعتْ دياجيرُ الحياةِ سُتورَها
لكما وأبدتْ سرَّها المُسْتَبْهما

هاتا حديثَ الموت ، هاتا سرَّهُ
قد آن ، يا عينيّ ، أنْ تتكلما

ما شاطىءُ الأعرافِ ؟ ما ألوانُهُ ؟
ما سرُّهُ الخافي ؟ صِفاهُ وتَرْجما

في صدريَ الخفّاقِ قلبٌ راعشٌ
ما زالَ صَبّاً بالمفاتن مُغْرَما

لولاهُ ، يا عينيَّ ، ما غنّيتُما
بهَوَى الحياةِ ولا أصابكما الظَما

عُذراً اذا حُمّلتُما حُزْنَ الدُنا
لولايَ ، يا عينيَّ ، ما حُمّلتُما

وكفى فؤادي ، في الحياة ، شَقاوةً
أنّي جنيتُ ، مع الحياةِ ، عليكما

٢٥ - ٦ - ١٩٤٥

خواطر مسائية

إذا زَحفَ الليلُ فوق السُهُوبْ
ومرَّتْ على الأفْق كفُّ الغيومْ
ولم يَبْقَ غيرُ السكون الرهيبْ
ونام الدُجى تحت جُنْح الوجومْ

ولم يبقَ إلا نُوَاحُ اليمامْ
وهمسُ السواقي وأنّاتُها
ووقْعُ خُطَى عابرٍ في الظلامْ
تمرُّ وتخفتُ أصواتُها

جلستُ أُناجي سكونَ المَسَاءْ
وأرمُقُ لونَ الظلامِ الحزينْ
وأُرسلُ أُغنيتي في الفضاءْ
وأبكي على كلِّ قلبٍ غبينْ

أُصيخُ الى هَمَساتِ اليمامْ
وأسمعُ في الليلِ وقْعَ المَطَرْ
وأنّاتِ قُمْريّةٍ في الظلامْ
تُغنّي على البُعْدِ بين الشَجَرْ

وآهاتِ طاحونةٍ ، من بعيدْ
تنوحُ المساءَ وتشكو الكَلالْ
تمــــرُّ على مسْمعي بالنشيدْ
وتفتأ تصدَحُ خلفَ التلالْ

أُصيخُ ولا صوتَ غيرُ الأنينْ
وأرنو ولا لونَ غيرُ الدُجى
غيومٌ وصمْتٌ وليلٌ حزينْ
فلا عَجَبٌ أن أُحِسَّ الشَجَا

رأيتُ الحيـــاةَ كهذا المساءْ
ظلامٌ ووحشةُ جوٍّ كئيبْ
ويحلُمُ أبناؤهـــا بالضياءْ
وهمْ تحت ليل عميقٍ رهيبْ

طبيعتُهـــا أبـــداً باكيه
فصمتُ الدُجى وأنينُ الرياحْ
وتنهيـدةُ النَسَمِ الســاريه
ودمعُ النَدَى في عُيونِ الصباحْ

وأبصرتُ عند ضفاف الشقاءْ
جموعَ الحزانى وركْبَ الجياعْ
تُشرّدُهم صرخاتُ القضاءْ
وما أرسلوا همساتِ الوداعْ

وأصغيتُ لكن سمعتُ النشيجْ
يُدوّي صداهُ على مسمعي
وراءَ القصورِ وفوقَ المروجْ
فمن يا ترى يتغنّى معي ؟

ساحملُ قيثارتي في غدِ
وأبكي على شجَن العالمِ
وأرثي لطالعِه الأنكدِ
على مسمع الزمن الظالمِ

١٩٤٥ - ١١ - ٢:

التماثيل

« هدية الى قائمـــة الاسماء الغامضة
المنطفئة التي جاءت في سفر التكوين
من كتاب العهد القديم » .

قد سئمتُ التفكير يا ليليَ السا
جي وألقيتُ بالكتابِ الحبيبِ
لم تَعُدْ هذهِ الصحائفُ توحي
لي بغيرِ الحزنِ العميقِ المذيبِ
فهي صوتُ الآبادِ يحملُهُ الما
ضي الى قلبيَ الشَجِي المشبوب

فيُـدَوّي في عمق نفسيَ صوتُ الـ
عَـدَمِ المُرِّ والفَـنَـاءِ الكئيبِ

* * *

أسفاً يا حياةُ ما هذهِ الأسـ
ـماءُ ؟ ماذا قد كانَ من أهليها ؟

كيف مرَّتْ أيّامُهم ليتَ شعري؟
أترى أدركوا السَّعَـادةَ فيها ؟

أم ترى لم يكنْ لهم من جَنَـاها
غيرَ كأسٍ من سُمِّـها رَشفوها ؟

وطوَوْا لُجَّـةَ الحيـاة سراعاً
ثمّ ألقَـوْا أعبـاءها ونَسُـوها

* * *

أسلموا للترابِ والموتِ والظُلْـ
ـمةِ تلكَ القلوبَ دونَ رجاءِ

وطوتْهم يدُ الزمانِ ولم تَسْـ
تبقِ منهم شيئاً سوى الأسماءِ

آهِ يا موتُ يا مقادرُ يا تا
ريخُ رفقاً بأنفُسِ الأحياءِ

أهكذا يُسْدَلُ السِّتارُ على الأعـ
ـمارِ؟ يا للأحزانِ يا للشّقاءِ

* * *

ليتَ كفَّ النسيانِ قد محَتِ الأسـ
ـماءَ من قبلُ ليتها لم تَصُنْها

ليتها لم تَدَعْ على صَفحاتِ الـ
كُتْبِ ظلاً منها يحدِّثُ عنها

تركتْها مُسْتَثْرِيَةً في فم الدهـ
ـرِ وشيئاً من الحياةِ ومنها

يا حياةً هِمْنا بها وهْيَ ليل
يأمرُ الموتُ في دُجاهُ ويَنْهى

* * *

أيُّهذي الأسماءُ يا من تبقَّيْـ
ـتِ تماثيلَ ليسَ فيها حياةُ

أنتِ يا مَنْ بالأمسِ كنتِ شُعوراً
وقلوبـــاً تَشُوقُها النَغَماتُ

كلُّ لفظٍ وراءَ أحرفِهِ مَعْـ
ـنى حياةٍ أتى عليها المماتُ

كلُّ لفظٍ قلبٌ مَشَى تحتَ ضوءِ الـ
ـشمسِ يوماً وملؤهُ الرَغَباتُ

* * *

وٱستحالت تلك القلوبُ رَماداً
وٱستحالتْ أعمارُها ألحانا
كلّ حيٍّ مَشى به الأهلُ والأصـ
ـحابُ للقبرِ يائسين حَزانى
وتصدَّى للذكرياتِ الحزينـا
تِ فتىً شاعرٌ يذوبُ حنانا
فشَدَاها أغنيّةً ظنّها تُبْـ
ـقي حياةَ الموتى وتعدو الزمانا

* * *

آهِ يا للمخدوعِ قد بقي اللحـ
ـنُ ولكنْ أينَ الذينَ شداهم ؟
أينَ ألحانُهم ؟ وأين أماني
عمْرهم ؟ أو حقولُهُم وقُرَاهم ؟

أينَ ما حدَّثوا به الليلَ والفجـ
ـرَ ؟ وأينَ ٱبتهاجُهم وأساهم ؟
أسفاً شاعري ! لقد بادَ مَوْتا
كَ وأبقَيْتَ في الوَرَى ذكراهم

* * *

ما تُفيدُ الذكرى وقد خَبَتِ الألـ
ـحانُ واستسلمتْ لأيدي السكونِ؟
وٱستحال الأحياءُ في الكُتْبِ أسما
ءً تُثيرُ الأَسى لقلبي الحزينِ
لستُ أدري ماذا حَوَى كلُّ لفظٍ
من معانٍ غابتْ وراءَ السنينِ
لست أدري إلا أسايَ وحُزْني
لضحايا الماضي وصَرْعَى المنونِ

* * *

وأنا يا حياةُ ماذا سألقى ؟
هل سأغدو لفظاً تجفّتْهُ المعاني؟

هل ستطويني الليالي وتُلْقي
فوقَ عُمْري دياجيرَ النسيانِ ؟

وغداً يطفئُ الزّمانُ سراجي
ويُضيعُ الرّدى صدى ألحاني ؟

ثمّ أغدو بين التماثيلِ تمثا
لاً ؟ وأُمْحى من الوجودِ الفاني؟

* * *

آهِ لا لا أُريدُ فلترحمِ الأيّا
مُ دمعي وشَقْوتي واكتئابي

وليكنْ من لحني الحزينِ صدىً با
قٍ بسَمْعِ السنينِ والأحقابِ

رحمةً لا تكنْ دموعي الدُّفوقا
تُ رثاءً مبكّراً لشبابي
وليُستَجّلْ على ضريحيَ ما يُبْـ
ـقي شبابي وان أكن في الترابِ

* * *

هكذا ينتهي شعوري بحرما
ني وأنسى مأساةَ عُمْري الخادعْ
وأُعزّى بأنّ في الكون من قلـ
ـبي بقايا من الأسى والمدامعْ
ويقولونَ : ذلكَ اسمُ فتاةٍ
طالما غنّتِ النجومَ اللوامعْ
فسلامٌ على أساهـا وذكرا
ها سلامٌ على صِباها الضائعْ

١٩٦٦ - ٦ - ٣

ذات مساء

ثورة من ألـــمٍ ، من ذكرياتِ
خلفَ نفسي ، ملءَ إحساسي العنيفِ
وجُموحٌ في دمى ، في خَلَجَاتي
في ابتساماتيَ ، في قلبي اللهيفِ

إن أكنْ أبسِمُ كالطفلِ السعيدِ
فابتساماتيَ وهْمٌ وخِـــداعْ
إن أكنْ هادئةً ، بين الورودِ
ففؤادي في جُنونٍ وصِراعْ

أيُّ مأساةٍ تَراهــا مُقْلتايا !
أيُّ حُزْنٍ عاصرٍ في نَظَراتي !
جَمَدَتْ فـوق شقائي شَفتَايا
وانحنتْ كفَّايَ تحت الرَّعشَاتِ

لا تَسَلْني عن خيالاتي ولحني
فالدجى الآنَ بغيضٌ في عُيوني
أينَ أُلْقي بَصَري الباكي وحُزْني
إن أنا حوّلتُ عن كفّي عُيوني ؟

أينَ أرنو ؟ كلّما حـوّلتُ عيني
طالعتْني صوّرةُ الوجهِ اللهيفِ
ذلكَ الوجْهُ الذي ألهبَ فنِّي
بمعاني الشِعْر والحبِّ العنيفِ

أيّها الغـــادرُ ، لا تنظرْ إليّا
قد سئمتُ الأملَ المُرَّ الكَذُوبا
حسْبُ أقداري ما تَجْني عليّا
وكَفَى عُمْريَ حزناً ولهيبا

فيم أبقى الآن حَيْرَى في مكاني ؟
آه لو أَرجعُ ، لو أنسَى شقائي
أدفِنُ الأحزانَ في صَدْرِ الأغاني
وأناجي بالأسَى صمْتَ المَســـاءِ

ليتنا لا نلتقي ، ليتَ شَقَائي
ظلّ ناراً ، ظلّ شوقاً وسُهادْ
يا دُموعي ، أيُّ معنىً للّقـــاءِ
إن ذَوَى الحبُّ وأبلاهُ البعادْ

أيّها الأقدارُ ، ما تبغينَ منّا ؟
فيمَ قد جئتِ بنا هذا المكانا ؟
آهِ لو لم نكُ يا أقدارُ جئنا
ها هُنا ، لو لم تَقُدْنا قَدَمانا

ما الذي أبقيتِ في قلبي الجريحِ
ليس إلا الألمَ المرَّ الشديدا
لم يَعُدْ في جسميَ الذاوي وروحي
موضعٌ يحتملُ الجُرْحَ الجديدا

أكذا تنطفئُ الذكرى ؟ ويَفْنى
حبُّنا ؟ والأملُ الشعريُّ يخبو
أكذا تذبلُ آماليَ حُزْنا
وهي أشعارٌ وأنغامٌ وحبُّ ؟

خَدَّرَ الحزنُ حيــاتي وطواها
لم تَعُـدْ تَعنيني الآنَ الحيـاةُ
أبداً ينطقُ باليأسِ دُجــاها
وتُغنّـي في فَضَـاها العاصفاتُ

لم يَعُـدْ من حُلْـمي غيرُ ظلالِ
من أسىً مرَّ على وجهي المريرِ
آهِ لا كان بُـكائي وخَيـالي
أيّـها الليلُ ، ولا كانَ شعوري

والتقينـــا ، لا فؤادٌ يتغنّـى
لا ابتسامٌ رسمتْـهُ الشَفَـتانِ
لم يَعُـدْ إحساسُنا شعراً وفنّـا
ليتنا ضعْـنا ومات الخافقانِ

لم يعدْ في نفسيَ الوَلْهى مكانُ
لأسىً أو فرحةٍ أو ذكرياتِ
أيّ معنىً للمُنى ؟ فاتَ الأوانُ
وَذَوَتْ عينايَ ، تحتَ العَبَراتِ

والتقينا في الدُجَى ، كالغرَباءِ
تحت جُنْح الصمتِ يطوينا الوجومُ
كلُّ شيءٍ ضاحكٌ تحتَ السماءِ
وأنا وحديَ تذويني الهمومُ

هكذا يا ليلُ صوّرتُ شقائي
في نشيدٍ من كآباتي وحزني
قصّةٌ قد وقعَتْ ذاتَ مساءِ
وَحوَتْ روحي وأحزاني ولحني

١٩٤٦ - ٥ - ٢

جزيرة الوحي

خُذْني الى العالم البعيدِ
يا زورقَ السحْرِ والخُلودِ

وسِرْ بقلبي الى ضِفافٍ
توحي الى القلبِ بالقصيدِ

جزيرةُ الوَحْيِ، من بعيدٍ،
تلوحُ كالـأملِ البعيدِ

ألرملُ في شطِّها نَدِيٌّ
يرشفُ من دجلةَ البَرُودِ

والقَمَرُ الُحلوُ، في سَماها،
أمنيّةُ الشاعرِ الوحيدِ

فلْتَسْرِ يا زورقي بروحي
قد آنَ أن يستفيقَ عودي

وآنَ للشِعْرِ أن يُغنِّي
بالُحلُمِ الضاحكِ الشَرُودِ

حُلْمي، وقد صُغْتُهُ نشيداً
يهشُّ، من سِحْرِهِ، وجودي

شاعرتي ، حدِّقي ، فهذي
جزيرةُ الشِعْر والنشيدِ

لاحتْ ، على البعْد ، ضَفَّتاها
أمنيّةَ العـــالَمِ الجديدِ

[illegible] أبَتِ المقلتانِ عنها
صاحـ[illegible] الأمنياتُ : عودي

فَلْتبسِمي ، يا [illegible] الأغاني
للشاطىءِ الساحرِ المديدِ

واستوقفي الزورقَ المعنّى
تحت شُعَاعِ السنا البديدِ

ألعودُ والشِعْرُ والأماني ،
شاعرتي ، فاصْدَحي وزيدي

قد ضَحِكَ العُمرُ واستنامتْ
عواصفُ اليأسِ والنكودِ

وانقلبَ اليأسُ بُشْرَياتٍ
وأمنياتٍ ، فــأيُّ عيد !

٥ - ٩ - ١٩٤٤

على وقع المطر

أَمطري ، لا ترحمي طيفيَ في عُمْقِ الظَلامْ
أمطري صُبِّي عليَّ السيلَ ، يا روحَ الغَمَامْ
لا تُبَالي أن تُعيديني على الأرضِ حُطَامْ
وأحيليني ، إذا شئتِ ، جليداً أو رُخَامْ

أُتْركي ريحَ المساءِ المُمطرِ الداجي تُجَنُّ
ودعي الأطيارَ ، تحت المطر القاسي ، تئنُّ
أغرقي الأشجارَ بالماءِ ولا يُحْزنكِ غُصْنُ
زَمْجري ، دَوِّي ، فلن أشكوَ ، لن يأتيْكِ لحنُ

أَمْطِري فوقي ، كما شئتِ ، على وجهي الحزين
لا تُبالي جَسَدي الراعشِ ، في كفِّ الدُجونِ
أمطري ، سيلي على وجهيَ ، أو غَشِّي عيوني
بلِّلي ما شئتِ كفّيَّ وشَعْري وجبيني

أَغْرقي ، في ظُلْمة الليلِ ، القُبورَ الباليه
واْلطمي ، ما شئتِ أبوابَ القُصورِ العاليه
أَمْطري ، في الجبَل النائي ، وفوقَ الهاويه
أَطْفئي النيرانَ ، لا تُبْقي لحيٍّ باقيه

آهِ ما أرهَبَكِ الآنَ ، وقد ساد السكونْ
غيرَ صوتِ الرِّيحِ ، في الأعماقِ ، تدوي في جُنون
لم تَزَلْ تَهْمي ، من الأمطارِ ، في الأرض ، عيونْ
لم يَزَلْ قلبي حزيناً ، تحت أَمواجِ الدُجون

أيُّها الأمطارُ ، قد ناداكِ قلبي البَشَريُّ
ذلك المُغْرَقُ في الأشواقِ ، ذاك الشاعريُّ
إغْسِليه ، أم ترى الحُزْنُ حِماهُ الأبديُّ
إنّه ، مثلَكِ يا أمطارُ ، دفّاقٌ نقيُّ

أبداً يسمعُ ، تحت الليلِ ، وقْعَ القَطَراتِ
ساهماً يحلُمُ بالماضي وألغازِ المماتِ
يسألُ الأمطارَ : ما أنتِ ؟ وما سرُّ الحياةِ ؟
وأنا ، فيمَ وجودي ؟ فيمَ دمعي وشَكاتي ؟

أيها الأمطارُ ما ماضيكِ ؟ من أين نبعتِ ؟
أابنةُ البحرِ أم السُحْبِ أم الأجواءِ أنتِ ؟
أم تُرَى من أدْمعِ الموْتى الحزانى قد عُصِرْتِ ؟
أم دموعي أنتِ يا أمطارُ في شَدْوي وصَمْتي ؟

ما أنا؟ ما أنتِ يا أمطارُ؟ ما ذاك الخضَمُّ؟
أهُوَ الواقعُ ما أسمَعُ؟ أمْ صوتُكِ حلْمُ؟
أيُّ شيءٍ حولنا؟ ليلٌ وإعصارٌ وغيمُ
ورعودٌ وبروقٌ وفضاءٌ مُدْلَهِمُّ

أسفاً لستُ سوى حُلْمٍ على الأرضِ قصيرِ
تَدْفِنُ الأحزانُ أيّامي ويلهو بي شُعوري
لستُ إلا ذرّةً في لُجّةِ الدهرِ المُغيرِ
وغداً يجرفُني التيّارُ، والصمْتُ مصيري

وغداً تدفعُني الأرضُ سَحَاباً للفضاءِ
ويُذيبُ المَطَرُ الدفّاقُ دمعي ودمائي
ما أنا إلا بقايا مطرٍ، ملءَ السماءِ
تَرجعُ الريحُ إلى الأرضِ به، ذاتَ مساءِ

أَمْطري ، دوّي ، اغلي ضجّةَ أحزاني ويأسي
أغــــرقيني ، فلقد أغرقتُ في الآلام نفسي
إملأي كأسيَ أمطاراً فقد أفرغتُ كأسي
واحْجُبي عني دُجَى أمسي فقد أبغضتُ أمسي

٩ - ١٢ - ١٩٤٦

شجرة الذكرى

مررتُ بها في المساءِ الدَجيّ
فالقيتُ رَحْـــلِيَ في ظلّـها
وحدّقتُ في خُضْرِ أوراقِها ،
وروحي الكئيبةُ في ليلها
فهاجتْ لقلبي دُجى الذكريات
وأترعتُ لحـــنيَ من ويلها
وصيَّرتُ مُتَّـكَأي ساقَها
وطافتْ شجوني من حولهـــا

تذكرتُ ، والقلبُ في حُزْنِهِ
وقوفيَ ، في ظلِّهــا الساحرِ
كأنْ لم تمرَّ الليالي الطِوال
على أمسي المُبعِـــدِ الدابرِ
وقفتُ أكفكفُ دمعي السخين
وأصرُخُ من ألمــي الآسرِ
أُقــصُّ على ظلِّها قِصَّتي
وقصَّـةَ شاعريَ الغـادرِ

قصصتُ عليها الحديثَ الكئيب
وفي يدَي الشوكةُ القاطعه
أُمرُّ بها ، والأَسى غالبي ،
على ساقها البرَّةِ الوادعــه
فيا لَيَـدي جَرَحتْ ساقَها
وجــذّتْ أزاهيرَها اللامعه

كأني بذاك جرحتُ الحياة
وعاقبتُ أقدارَهــا الخادعه

ومرَّتْ عليَّ السنينُ الطوال
وطالَعَني يوميَ الخـالدُ
فابصرتُ فيـه أسايَ البعيد
يُحِسُّ بــه قلبيَ الواجدُ
فقلتُ لقلـبيَ : هيـا نُطِفْ
بها ، ولْـيَثُرْ حزنُكَ الهامدُ
سنسألُها اليومَ عن جُرْحها
ألم يَشفِهِ الزَمَنُ الآبــد

وعُدْتُ إليها ، كأنْ لم تمرَّ
عليَّ السنــين وأقدارُهــا
فؤاديَ مــا زال مستأسَراً

وروحيَ ما أُطْفئت نارُها
يُفَيِّئُني ظلُّها من جديد
وتحنو على القلب أزهارُها
فيا نُبْلَها ، َصفَحَتْ عن يدي
وما زال عند يدي ثارُها

ودُرْتُ أُسائلُ عن جُرحها
أما دملتْهُ أكفُّ القَدَرْ ؟
فلم أرَ الاّ اخضرارَ الحياة
فليس عليها لُجرْحٍ أَثَرْ
وأما جِراحُ فؤادي الحزينْ
فما زلنَ يشكونَ طولَ الصَدَر
فيا عَجَباً للزمان المسيء
متى عن إساءته يعتذرْ ؟

١٤ - ٦ - ١٩٤٤

الخيال والواقع

رحمةً ، لا تُنزليني من سَمائي
واتركيني في خيالِ الشُعَراءِ

أتركيني ، لا تُعيدي لي الظُنونا
ودعيني أملأِ الدنيا لُحونا
وأصُغْ عُمْري جَمَالاً وفُتونا
أبداً أصْدَحُ حبّاً وحَنينا
لحبيبي وأنا تحتَ سَمائي
وخيالي ، من خَيالِ الشُعَراءِ

اتركيني ، أنا قد نُحْتُ طويلا
ودعيني أُبصرِ الكونَ جميلا
شَبِعَ القلبُ دموعاً وذُهولا
فدعيه يقطعِ العُمْرَ جَهُولا
ويَعشْ ، مثليَ في ظلِّ السماء
ويُشاركْني خيال الشعَراءِ

رحمةً بي ، رحمةً ، لا تُحزنيني
ودعيني في خيالاتي ، دعيني .
قصّةُ الإثمِ وأنباءُ المُجونِ
لا تَقُصّيها على قلبي الحزينِ
ودعيهِ ، في تعاليلِ السَماءِ
نغماً في نَشَواتِ الشُعَراءِ

إنْ يكن قلبيَ ظمآنَ وفيّا

لا يَرَى في شاعري إلا نبيّا
أو يكنْ يكتُمُ حُبّاً شاعريّا
فهو ما زال بأوهامي يحيا
أبداً يرسُمُ أحلامَ السَماءِ
ويغنّي أغنياتِ الشُعراءِ

قد سئمتُ الواقعَ المرَّ المملا
ولقد عُدْتُ خيالاً مضمحلا
فاتركيني بخيالي أتسلّى ،
آهِ كاد اليأسُ يعروني ، لولا
أنّني لُذْتُ بأحلام السماءِ
وتخيّرتُ خيالَ الشُعَراءِ

صوّري ما شئتِ لي الأمسِ وسحرَهْ
يومَ كان الحبُّ في كفّي زهره

إرسُمي للقلب أحلامَ المَسَرّه
ودعيني أذقِ الأفراحَ مرّه
علَّني أهبِطُ من بُرْجِ السماءِ
ويجافيني اكتآبُ الشُعَراءِ

لا تُثيري ألمي ، حسبُكِ أنّي
لم أزلْ في معبَدِ الحبِّ أغنّي
لم يَزَلْ حُلْميَ رؤيا مُتَمَن
كلَّ يومٍ يهْدِمُ اليأسُ وأبني
ولقد شيّدتُ لي بُرْجَ السَماءِ
وخيالاتي ووهْمَ الشعراءِ

لم يكن حبّي سوى حُلْمٍ غريبِ
مدّهُ الوهْمُ على قلبي الكئيبِ
أسفاً ، لم يَبْقَ لي غيرُ شحوبي

وأغاريديَ آلتْ للغُروبِ
لم يَعُدْ لي غيرُ أحلام السماءِ
وخيالاتي ووهْمِ الشُعَراءِ

٣١ - ٨ - ١٩٤٥

السفينة التائهة

فِي لُجَّةِ البحرِ الرهيبِ سفينةٌ تحت المساءْ
ألقتْ بها الأقدارُ في لُجَجِ المنايا والشَقاءْ
الريحُ تصرخُ حولَها وتضِجُّ في ظُلَمِ الفضاءْ
والموجُ يضرِبُها ويُلْقيها على شَفَةِ الفَنَاءْ

سارتْ ولا ربّانَ يَهْديها إلى الشطّ السحيقْ
حَيْرَى يُخَادعها الظلامُ فلا شُعَاعَ ولا بريقْ
من فوقها هولُ الرعود وتحتها اللُجُّ العميقْ
سارتْ وما تدري الى أينَ المَصِيرُ وما الطريقْ

الريحُ مزّقتِ الشراعَ فأينَ يضربُ زورقي ؟
والموجُ أطفأ ضوءَ مِصْباحي فماذا قد بقي ؟
وغداً سينسكبُ الدُجى في جَفْنيَ المُغْرورقِ
وتسيرُ أمواجُ البحور على شبابي المُغْرَقِ

لا شيءَ يمسحُ أدمعي ، لا حُلْمَ تَلمحُهُ عيوني
لا شاطىءٌ ترنو اليه سفينتي ، تحتَ الدُجونِ
كتبتْ ليَ الأقدارُ أن أمشي على شوكِ السنينِ
جسْماً تعذّبُهُ كآبةُ خافقٍ جمِّ الحنينِ

رحماكِ يا أيدي الكآبةِ ما الذي قد كان منّي ؟
ماذا جَنَيْتُ لِتَعْصُري قلبي وأحلامي ولَحْني؟
أبداً تَمُدّين الجَناحَ على خيالاتي وفنّي
وتلوّنينَ مشاعري بسَوَاد آهاتي وحُزني

ويروحُ يصرُخُ تحتَ عبئكِ قلبيَ المتمرِّدُ
قلبي الذي ضاقَ الوجودُ به وعذّبَهُ الغَدُ
قلبي الكئيبُ المُستَطَارُ الشاعرُ المتنهّدُ
يحيا على ظَمَأ الحياةِ فاينَ أينَ الموردُ ؟

كم شاعرٍ عَبَدَ الحياةَ وعاشَ يشدو بالَجمالْ
أبــداً يغرِّدُ للطبيعةِ والكآبةِ والخيالْ
حتى اذا طَلَعَ الصباحُ على الصَحَاري والتلالْ
عثَرَ الضياءُ على فتىً مُسْجىً على كُثُبِ الرمالْ

نمّتْ عليه كآبةٌ ، لم يَمْحُها الموتُ الرهيبْ
ووشت به عينانِ رانَ عليهما اليأس المُذيبْ
والى يمين رُفَاتِهِ قيثارُهُ الساجي الكئيبْ
حفِظَ الوفاءلمن خبَتْ ألحانُهُ وذوَى اللهيبْ

يا ليلُ، ما نَفْعُ الأَسى؟ يا بحرُ، ما معنى الدموعْ؟
ألنَوْءُ يصخَبُ داوياً، والموجُ يهزأ بالقلُوعْ
أَنَّى تسيرُ سفينتي الحَيْرَى إذن؟ أنَّى الرُجوعْ؟
فلنمضِ للمجهولِ، ذلك وحدَهُ ما نستطيعْ

١٩٤٦ - ٧ - ٧

قلب ميت

نعم، ماتَ قلبي ، أينَ أحزانُ حبِّه ؟
وأين أمـــانيهِ ؟ وأينَ أغانيهِ ؟
حرارتُـهُ أضحتْ رَماداً مهشَّماً
وأحلامُهُ ذابتْ على صدر ماضيهِ
هـــو الآن ثلجيُّ العواطف ، باردٌ
يُقضّي مع الأشباحِ غُـــرَّ لياليهِ
ويَرْعَبُهُ ذكرُ المهاتِ وليلِهِ
فيدفِنُ نيرانَ الأسى في قوافيهِ

وكانَ له من قبلُ هيكلُ مَعْبَدٍ
يُغنّيهِ في أحلامه وصلاتِهِ
من الحبّ والأحلامِ صاغَ رُواءَه
وألقى عليهِ أمنياتِ حياته
على صَدْره الشِعْريّ تمثالُ شاعرٍ
تذوبُ معاني الروح في نظراته
يَرَى فيه إحساسي حياةً نقيةً
أطلَّتْ خفاياها على ظُلُماته

وكان صباحٌ ... واستفقتُ فلم أجدْ
من المعبدِ الشعريِّ إلا رسومَهُ
تحَطَّم تمثالي الجميلُ على الثرى
وألقى على قلبي النقيِّ همومَهُ
ورُحْتُ إلى حبّي أمزِّقُ زهرَهُ

وأنشُرُ أحلامَ الصِبا ونجومَهُ
وَيَنْضَبُ في قلبي جمالُ شبابه
وينفثُ ليلُ الحزنِ فيه سُمومَهُ

وها أنا ذي عُمْري احتقارٌ وأدمعٌ
وفي نفسيَ الولهى لَظًى وتمرّدُ
أحنُّ إلى حبّي الجميلِ وإن يكنْ
أشاحَ عن التمثالِ جَفْني المسهَّدُ
وماذا تبقّى الآنَ ؟ شِلْوُ حجارةٍ
تضيقُ بها نفسي ، وصَخْرٌ ممدَّدُ
تَعَلَّقَ قلبي بالنجومِ وقلبُهُ
تمرَّغَ في الأوحالِ ، والطينُ يشهَدُ

هنالكَ ، في الأمس البعيدِ ، وليله

سأدفِنُ تِمْثالي وحُبّي وأدمعي
أشيِّدُ قبراً من تمرُّدِ خافقي
وأسقيهِ من بُغْضي له وتَرَفّعي
أغنّيهِ ألحانَ احتقاري وثورتي
وتهزأُ أضواءُ النجومِ به معي
وأزرعُ فيه الشوكَ والسُمَّ واللَظَى
وأتركُهُ شِلْواً كقلبي المروَّعِ

٢٨ - ٧ - ١٩٤٦

بعد عام

مرَّ عامٌ يا شاعري مُنْذُ أبْصَرْ
تُكَ في ذلك الصباحِ الكئيبِ
مرَّ عامٌ لم تكتحلْ عينيَ الظمـ
ـأى برؤياكَ لم يخفَّ قُطُوبي
الليـــالي تمرُّ تتبعُها الأيـّـ
ـامُ في بُطْئها المُملِّ الرتيب
وأنا لهفــةٌ وشوقيَ يزدا
دُ وروحي في عاصفٍ من لهيبِ

ظَمَـا للحياة يمــلأ إحْسـَا
سي ونارٌ في دمعيَ المسكوبِ
وشظايا كآبةٍ رسمتْ فو
ق جبيني غُلاَلةً من شحوبِ

* * *

مرَّ عامٌ من قال ؟ هل أنا في حُلْـ
ـمٍ بَنـَاهُ تخيُّـلي المصدومُ ؟
أهْـوَ وهمٌ ما خلتُـهُ سنةً أطـ
ـفأ أضواءها الزمانُ اللئيمُ ؟
مرَّ عامٌ ولم أقابلْـكَ ، ماذا ؟
كيفَ أبقتْ على حياتي الهمومُ ؟
كيف طابتْ لي الحياةُ على بُعْـ
ـدك عنّـي ؟ ولم يُمِتْـني الوجومُ ؟

الشهيقُ الحزينُ في هدأة الليـ
ـل، ألم يُلْقِهِ إليكَ النسيمُ؟
والشرودُ الذي أماتَ أحاسيـ
ـسي، أما حدّثتْكَ عنه النجومُ؟

* * *

لم أزلْ أذكرُ الصَبَاحَ الذي مرَّ
نَـــدَىً فوقَ قلبيَ المكسورِ
منذ عامٍ في الشارع الصاخبِ الممـ
ـتدِّ والشمسُ في صفاءِ الأثيرِ
جمعتْنا هنالك الصُدْفةُ الحلْـ
ـوةُ في غَفْلةٍ من المقـــدورِ
والتقينا لم نبتسمْ لم أحدّثْـ
ـكَ بمـــا في فؤادي المعصورِ

لحظةً ثم أجهز الزَمَنُ القا
سي على قلبِ حُلْميَ المسحورِ
سرتُ يمنى وسرتَ يُسْرى ولم يَبْـ
ـقَ سوى ثورتي ونارِ شُعوري

* * *

ومَضَى العامُ كلُّهُ ، كلَّ يومٍ
أتلقَّى الصبــاحَ بالأحـلامِ
كلَّ يوم أقولُ : يا قلبيَ الظمـ
ـآنَ للصَّحْوِ لا تضِقْ بالغَمَامِ
ربّما أشفقتْ بنا الصُدَفُ العمـ
ـياءُ هذا الصباحَ بعـد الظلامِ
لن يضُرَّ الأقدارُ في ليلها إن
تتلقّـاكَ مرّةً بابتسـامِ

ـلكَ وتصحو خوامدُ الأنغامِ
ويُجَـنَّ الشعورُ في عُمْـقِ أعما
قِــكَ حيّاً حرّاً من الآلامِ

* * *

مرَّ عامٌ ودقّـتْ الساعةُ الحمـ
ـقاءُ عَشْـراً واستيقظتْ أحزاني
الثلاثاءُ لم يُعِـــدْك إلى أشـ
ـواقِ روحي المُمزَّقِ اللهفانِ
مرَّ عـامٌ كأنّـهُ حُلُـمٌ مرَّ
على جَفْـنِ شاعرٍ وسنانِ
مرَّ عامٌ لم يبقَ منْـهُ سوى لحـ
ـنٍ حزينٍ مُغْـرورِقِ الألحان

ليس إلاّ ابتسامتي المرّةُ الظَـمْـ
ـأى ردقّـــاتُ قلبيَ الحيرانِ
ليس إلاّ ظلٌّ من الصمتِ واللهـ
ـفةِ يبدو في جفنيَ الظمآنِ

١٩٤٥ - ٦ - ٢٦

العودة إلى المعبد

معبدي ، عادت بي الأحزانُ فارأفْ بعذابي
عدتُ يا ليتكَ تَدْري بعضَ آلامي وما بي
عدتُ والقلبُ شريدٌ تائهٌ بين الضَبَابِ
يتلوّى في إسارٍ من حنيـني واكتـآبي

ذهبَ الأمسُ بأوهـامِ فؤادي ومحاهـا
فإذا قلبيَ عبـدٌ ولقد كان إلهـا
آهِ فارأفْ بفتاةٍ حطَّـمَ الدَهْـرُ مُناهـا
وأفاقتْ لِيَـهُدَّ الحزْنُ واليأسُ قُواها

مَعْبدي ، إفتَحْ لقلبي البابَ ، قد طالَ وقوفي
أنا مَن ماتَ ربيعي في أعاصيرِ الخريفِ
جئتُ أُلْقي بين كفَّيْكَ أسى قلبي اللهيفِ
علَّني أحْظَى بظلٍّ في مجاليكَ وريفِ

عُدْتُ ، يا معبدُ ، للصَمْتِ ، فلن أشدوْ بحبّي
لم يَعُدْ قلبيَ يهفو فلقد ودّعتُ قلبي
حسبيَ الآنَ وجومي وكآباتيَ حَسْبي
حسْبُ روحي نارُ إحساسي وآهاتي ورُعْبي

أسَفاً ، كيف ذَوَى حُبّي ولحني ورجائي ؟
ليتني كنتُ تناسيتُ ، فلم أرْعَ وَفَائي
ليتَ حبّي لم يُعلّمني أغاريدَ السماء
ليتَهُ خلّفَني في الأرضِ بينَ الأشقياء

رحمةً ، ماذا تراني أفعلُ الآنَ بفنّي ؟
هي ذي آلهةُ الشِعْرِ فهل تمسَحُ حُزْني ؟
هو ذا العودُ فهل يُسْعدُ روحي أن أغنّي ؟
رحمةً بي ، ما الذي قد أبقتِ الأحزانُ منّي ؟

أين أمسي ، وهو أحلامٌ وألحانٌ ولَهْوُ ؟
أينَ أيّاميَ إذ قلبي من الأشواقِ خِلْوُ ؟
ما الذي أبقى ليَ الحبُّ؟ أجِسْمي، وهو نِضْوُ ؟
وفؤادي ، وهو أوصالٌ ؟ وروحي ، وهو شِلْوُ ؟

إدفِنِ الأحلامَ ، يا قلبي الخياليَّ المُحَطَّمْ
واستفِقْ من قبلِ أن ينطفئَ الحُلْمُ فتندمْ
ما الذي أغراكَ بالحبِّ ؟ ومن أوحى وألهَمْ ؟
عَجَباً ، كيف ترى الشرَّ بعينيك وتحلُم ؟

إستفِـقْ من حُلْمِكَ الشِعريِّ واياسْ يا كئيبُ
ذبلتْ أغنيةُ الحبِّ ووارا‍هـــا المغيبُ
وستبقَـى ، أيّها المحزونُ ، في الشوقِ تذوبْ
أبداً ترجو رجوعاً لهـــوى ليس يؤوبُ

ثم مـــاذا ؟ أيُّ حُلْمٍ ترتجي يا ابنَ السماءِ
أنتَ في الأرضِ ، فلا تحلُمْ بلُقْيا الأوفياءِ
لا تَلُمْ شاعرَكَ الغـــادرَ وابسم للشقاءِ
والتجئْ للعودِ تَسْعَدْ يا حزينَ الشُعَراءِ

معبدي ، إفتح لقلبي البابَ ، لا تَقْسُ عليهِ
ليجـــدْ عنـــدَكَ سَلْواهُ لينسى أملَيهِ
يا لَمحزونٍ شقيٍّ مزّقَ الشوكُ يَدَيْهِ
ملءُ دنياهُ عُبوسٌ ، فابتسِمْ أنتَ إليهِ

٩ – ٨ – ١٩٤٤

عيد الانسانية

« ٨ / ٥ / ١٩٤٥ يوم الهدنـــة »

فِي دمي لحــــنٌ من الشوقِ جديدُ
والمجـــاليُّ حَــوَاليَّ نشيـــدُ
ليلتي هــــذي ابتسامٌ وسُعودُ
طـــافَ بالأفْقِ فغنّاهُ الوجودُ
هي يا قيثارتي لحــنٌ سعيدُ
هي شِعْرٌ ، هي وَحْيٌ ، هي عودُ
هـــذهِ الليـــلةُ للعـــالَمِ عيدُ
وهي ، يا قيثارتي ، الحلْمُ الوحيدُ

أينَ أوتارُكَ يا عــودي الحبيبا
شُدَّها واصدَحْ ولا تَبْقَ كئيبا
لم تَعُدْ دُنياكَ جَمْراً ولهيبــا
أنتَ يا مَنْ عِشْتَ في الكون غريبا
نَغَمُ السِلْمِ سَرَى فاحْيَ طروبا
وامــلأِ الدنيا لُحونــاً وطُيوبا
وانسَ أمساً ملأ الكونَ خُطوبا
آنَ للأفراحِ أن تمحو الكُروبا

فرحةُ الهُدْنة ، يا بُشرَى لفنّي
أأنا أحلُمُ ؟ أم تكــذبُ أُذْني؟
أم هيَ الفرحةُ قد لاحتْ لعيني ؟
حُلُمَ الصادي ورؤيا المتمَــنّي
يا إلهَ الشِعْرِ نَحِّ الصَمْتَ عــنّي
آنَ أنْ أنسى ضراعاتي وحُزْني

آن أن أُحييْ الأماني وأُغنّي
ومعي قلبي وأشعاري ولحني

أنا مَن غنَّتْ دموعَ الأشقياءِ
وبكتْ أشعارُها للأبرياءِ
كم صريعٍ قبرُهُ ثلجُ الشتاءِ
ويتيمٍ مهدُهُ شوكُ العَراءِ
وصبايا كرَعَتْ سُمَّ القَضاءِ
قبلَ أن تَرشُفَ كأساً من هناءِ
صُغْتُ أحزانَهُمُ لحنَ شَقاءِ
هو أحزاني وحُبي ووفائي

ولقد صوّرتُ أحلامي سنينا
وهي ما زالتْ سَراباً .وظنونا
وإذا الرحمةُ تُنْجي الحالمينا

بالسَلامِ الُحلْوِ ، حُلْمِ المنشدينا
وَصدَى الوحي ولحنِ الشاعرينا
لم يَعُدْ قلبُ المقادِرِ ضنينا
فابسِمي ، شاعرتي ، في الباسمينا
واملأي المعبدَ زَهْواً وفتونا

آهِ يا شاعرتي ، غنّي الأماني
واسمعي ، هذا هُتَافُ المِهْرجانِ
فالنواقيسُ ، على البُعْدِ ، أغانِ
بَشَّرَتْ بالفجر أحزانَ الزمانِ
وَصَدَى السلْمِ على كلِّ لسانِ
فاتنَ النغمةِ عُلْويَّ المعاني
إنها الفرحةُ ، يدري المَشْرقانِ
أقبلتْ تأسو جراحَ الحدَثانِ

٨ - ٥ - ١٩٤٥

ليلة ممطرة

ألآن يا نجمي تغيبُ ولم يَحِنْ وقتُ الأفولْ ؟
ألآنَ والليلُ الجميلُ يُريقُ ضوءك في الحقولْ ؟
والزَهْرُ، تحت الليلِ، نشوانٌ بمَشْرِقكَ الجميلْ؟
والنهرُ، والشطآنُ تضحكُ تحتَ أشجارِ النخيلْ

ألآنَ تغرُبُ ؟ يا لَمأساةِ الجمـــالِ الذابلِ
يا نجميَ المأسورَ في كفِّ الضَباب الشاملِ
يا فيلسوفَ الليلِ ، يا سرَّ الوجودِ الذاهلِ
عَبَثاً أناشيدي إلى أضواءِ نجم آفـــلِ

عبثاً سَهرتُ الليلَ أرنو والتفجّعُ غالبي
أتزوّدُ النظَرَ الأخيرَ إلى ضياكَ الشاحبِ
وأصوغُ ألحانَ الرثاءِ على صِباكَ الذاهبِ
وأحوكُ من دمعي الضياءَ لكلّ نجمٍ غاربِ

رحماكَ يا نجمي الجميلَ متى نهايةُ ليلتي ؟
ومتى ستنقشعُ الغيومُ وتستريحُ كآبتي ؟
قد شاقَ قلبي أنْ أُحِسَّ الصمتَ تحتَ خميلتي
وتجوبُ عيناي الفضاءَ وفي يدي قيثارتي

ما زلتُ أنتظرُ السكونَ وليس غيرُ صَدَى المطَرْ
والريحُ في سَمْعِ المساءِ تئنُّ ما بين الشَجَرْ
لا طيرَ يمرَحُ في الحقولِ ولا أريجَ ولا زَهَرْ
لا شيءَ غيرُ صراخِ رعدٍ هاتفٍ بأسى البَشَرْ

ومن الظلامِ تصاعدَتْ آهاتُ قُمْريٍّ الغصونْ
ذهبتْ بمكمنه الرِّياحُ وعزَّهُ المأوى الحَنُونْ
حيرانُ، مرتعشُ الجناحِ، مجرَّحٌ تحتَ الدُّجونْ
رحماكَ يا ربَّ العواصفِ، حسبُنا المطرُ الهَتُونْ

أينَ الفضاءُ الحلوُ؟ أين الصَحْوُ؟ أينَ سَنَا النجومْ؟
من جمَّعَ المطرَ الكئيبَ، وبثَّ في الليل الغيومْ؟
يا ريحُ رفْقاً بي ورفقاً بالعرائشِ والكرومْ
رفقاً بقُمْريٍّ المروج فقد أمضَّتْهُ الهُمومْ

قد كان في قلبي أمانٍ يا رياحُ فخُنتِها
قد كان في هذا المساءِ مفاتنٌ فمحوتِها
قد كان في المرْجِ الجميلِ عرائشٌ أذبلتِها
قد كان في ثَبَجِ السَمَاءِ كواكبٌ أطفأتِها

وبَقيتُ، في الليلِ الكئيبِ، أُصيخْ للمطر الكئيبْ
وعلى فمي اللحنُ الغريبُ، يصوغُهُ قلبي الغريبْ
وتلوحُ لي خَلَلَ النوافذِ ظلمةُ الليلِ الرهيبْ
عبثاً أُغذّي موقدي فالآنَ ينطفئُ اللهيبْ

قد حطّمَ الإعصارُ نافذتيّ وانطفأ الضياءْ
والآنَ لا أضواءَ حولي غير إبراقِ السماءْ
يا ضجّةَ الإعصارِ في الآفاقِ، يا مَطَرَ المساءْ
ألآنَ ألتمسُ الرُقادَ إلى غدٍ فإلى اللقاءْ

٦ - ١١ - ١٩٤٦

انشودة الأبديّة

« إلى القيثارة الإلهيّة التي منحت الإنسانيّة أروع الألحان ، إلى تشايكوفسكي الموسيقيّ الروسي ، ذكرى لمرور أربع وخمسين سنة على وفاته . »

ساحبٌ الحياةَ من أجلِ ألحا
نِكَ يا بلبلي الحزينَ وأحيا
سأرىْ في النجومِ من نورِ أحلا
مِكَ ظلاً مُخلَّداً أبديّا

* * *

سأناجي في الليل جُنْحاً من الأحـ
ـزانِ يوماً ألقى عليكَ ظِلالَهْ

سأحيّي في الكرمِ فيضاً من الأسـ
ـرارِ أضفى يوماً عليكَ جمالَهْ

* * *

وإذا ثارتِ العـــواصفُ في الليـ
ـلِ وراءَ الحقلِ الرهيبِ الدجيِّ

لستْ روحيَ المَشُوقةُ فيهـــا
ذكرياتٍ من روحِـكَ الناريِّ

* * *

آهِ يا أيّها المـــلاكُ إلى رو
حكَ، في الموتِ، َحنَّ روحي الحزينُ

أنا تلك التي حيـاتي على الأر
ضِ اكتآبٌ ووحشةٌ وحنينُ

* * *

آهِ لو كنتُ عشتُ مثلكَ في الما
ضي وأبصرتُ وجهَكَ العُلْويّا
لولا رأيتُ الإلهامَ يملأ عينَيْـ
ـكَ ضياءً ووجهَكَ الشاعريّـا

* * *

آهِ لو بعتُ كلَّ عمري بيومٍ
شاعريٍّ يراكَ فيه وجودي
من بعيدٍ أرنو إلى الهيكل السا
مي وأُصغي إليكَ يا معبودي

* * *

وأرى كيف يُغْـرِقُ الحزنُ مرآ
كَ وتبدو أسرارُه في عُيونِكْ
وأحسُّ ارتعاشَ قلبك للحُسْـ
ـنِ وظلَّ الشُّـرودِ فوقَ جبينِكْ

* * *

وأرى كيفَ تُرْجِفُ الوترَ المسْـ
ـحورَ كفّاكَ يا ملاكي النبيلا
كيفَ ترنو إلى الحياة وما فيـ
ـها وتَستلهمُ الوجودَ الجميلا

* * *

وأرى كيفَ يغسِلُ الدمعُ عينَيْـ
ـكَ وتبكي في وحشةِ الإنفرادِ

وأرى كيفَ يرقُصُ الألمُ الطا
هرُ في مقلتيكَ قبلَ الرُّقادِ

* * *

كيف يأتي الدُجَى عليك فترنو
في ذُهولٍ إلى ظـــلالِ الماضي
بينَ فكْ الذكرى يعذّبُكَ الشو
قُ وتبقىٰ في رَعْشةٍ وانتفاضِ

* * *

كيفَ تحتَ الدُجَىٰ تهيمُ على وجـ
ـهكَ بحثاً عن لحظةٍ من هدوءِ
هارباً من صُراخِ نفسك من دُنْـ
ـياكَ من عالمِ الوَرَىٰ الموبوءِ

* * *

أيّها الموتُ أيّها الماردُ الشرّ
يرُ يالعنـــةَ الزّمانِ العنيدِ
كيفَ ترضى يداكَ أن تقتلَ الإلـ
ـهامَ ؟ ماذا تركتَهُ للوجودِ ؟

* * *

سوف تفنى يداكَ أنتَ ويبْقى
ظلُّ ذاكَ الطيرِ الجميلِ الوديعِ
سوف تبقى نجواهُ تخفقُ فوقَ الأ
رضِ بالحبّ والجمال الرفيعِ

* * *

أيُّها الحاقدُ الترابيُّ أمّا
أنتَ فاحقدْ وعشْ على الأضغانِ
إنّهُ الآنَ فوقَ حقدِكَ فوقَ الأ
رضِ ، فوقَ الفناءِ والنسيانِ

٣ - ٦ - ١٩٤٧

على الجسر

يا نهرُ لا تحفظْ دموعي أو أسى قلبي المروّعِ
أكتمْ حنانَك.. ما تساقطَ في مياهك من دموعي

ذهبَ المساءُ بكلِّ ما أبصرتَ من حزني العميقْ
ومحا الدُّجى من عُمْرِ يأسي ليلةً لن تستفيقْ

إنْسَ الذي أبصرتَهُ بالأمسِ من أحزانيه
واكتمْ أسايَ وأدمعي تحتَ النُّجومِ الحانيه

إنسَ الخطَى المُتَعَثّراتِ وصوتيَ المتهدِّجا
والدمعَ ، يخنُقُ كلَّ ألفاظي بكفٍ من شَجا

رحماكَ أنتَ الكاتمُ الحاني على المتأوِّهينْ
وحنانُ موجِكَ كم طوَى قلباً يعذّبُهُ الحنينْ

أنتَ الذي شَهِدَتْ مياهُكَ أدمعي وتردّدي
أنتَ الذي سمعتْ ضفافُكَ آهتي وتنهّدي

ومَشَيْتُ فوقَ الجسر أبكي أمنياتي في سكون
وأُديرُ وجهي،نحو موجكَ، عن عُيونِ العابرينْ

أحزانُ حبّي كلُّها ، في شاطئيكَ ، نَفَضْتُها
أسرارُ روحي كلُّها ، تحتَ الظلامِ ، نَثَرْتُها

لمْ أستطِعْ، يا نهرُ، كِتمانَ العواطفِ والشُعورْ
مَنْ يمنَعُ السيلَ القويَّ من التَدفُّقِ والمَسِيرْ؟

وإذا طَغَى الحزنُ العميقُ فمن يَرُدُّ هديرَهُ؟
واذا ذوى الأملُ الجميلُ فمن يُعيدُ عبيرَهُ؟

عَبَثاً أقاومُ نارَ أحزاني فلن يخبوْ اللهيبْ
أبداً تُذكّرني الحياةُ بروعةِ الماضي الحبيبْ

حُلمٌ إلهيٌّ الجمَالِ رسمتُهُ تحت النُجومْ
وبنيتُهُ قصراً من الزَهْرِ المنضَّرِ في الغيومْ

وصَبَبْتُ فيه، من حَياتي، صفوَها ونَقاءَها
ونثرت فيه، من زُهوري، عِطْرَها ورُواءَها

وهُرِعْتُ ، كالطفلِ النقيِّ ، إلى رجائي الأوحدِ
فرأيتُ قصري الحُلْوَ أطلالاً تثيرُ تنهّدي

لا شيءَ يمحو ذِكْرياتِ الأمسِ من قلبي الكئيبْ
لا نورَ ينفذُ في ظلامي ، لا انطفاءٌ للّهيبْ

في عُمْقِ أعماقي أعاصيرٌ يُجَنُّ جُنونُها
وعلى جفوني رَسْمُ أحلامٍ يَضِجُّ حنينُها

إيّانَ أنجو من ظلالِ الأمسِ ، أينَ ترى المَفَرْ ،
والليلُ يعكسُ ذكرياتي ، والأغاني والشَجَرْ ؟

يا نهْرُ فلْتَدفِنْ شِكَاياتي ومُرَّ شُجونها
الآدميّةُ إن بكتْ فلِضَعْفها وجنونها

٢٥ - ٩ - ١٩٤٦

الى الشاعر كيتس

الإشـــارات إلى قصيدته .

« Ode to a Nightingale »

حياتي وآلامُ روحي الحزينْ
وأحــــلامِيَ المُرّةُ الذاويـه
وموكبُ أيّاميَ الذاهبـــاتِ
وأطيافُ أيّاميَ الآتيــــه
تَجَمَّعْنَ في باقةٍ من عبـــير
ثَوَتْ خلفها روحيَ الفـانيه

وأهديتُها نَغَماً حالما
إلى روحكَ الحُرّةِ الباقيه

حياتيَ ، يا شاعري ، كلها
حياةُ فتاةٍ من الحالمينْ
إلهيَّةُ الروح لكنَّها
على الأرضِ حَفْنَةُ ماءٍ وطينْ
تُعذّبها صَرَخاتُ الأَسى
وتُرْعِشُها صَدَماتُ السنينْ
ولولاكَ ما وجدتْ في الثرى
عزاءً ، ولم يَجْتذِبْها الحنينْ

أناشيدُكَ الخالداتُ العِذاب
نشيدي وأغنيتي الهاتفه

فكم ليلةٍ من ليالي الشتاء
دفعتُ بها ضَجَّةَ العاصفه
وأسمعتُها النارَ في مَوْقدي
وغنّيتُها الظُلَّةَ الوارفه
وأيقظتُ في ظلّها فِتْنتي
ونارَ عواطفيَ الجارفه

وكم في ليالي الخريفِ الكئيب
وقفتُ أحدّقُ عند النَهَرْ
أصيخُ إلى صوتِ قُمْريَّةٍ
سَجَتْ فوقَ بعضِ غُصونِ الشَجَرْ
أُفتشُ في صَوْتِها عن شَجَاكَ
وشكواكَ بين الأسى والفِكَرْ
وأسألُها عن شَبابٍ ذَوَى
وظلٍّ صِباً راقدٍ في الُحفَرْ

أقولُ لها : صَوِّري من جديد
ظلامَ المساءِ الكئيبِ البعيدْ
وما كانَ من شاعري في دُجَاه
وآهـاتِهِ وأساهُ المُبيدْ
صِفي حُزْنَهُ عند رأسِ المريض
ووحشتَهُ والرَجَاءَ البَديدْ
صفي ذلك الجَسَدَ الآدميَّ
وما قالَ عندَ وَدَاعِ الوُجودْ

صِفِي شاعري كيف أمضى المساء
على قَدَمَيْ ذلكَ الميِّتِ
يُصيخُ إلى النَغَماتِ الحَنون
ويُطْرِقُ إطراقةَ المُنْصِتِ
صفيهِ ، كما أرعشتْهُ الحياة

أَسىً، تحتَ سيف الرَدى المُصْلَتِ
على كفِّهِ رأسُهُ الشاعريُّ
وحيداً ، إلى جانب الجُثّةِ

وكيف تولّى المساءُ الحزين
على شُعْلة الشَمْعةِ الشاحبه ؟
وهل صَرَخَتْ في الظلام الرياح
كما صَرَخَتْ نفسُهُ الصاخبه ؟
« هنالكَ حيثُ يموتُ الشباب
وتَذْوي أشعتُهُ الغاربه »
هنالكَ حيثُ الذهولُ الغريب
يودِّعُ روحَ المُنى الذاهبه

وتَمْضي الليالي إلى قَبْرِها

وتَمْشي الحياةُ مع الموكبِ
أسيرُ أنا في شِعابِ الوجود
أُفتِّشُ عن حُلمي المُتْعَبِ
تُخادعُني كلُّ قمْريّةٍ
وتعبَثُ كلُّ الأغاريدِ بي
وما زالَ طيفُكَ طيَّ الخفاء
تُحَجّبُهُ ظُلْمةُ المَغربِ

٦ - ٢ - ١٩٤٧

الفيضان

– ١ –

« صوت التشـــاؤم »

هيَ ذي يا ظلامُ عاشقةُ الليـ
لِ تُطيلُ التحديقَ تحت الدَّياجي
وقفتْ عندَ شاطىء النَهْرِ تُصْغي
لأنـينِ الرِّياحِ والأمــواجِ
وتَرَى الليلَ غيهباً راعبَ الظلِّ
على رائــعٍ منَ الأثبــاجِ

وتُحسُّ الحزْنَ العميقَ لحقلٍ
أغرقَتْهُ المياهُ خلفَ السِّياجِ

* * *

وقفتْ في الدُجى تُحسُّ الأسى المرَّ
وتبكي في مَسْمع الظُلُماتِ
وترَى بالخيالِ ما حلَّ بالقَرْ
يةِ والبائسين من وَيــــلاتِ
فَجَأَتْهم، تحتَ الدُجى، لجّةُ المو
جِ فباتوا صَرْعى القَضاءِ العاتي
ومَضَوا يضربونَ في ظُلمة الليـ
ـلِ وما من منجىً من المأساةِ

* * *

وتعالى تحتَ الظـــلام صُراخٌ
ردَّدتْهُ الرِّياح للأشجارِ

هو صوتُ الأحياءِ، في لجَّةِ المو
تِ وصَرْعى الأمواج والأقدارِ

عبثاً تضرعينَ، عاشقةَ الليـ
ـلِ لقلبِ الظَّلامِ والأسرارِ

عبثاً فالحياةُ سنَّتُها الحـــز
نُ وحكْمُ الآهاتِ والدمعِ جارِ

- ٢ -

« صـــوت الأمـــل »

سِرْ بنا سِرْ يا زورقَ الأملِ العذْ
بِ وإن أسْدلتْ ستورُ الظلامِ
وتَعَالَىْ الدويُّ في النَهَرِ البـــا
كي على مَسْمع القلوبِ الدّوامي
سِرْ بنا لن نخافَ من ضجّة المو
جِ ولن نرهبَ العُبَابَ الطامي

نحنُ في الموجِ دَفّةٌ طالما لا
قتْ رياحَ الأقدارِ والأيّامِ

* * *

سِرْ بنــا حيثما يُريدُ لنا المجـ
ـهولُ سِرْ في هذا الوجودِ الحزينِ

لن تنالَ الحياةُ منّا فقد ذُقْـ
ـنا أَساها في عُمْـرنا المغبونِ

ورمتْنا أحزانُهـا فصَبَرْنا
وغداً مَغرِبُ الأسى والشُّجونِ

وغداً تنضَبُ الدموعُ وتَفْنَى
ضجّةُ الموج في عميقِ السكونِ

* * *

سوف تصفو الأمواجُ في لجّةِ النَهْ
رِ ويخبو الإعصارُ خلفَ التلالِ

وتعود النخيلُ تضحكُ للشطِّ
كما كنَّ في الليـــالي الخوالي

ويعودُ الملاّحُ يخرُجُ بالزو
رقِ نشوانَ ضاحكَ الآمالِ

هكذا يرجعُ الصفاءُ إلى الوا
دي ويغفو على جَمالِ الليالي

ـ ٣ ـ

« صـــوت الشاعـر »

مُغرَقٌ في خيالِهِ شاردُ العَيْـ
ـنَيْنِ مُستسلمٌ إلى الأحـــلامِ

يذرَعُ الضِفّةَ الجميـــلةَ مفتو
ناً بصوتِ الأمـواج والأنسامِ

ويَرَى اللُّجّةَ الرهيبةَ سِحْراً
وينابيـعَ فِضْنَ بالإلهـــامِ

وعلى البُعْدِ منظرُ النَخْل في النهـ
ـرِ ومَرْأى التلالِ والآكامِ

* * *

هكـذا الشاعرُ الخياليُّ يمضي
يومَهُ في الأوهامِ والألحانِ

ويَرَى في طُغيانِ مائكَ يا نهـ
ـرُ جَمَـالَ الطبيعة الفتّانِ

فهو ذاكَ الطيرُ المغرّدُ بالشعـ
ـرِ نبيُّ الخيالِ والألوانِ

تتصبّاهُ موجةٌ تَغْسِلُ الشطَّ
ونهـــرٌ داوٍ ولُجٌّ قانِ

* * *

كلُّ ما في الطبيعةِ الحلوة المفْـ
تانِ يُوحي لقلبه بالغنـــاءِ

كيف لا وهْوَ ذلكَ الشاعرُ المُرْ
هَفُ وآبنُ الخيال والإيحاءِ

عاشقُ الصَحْوِ والغيومِ الحزينا
تِ وشادي الضياءِ والظلماءِ

ورسولُ السماءِ للعالم البا
كي وصوتُ الأمواتِ والأحياءِ

(١٩٤٦)

الخطوة الأخيرة

إشهدي أيتُها الأشجـارُ ، أَنّي
لن أُرَى ثانيةً تحتَ الظِلالِ
ها أنا أمضي فـلا تبكي لحُزْني
لا يُعذّبْـك اكتآبي وابتهالي

خُطُواتي ، في الدُجَى لا تحسبيها
انّهـــا آخِرُ ما أخطو هُنَا
انّها رجْـعُ أغانٍ لنْ تَعِـيها
سوف تَذْوي مثلَما أذوي أنـا

خطواتي ، أيُّ رجْعٍ مُحْزنٍ
آهِ لو لم أسمعِ الصوتَ الكئيبا
ليتني أفقِدُ حسّي ، ليتني
لم أشاهدْ ذلكَ الحُلْمَ الغريبا

أيُّ حلمٍ ذابلٍ فوقَ الرمالِ
صُغْتُ فيه كلَّ موسيقى حياتي
كلَّ أحلامِ شبابي وخيالي
كلَّ ما في خافقي من نَغَماتِ

ها أنا أرحلُ ، يا أشجارُ ، عنكِ
تحتَ عبءٍ من شُرودي وخشوعي
ليتني أجرؤ أن أُلْقيْ عليكِ
نظرةً ثانيةً ، دونَ دموعِ

لن تُحسِّي ، في غدٍ ، وقْعَ خُطايا
فأنا ، يا أخواتي ، لن أعودا
كلُّ أحلامي وأضغاثِ رؤايا
عُدْنَ يأساً صارخاً ، عدن شرودا

سوف أُلقي العودَ في الظلِّ وأمضي
أيُّ معنىً ، بَعْدُ ، للعودِ الرقيق؟
سوف أحيا ،يا سمائي،فوقَ أرضي
سوف أطوي النورَ في قلبي العميقِ

وَوَداعاً ، أنتَ يا حُلمَ شبابي
أنتَ يا من صغتُهُ خمسَ سنينْ
ها أنا أدفن ، في الأرض ، رغابي
وأُواري أملي المُرَّ الحزينْ

ألمرّاتُ الجميلاتُ ستبكي
فوق ذكرايَ ولكن لن أعودا
حسبُ روحي،أيُّها الأشجار، منك
أنّ ذكرى رَغباتي ، لن تَبيدا

وأنا ؟ لا تجزعي ، حسبك منّي
انّ ذكراكِ بقلبي سوف تحيا
كلُّ جذْرٍ منك في أعماق فنّي
سوف يبقى شاعريّاً أبديّا

آه يا أشجارُ ، لا ، لا تذكريني
فأنا تمثالُ ياسٍ بَشَريٍّ
ليس عندي غيرُ آثارِ حنيني
وبقايا من شقائي الأبديِّ

كنت يوماً خافقاً ، بينَ الغيومِ
أَسْكُبُ الأحلامَ في عُمْق حياتي
تصعَدُ الآمالُ بي فوق النجومِ
ويصوغُ الشعْرُ أحلى رَغَباتي

أيُّها العودُ ، وَدَاعاً من حياتي
هبطَ الليلُ وقد حان رحيلي
إِمْحُ ما قد كان ، إمسَحْ نَغَماتي
إنْسَ أنغامَ شَقَائي وذُهولي

لن تعيْ ، في الغد ، أنغامَ أسايا
وترانيمَ سروري وشَقائي
فانسَني ، ها قد نَأى رجعُ خُطايا
ها أنا أغرقُ ، في قلبِ المساءِ

١٩٤٦

من الشعر المترجم :

البحر

للشاعر الانكليزي جورج غوردن بايرون
من قصيدته الطويلة :
childe Harold pilgrimage

أيها البحر أيُّها الأزرقُ الدا
كنُ إهدِرْ ما شئتَ في الظَلْماءِ
ساخرَ الموج من قُوَى الآدميّـ
ـنَ عميقاً مُـــدَوِّيَ الأنواءِ
مَخَـرَتْ في العُبابِ منكَ الأساطيـ
ـلُ وتاهتْ في موجكَ اللانهائي

وَبقِيتَ المجهولَ يرهبُكَ الإنـ
ـسانُ وهو الطاغي على الأشياءِ

* * *

كلُّ ما عندَهُ من القوّةِ الهَوْ
جاءِ يا بحرُ عند شطّكَ يعيَى

فهو يَطْغَى في الأرض بالشرِّ والتخـ
ـريبِ لكن تَظَلُّ أنتَ عَتيّا

وتَظَـلُّ الأمواجُ منكَ كما كا
نتْ حمىً زاخراً وسطحاً سويّـا

ما عليها ظلٌّ لطُغْيانِ مخـــلو
قٍ سيبقَى على الزمانِ صَبيّا

* * *

ذلك الحيُّ ليس يُترُكُ من ظلٍّ
سوى ظلِّهِ على الأمــــواجِ
عندما تحتويه أمواُجكَ الهو
جُ فيَـهْوي في لُجّةِ الأثباجِ
صارخاً هابطاً إلى عُمْـقٍ أعما
قكَ مَيْتاً تحتَ الفضاءِ السَّاجي
دونَ قـــبر يضُمُّ أشلاءَهُ أو
كَـفَـنٍ غيرَ رائعاتِ الدّياجي

* * *

كلُّ ما فوقَ موجك الخالدِ الجبّـ
ـارِ ما إن يُبْقي بقايا خُطَاهُ
ومسافاتُكَ البعيـــداتُ ليسَتْ
أيّـها البحر مـــا تنالُ يَداهُ

أيُّها المزدري بطُغْيانِه المكـ
ـذوبِ يا ساخراً بكُنْهِ قواهُ
إنَّه ذلكَ الضعيفُ إذا جا
ءَكَ يوماً وأبصرَتْ عيناهُ

* * *

تتلقّاهُ موجةٌ بعدَ أخرى
منكَ يا بحرُ في ظلامِ المساءِ
ثم ترمى به الرياحُ المُخيفا
تُ رُفاتاً مَيْتاً إلى الأجواءِ
فإذا ما خبا جُنونُ الأعاصيـ
ـرِ وماتتْ أصداؤها في الفضاءِ
عادَ شِلْواً إلى حِمى الشاطىء السا
جي وجسماً على حِفافِ الماءِ

* * *

أيّــها البحرُ آهِ ما هذهِ الأسـ
ـوارُ تحت الحديد والنيرانِ ؟
أيُّ شيءٍ هذي القلاعُ الرهيبا
تُ ؟ وما سرُّ ذلكَ الطُـغْيانِ ؟
لُقّبوا سادةَ البحارِ ومــــا هُمْ
غيرُ طيفٍ من الغُـرورِ الفاني
تتلقّاهُم قُوَى موجِـــكَ الرا
ئعِ بالموتِ والأذَى والهوانِ

* * *

كلُّ شيءٍ في السّاحل الشاسع النا
ئي يُطيعُ الموتَ البطيءَ العتيّا
كلُّ شيءٍ يَبْلَى وتلبث جبّا
راً كما كنتَ ساخراً أبديّـــا

أين آشورُ ؟ أينَ روما وقرطا
جةُ ما عادَ ذكرُها قَطُّ يحيا
ذهبتْ كلُّها وماتتْ وما زلـ
ـتَ كما كنتَ أيّها البحرُ حيا

* * *

كل تلك السواحلِ الحلوةِ الغنّـ
ـاءِ عادت تحتَ الزّمان صَحَارَى
يتمشّى فيها الغريبُ وكانت
أمسِ دنيا تفيض نورا ونارا
وتبقّيْتَ أنت مثلَكَ بالأمـ
ـسِ عميقاً مدوّيـاً جبّارا
لم يغضِّنْ جبينَكَ الزَمَنُ الما
ضي وما زلت جارياً قهّارا

* * *

منذ أن شبَّتِ الخليقةُ أنتَ الـ
ـبحرُ تحت الضياءِ والظُلُماتِ

كلُّ شيء كما رأى البَشَرُ الفا
نونَ باقٍ وأنتَ أنتَ العاتي

أبداً أنتَ ذلكَ اللانهائيُّ
المُدَوِّي في مَسْمع الداجياتِ

أبداً أنتَ سرمديٌّ خفيٌّ
في السكونِ الساجي أو العاصفاتِ

* * *

وأنا أيّها المُحيطُ المدوّي
عاشقُ الموجِ والحَصَى والرمالِ

طالما سرتُ، في صبايَ، على الضفّـ
ـةِ مُستَغْرقاً بوادي الخيالِ

طالما سرتُ شارداً مثلَ أموا
جكَ نشوانَ ضاحكاً للمجالي
كلّ حلْمي أن يحتويْ زورقي مو
جُكَ يومـــاً فترتوي آمالي

* * *

كيفَ يا بحرُ كيفَ تَنْسَى مَرَاحي
عندَ أمواجكَ الجميلاتِ أمسِ ؟
عندما في طفولتي كنتُ ألهو
في شواطيكَ بين بِشْري وأُنْسي
طالما من أمواجك الباردات الـ
ـبيضِ أترعتُ في الأماسيِّ كأسي
ليتَ شعري فهل نَسِيتَ أغاريـ
ـدي وحبّي الطاغي وفورةَ نفسي؟

١٨ - ٦ - ١٩٤٦

مرثية في مقبرة ريفية

« ترجمة للقصيدة المشهورة :
An Elegy Written in a
Country Churchyard
للشاعر الانكليزي توماس غري »

في المساء الكئيب والجرس المحـ
ـزونُ ينعى النهارَ للأجواءِ
والقطيعُ المكدودُ ينسابُ في المر
ج بطيءَ الخطى كئيبَ الثُغَاءِ
والفتى الحارسُ المَؤودُ إلى المأ
وى يجرُّ الخُطَى من الإعياءِ

تاركاً هذهِ المجـــالي الحزينا
تِ لقلبي أنـــا وللظَـلْـماءِ

* * *

سوفَ يخبو النورُ الملألئ في الأفـ
ـقِ بعيداً على أمتدادِ السهوبِ
والفضاءُ الممتدُّ يغمرُهُ الليـ
ـلُ فلا شيءَ غيرُ صمتٍ رهيبِ
ليس إلا حفيفُ أجنحةِ الأطـ
ـيارِ في جوِّها الدجيِّ الكئيبِ
ودويُّ الأجراسِ ينشُرُ فوق الـ
مَرْجِ وهْمَ الكَرى وصمتَ الغيوبِ

* * *

ليسَ إلاّ قمريّةٌ يُرْسلُ الشكْ
وَى الى البدْر قلبُها المغبونُ

ـر ُ وأخفتـهُ في الظلال ِ الغصونُ

تتشكّـى الذينَ مرُّرا بدنيـــا

ها فلم تَدْرِ ما عسَى سيكونُ

عكّـروا العُـزْلةَ القديمةَ والصمـ

ـتَ فدوَّى هُتَـافُها المحزون ِ

* * *

ها هُنا في الظلال ِ من شَجَر السَّرْ

وِ وبينَ الأغصانـ ِ والأشجار ِ

حيثُ تعلو الرمالُ والعُشْبُ ينمو

بينَ هذي الكُـثْبان ِ والأغوار ِ

رَقَدَ الراحلونَ من ساكني القَـرْ

يَةِ بين الرمــال ِ والأحجار ِ

أسلمتْهم أيدي المنونِ الى ضِيـ
ـقِ قبورٍ تحت الثرَى المُنْهارِ

* * *

رقدوا فابتسامةُ الفجرِ لا تُو
قظُ دنيــاهمُ على الأنْسَامِ
ومراحُ الطيورِ في أسقُفِ الأكـ
ـواخ ِما إن يُصْحيهمُ من مَنَامِ
رقدوا الرقدةَ الأخيرةَ في الوا
دي الدجيِّ الحزينِ وادي الحِمامِ
ليسَ تُغْريهمُ هُتَافاتُ بوقٍ
كيف تُغْرَى هياكلٌ من عظامِ ؟

* * *

رقدوا في العَرَاءِ تحتَ الثلوجِ الـ
ـبيضِ لا موقدٌ ولا نيرانُ

ومضَوْا فالبيوتُ خاويةٌ منـ
ـهُمْ وفي قلب أهلها أحزانُ
لا صِغارٌ تخفُّ جذْلى مساءً
تتلقّـاهُمُ ولا أحضانُ
يا لتنهيدةِ اليتامى فما يَرْ
جِـعُ آباؤهم إلى ما كانوا

* * *

كم تعرّتْ سنابِلُ القمح في أيـ
ـديهمُ كم ترنّموا في السهولِ
ولكم شقّتِ الحقولَ محاريـ
ـثُهُمُ فازدهتْ زهورُ الحقولِ
وبأيِّ الأفراحِ ساقوا إلى المأ
وى قطيعَ الأغنامِ عند الأصيلِ

ولكم أخضَعوا من الشَجَرِ الصلـ
ـدِ وألقَوْا بساقِهِ في الوحولِ

* * *

ليسَ للهازئينَ أن يَحْقروا جُهْـ
ـدهُمُ أو طُموحَهُمْ في الحياةِ
أو مَسرّاتِهم وذكرَهُمُ المغـ
ـمورَ بالفقرِ والشّقاءِ العاتي
رحمةً لا تكنْ دموعُ الحزانى
بَسَماتٍ في الأعيُنِ الساخراتِ
ليسَ للأغنياءِ أن يحقروا عُمْـ
ـرَ فقـيرٍ مَحْياهُ للآهاتِ

* * *

أوَليستْ هذي الحياةُ سَرَاباً ؟
أوَليسَ الفَنَاءُ عُقْبَى سَنَاها ؟

أو تُنْجي الألقابُ أو مِنَحُ المجـ
ـدِ إذا ما الحِمامُ أحْنَى الجباها ؟

يا لَوَهْمِ الأحياء كم من حضارا
تٍ أطافَ البِلَى بها فمحاها

كلُّ ما في الحياةِ يُنْهي الى القبـ
ـرِ فما مجدُها ؟ وما جَدْواها ؟

* * *

لا تَلُمْهم يا أيّها الكائن المغـ
ـرورُ إن لم يَرُقْ هواكَ الثويُّ

لا تَلُمْهم إن لم يَشِدْ فوقَهُ المجـ
ـدُ التماثيلَ أيُّهــا البَشَريُّ

ها هُنَا لا قُبَابَ لا قوسَ نَصْرٍ
ليسَ إلاّ سرُّ الرَّدَى الأبديُّ

وهُوَ المرقَــدُ الأبيدُ لقوم
لم يُرنِّمْ مديحَهُمْ آدميُّ

* * *

ليتَ شِعْري ماذا تقولُ التماثيـ
ـلُ لميْتٍ؟ وما غِنَى الأقواسِ؟
ألها أن تَرُدَّ للكائنِ الحيِّ
إذا ماتَ خامدَ الأنفاسِ ؟
وهُتَافُ المديحِ هل هُوَ يوماً
بالغٌ مَسْمَعَ الحِمامِ القاسي ؟
ونفاقُ الأحياءِ هل يمنَحُ الأجـ
ـداثَ والموتَ رعشةَ الإحساسِ؟

* * *

لستَ تدري مَنْ حلَّ في هذهِ البُقْـ
ـعةِ تحتَ الترابِ والأشواكِ

علَّهُ كان شاعراً طاهرَ الرُّو
حِ تَحبَّتْهُ السماءُ قلبَ مَلاكِ
علَّهُ العبقريُّ لو أمهَلَ المو
تُ لقاد الدُنْيا إلى الأفلاكِ
علَّهُ الملهَمُ الذي يوقِظُ النا
يَ فيفترُّ كلُّ قلــــبٍ باكِ

* * *

عبقريّاتُهُم زَوَتْهـــا المآسي
ومَحَتْ ضوءها يــدُ الأقدارِ
فهُمُ الجاهلونَ ما رفرفَ العِلْـ
ـمُ عليهم بجُنحِهِ الطيّارِ
وهمُ البائسونَ أطفا بردُ الـ
ـفَقْر فيهم نبعَ اللهيبِ الواري

* * *

يا لَظُلْمِ الأقدارِ كم ماسةٍ حَسْـ
ـناءَ ظلّتْ في ظُلْمة الأعماقِ

أخفتِ اللُجَّةُ العميقةُ لألا
ها فيا ضيعةَ السَّنا الألاّقِ

كم زهورٍ زجَّى بها القَدَرُ القا
سي بعيداً عن أعيُنِ العُشّاقِ

تبعثُ العِطْرَ والفُتونَ الى جوّ
الصَحَاري ودُجيـــةِ الآفاقِ

* * *

ربّما كان تحتَ هذا الثَرَى العا
ري قلوبٌ شواعرٌ وعُقولُ

رُبّما كان تحتها (هامدنٌ) ثـا
ـنٍ زَوَاهُ مقرُّهُ المجهولُ

أو فتىً مثلَ (ملتنٍ) الشاعر الملـ
ـهَمِ أخفاهُ صمتُـهُ والذُهولُ

رُبّما كان تحتَـها (كروملٌ) آ
خَرُ لم يُصْبِـهِ الدمُ المطلولُ

* * *

حرَمَتـهم أيدي القَضَاءِ نعيمَ الـ
ـعيشِ واستعبدتْـهُـمُ الآلامُ

فهُـمُ حيثُ لا مجالسَ لا تصـ
ـفيقَ حيثَ المحْـيا هُدىً وسلامُ

وهُمُ حيثُ ليسَ يُهْـزَأ بالآ
مِ الحزَانَى وتُحْـقَـرُ الأيتامُ

وهمُ البائسونَ أرضُهمُ قفْـ
ـرٌ وأيّامُهمْ طوىً وسقامُ

* * *

غيرَ أنّ الشقاءَ أخمد في دنـ
ـياهُمُ الإثْمَ والأذى والغرورا
فإذا هُمْ ولا جرائمَ تُدْمي الأ
رضَ من حولهم ولا تدْميرا
لم يخوضوا الحروبَ سَعْياً إلى المجـ
ـدِ ولم يَعْرفوا الدمَ المهدورا
والليالي مَدَّتْ لهم سُبُلَ الرحـ
ـمةِ فاستعذبوا الشعورَ الطَهورا

* * *

وهُوَ الفَقْرُ ردَّ أنفُسَهم بيـ
ـضاً من الشرِّ والأذى والحقودِ

فإذا طافَ باطـــلٌ بحِماهُمْ
فاحمرارُ الحياءِ لونُ الخدودِ

ليسَ فيهم من سَخَّرَ الشعرَ والفنَّ
عبيداً للمَـطْـمع المحدودِ

ليس فيهم من داسَ آلهة الفنّ
على مَذْبـــح الغِنَى المنشودِ

* * *

ولقـد أمضَـوا الحياةَ بعيدِيـ
ـنَ عن النّار واحتدامِ الصراعِ

ملأتـهم ألوانُ أحلامهم نُبْـ
ـلاً فلم تُغْـرِهم رؤى الأطماعِ

عـــبروا واديَ الحياةِ سُكوتاً
مُغْـرَقي العُمْـرِ في صفاءِ الطباعِ

لهوهم مُنْبَع يفيضُ على الأر
ض ٍ وناي ٌ نشوانُ في فم راع ِ

* * *

رقـــدوا والقبورُ عارية إلاّ
من الصمتِ والهـدوء الحزين ِ
وعلى البُعْدِ تلمحُ العينُ تمثا
لاً ضئيلاً يبكي لصَرْعى المنون ِ
كُتبتْ تحتهُ قوافٍ وأشعـــا
رٌ تغنّي لمن ثَوَوْا في الطين ِ
يسألُ العابرينَ آهـــة حُزْن ٍ
لقبور ٍ تحتَ الدُجَى والدُجون ِ

* * *

القبورُ التي حنتْ ريشةُ الشعـ
ـر ِ عليها بلحن ٍ حُزْن ٍ حائرْ

فإذا اللحنُ لحـــنُ شادٍ مقلٌّ
ليس فيه إلاّ تفجُّعُ شـــاعرْ

القبورُ التي على صَخْرهـــا لحـ
ـنُ رثاءٍ يُثيرُ دمـــعَ العابرْ

ويُنادي الأحياءَ أنّ حياةَ الـ
ـمرءِ حُلْمٌ عُقْباهُ صمتُ المقابرْ

* * *

أيُّ نفسٍ ترَى يهونُ عليها
أن تُوَارَى في لجّةِ النسيانِ ؟

ولتكن هـــذهِ الحياةُ شقاءً
من ترَاهُ يرتاحُ للأكفانِ ؟

أيُّ قلبٍ يرْضَى مغادرةَ الأر
ضِ بلا حَسْرَةٍ ولا أحزانِ

وهْيَ أفْقُ الأضواءِ والسحْرِ والأشـ
ـعارِ والقبرُ عالَمُ الديدانِ ؟

* * *

وهي الروحُ حينَ ترحَلُ تهفو
لفؤادٍ حانٍ وصدرٍ خَفوقِ
والعيونُ المودِّعـــاتُ يُعَزّيـ
ـها أسى مُشْفقٍ ودمعُ صديقِ
ومن القبرِ ذلك المظلمُ البـــا
ردُ يعلو صوتُ الزّمانِ العميقِ
آهِ حتّى في شِلْوِ أجسادنا الميْـ
ـتةِ تبقى آثارُ ذاكَ البريقِ

* * *

آهِ ياشاعري وأنتَ ؟ وقد خَلَّـ
ـدتَ ذكرى الأمواتِ والبائسينا

أنتَ يا من قَصَصْتَ أنباءهم شِعْـ
ـراً وذوّبتَ قلبَكَ المحزونا
علَّ روحاً تقودُهُ الوحدةُ الخر
ساءُ يوماً إلى حِمَاكَ حنينا
علَّهُ سائلٌ غداً عن أغانيـ
ـكَ وما قد جرّتْ عليكَ السنونا

* * *

أيّها الشاعرُ الوفيُّ وقد يَهْـ
ـتُفُ قلبٌ ثانٍ يُجيبُ السؤالا :
طالما قبّلتْ خُطاهُ ثَرَى الوا
دي صباحاً وجابتِ الأدغالا
طالما سارَ مُسْرعاً تنفضُ الأنـ
ـداءَ أقدامُهُ وتطوي التلالا

ليُلاقي إشراقةَ الشمس فوقَ الـ
قِمَمِ الخُضْرِ فتنةً وجمـــالا

* * *

ها هُنَا في الظلالِ من شَجَرِ البلّـ
ـوطِ بـين الأغصانِ والأفياءِ
طالما مدَّ جسمَهُ الخـــائرَ المكـ
ـدودَ مُسْتَسْلماً لأيدي القضاءِ
سابحاً في الخيالِ مُغْرورقَ العيـ
ـنينِ نَهْبَ اكتآبةٍ خَرْساءِ
أبداً يرقُبُ السواقيَ حـــيرا
نَ ويُصْغي إلى خريرِ الماءِ

* * *

كم رأيناهُ شارداً في المجـــالي
وعلى ثغرِهِ ٱبتسامةُ ساخرْ

كم لحناهُ حالِمَ القَلْبِ يحتثُّ
خُطَاهُ بينَ الروابي النواضِرْ

تارةً ضاحكاً وآنــاً حزيناً
شاحبَ الوجْـهِ مُغْرقاً في الخواطرْ

قوّستْ ظهرَهُ همومُ الليــالي
وقَضَتْ بالأسى عليهِ المقادِرْ

* * *

طالما سارَ شاردَ الخطوِ مكدو
داً كسارٍ ضلّتْ بـه قَدَماهُ

أو كمن أخلصَ الغرامَ فلم يَلـْ
ـقَ سوى البُغْضِ والجفاءِ هواهُ

أو كمن وشّحَ الشقاءُ لياليْـ
ـهِ وماتتْ أحلامُه ورؤاهُ

أو كمن عاشَ حالمَ الروحِ بالنو
رِ فلم يرحمِ الظـــلامُ مُنَاهُ

* * *

وأتى الفجرُ ذاتَ يومٍ فــــلم أعـ
ـثرْ على الشاعرِ الشريدِ النبيلِ
لم أجدْهُ على التـــلال الحبيبا
تِ إلى قلبه ولا في السُّهولِ
ومَضى اليومُ ثمَّ أقبلَ ثانٍ
والفتى في مَقَرِّهِ المجهـــولِ
لا إلى جانب الجداولِ ألْـفيـ
ـهِ ولا في الرُبَى ولا في الحقولِ

* * *

وأتاني الصَبَاحُ بالنبـــأ المجـ
ـهولِ فالشاعرُ الحزينُ صريعُ

حملوهُ على الأكُفِّ وألحـــا
نُ المراثي تفجُّعٌ وخُشوعُ
آهِ يا عابرَ السبيلِ اقترب واقـ
ـرأ رثاهُ فذاكَ ما تستطيعُ
كتبوهُ على حجـــارةِ قبرٍ
مـا بكتْهُ غيرَ الدجونِ دُموعُ

« الكلمات المكتوبة على القـــبر »

ها هنا في الترابِ في ظُلَّـة الشو
ك وســـادٌ لشاعرٍ محزونِ
جهلتْهُ الحظوظُ والمجدُ والشهـ
ـرةُ في ظُلْـمة الزمانِ الضنينِ
لم يَنَلْ من مناهلِ العلم والفنِّ
سـوى كأسِ ظامئٍ مغبونِ

واللیالي صاغتْ صِباهُ من الحزْ
نِ وهزّتْ حياتَه بالشجونِ

* * *

وَسِعَ الكونَ كلَّهُ قلبُهُ الخفّ
ـاقُ بالودِّ والحنان الدَفُوقِ
ولقد كافأتْـهُ آلهــةُ الشِعـ
ـر على قلبـه النبيل الرقيقِ
مَنَح البائسينَ أثمن مـــا يمـ
ـلكُهُ : عَـبْرةَ انفعالٍ عميقِ
فَحَبَتْهُ السماءُ أنبلَ ما تمـ
ـنحُهُ للأحياءِ : قلبَ صديقِ

* * *

آهِ يا عابرَ السبيلِ دعِ الشا
عرَ في مَرْقَدِ الرَدَى مُطمئنّا

لا تحاولْ كشفَ الستار عن الخيـ
ـرِ ودَعْ مقلةَ المسَاوىء وَسْنَى

فوراءَ الستراب قلبٌ له في
رحمةِ اللهِ مأملٌ ليس يَفْنَى

مأمَلُ الخافقِ الذي ضمَّهُ اللـ
ـهُ إلى عَدْلِهِ فاغمضَ عَيْنا

أيار ١٩٤٥

فهرست

عاشقة الليل

الفيضان ٦٤٦

من الشعر المترجم